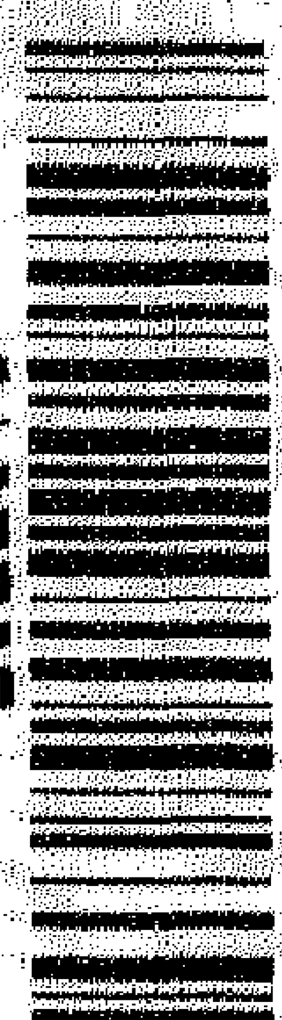
أستاذ المرأة

برهان

محمد بن سالم البيحاني

دار الكتب العلمية





أستاذ المرأة



لحضرة صاحب الفضيلة شيخنا وأستاذ الجميع
الشيخ محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني
متعنا الله بطول حياته في عافية وأبقاه ذخراً
وعدة للعلماء والمتعلمين
آمين



مكتبة الثقافة
ص ب ٥٧ ـ تلفون ٢٤٦١٠
المدينة المنورة

قال حفظه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل النساء شقائق الرجال في عامة الأحوال ، وللرجال عليهن درجة فى بعض الخصال ، وسوى[1] بينهم فى الحرام والحلال والثواب والعقاب على الصالح والسيئ من الأعمال ، نحمده تعالى وفقنا للصواب فى هذا الكتاب وبيان ما لا بد للمرأة المسلمة من معرفته فى العقائد والأقوال والأفعال ، ونسأله جل وعلا الاخلاص فى العمل وجميل الامتثال ، ونعوذ به من الزيغ والضلال ، واتباع الشهوات وفتنة القيل والقال .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نصير ولا معين ، وضع الأشياء فى مواضعها وجعل الدين كفيلا بسعادة المتدينين ، وقال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) . وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المنزل عليه قول الله جل ذكره (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً) ، وقوله تعالى

---

(١) المساواة فى معظم الاحكام لكن الذهب والحرير حرام على الرجال وحلال للنساء .

(ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً) .

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد القائل لا تكرهوا البنات فانهن المونسات الغاليات ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين والطيبات ، وعلى التابعين لهم باحسان من المؤمنين والمؤمنات .

وبعد فهذا كتاب للمرأة جمعت فيه ما لا بد لها من معرفته وبينت لها فيه ماجاء عن الله ورسوله فى جميع أحوالها وأطوار حياتها ، واختصرت فيه بعض الفصول من كتابي (إصلاح المجتمع) وبسطت لها الكلام فيما يخصها من أمر الدنيا والآخرة ، واستمديت جميع ما أرشدتها اليه أو حذرتها عنه من أوثق المصادر وأجل الكتب : القرآن العظيم وتفاسيره المشهورة ومتون الأحاديث النبوية وشروحها المختصرة والمبسوطة ، ثم من كتب الفقه والتاريخ الاسلامي ودائرة المعارف للبستاني ودائرة المعارف لفريد وجدى ومن المؤلفات الكثيرة للمرأة فى مختلف المواضيع الدينية والاجتماعية ككتاب الأسوة فيما جاء عن الله ورسوله فى النسوة لصديق حسن خان ملك بهوپال ، وكتاب المرأة فى التاريخ والشرائع لمحمد جميل بيهم ، وكتاب السفور والحجاب لنظيره زين الدين ، وتحرير المرأة لقاسم أمين ، وشهيرات النساء لقدرية حسين ، والمرأة العربية فى الجاهلية والاسلام للشيخ عبدالله عفيفي ، والاسلام روح المدنية للشيخ مصطفى الغلاييني ، وسعادة الزوجين للشيخ على فكرى ، وقولي فى المرأة للشيخ مصطفى صبرى ، والنداء الى الجنس اللطيف للسيد رشيد رضا ، وقانون الزواج الحديث للدكتور محمد السباعي ، والمذكرات الطبية للدكتور حسن حلمى كرارة ،

والفتاة والبيت ترجمة أنطون الجميل ، ومن عدة مجلات وجرائد مصرية وعراقية وغيرها ، واستشهدت فى بعض الأماكن بالأبيات الشعرية من دواوين البحترى والمتنبي والمعرى وشوقي وحافظ وابن نباتة والرصافى والزهاوى وغيرهم من الشعراء المتقدمين والمتأخرين . وأرجو الله أن يحل هذا الكتاب من المرأة محل الرضا وأن يحوز إعجابها وتقديرها بعد إعجاب الرجل المنصف الذى يقدر للعاملين جهودهم وإذا رأى العيب أصلحه معتذراً وإن رأى الخير شكر عليه وأثنى على صاحبه بما يستحق ، ومن الله وحده نستمد المعونة والتوفيق .

الاهـــداء

لست أدرى الى من أقـدم « أستاذ المرأة » من سيدات العرب وغيرهن فى الشرق والغرب من المسلمين ولكلهن فيـه حق عظيم . وما من مسلمة تعرفني أو أعرف عنها شيئاً من الموجودات واللواتي سيقرأن الكتاب فى مستقبل الأجيال إن شاء الله إلا وأنا أحب تخصيصها بالفضل وتوجيه الخطاب اليها حتى تعتقد انها هي وحدها المعنية بما فيه ومن أجلهـا جمعته . وكنت أريده هدية للاميرة فريال بنت الفاروق فى مصر ، أو الملكة نفيسة أم الملك الفيصل فى العراق ، أو السيدة فاطمة جناح فى الباكستان ، أو حرم الدكتور احمد سوكارنو رئيس الولايات المتحدة الأندونيسية ، فتذكرت ان هؤلاء وأمثالهن من الأميرات ونساء الزعماء قد قرأن كثيراً من ذلك وربمـا كان قد أهدي اليهن خيراً من ذلك ، فقلت اجعله هدية مشتركة للمسلمات كافة

وأيما امرأة اطلعت عليه فهو هديتي اليها .·. هدية لا أريد بها مكافأة ولا مجازاة إلا دعواتها الصالحة ، وأن تعمل قدر استطاعتها بما فيه . ورسول الله ﷺ يقول (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم) . والثواب على الهدية والمكافأة بالمعروف أمر مطلوب فى جميع الشرائع . والعقل السليم يقضي بواجب الشكر للخالق والمخلوق على فعل الجميل . ومن أسدي اليه معروف وعجز عن مكافأة صاحبه فليقل له جزاك الله خيراً ومن قال ذلك فقد قابل الاحسان بالاحسان . وعسى أن تقول قارئة الكتاب كلما رفعته أو وضعته رحم الله المؤلف وجزاه الله خيراً ؟

أستاذ المرأة أو مقدمة الكتاب

أنا لا أعد نفسي معك أيتها الحرة الطاهرة فى هذا الكتاب إلا والداً مربياً وأستاذاً معلماً أحب لك خير النساء كما أحب خير الرجال لنفسي وأحرص جد الحرص على سعادتك العاجلة والآجلة وأتمنى لك أن تكوني الزوجة الصالحة والسيدة المدبرة والأم المربيـة والجدة المحترمة ، ولن آلو جهداً فى السير معك صغيرة وكبيرة. وذات زوج وأيما وداخل البيت وخارجه وعلى المنسج والمكتب وفى المطبخ والمستشفى وفى جميع ما يصح أو ينبغى لك أن تباشريه من الأعمال النسوية فى المدرسة والبيت والمعبد والمعمل معلمة ومتعلمة ومربية وطبيبة ومتعبدة وبائعـة ومشترية ومعيرة ومؤجرة وموكلة ومودعة ووارثة

وموروثة . وبهذا الكتاب ستفهمين المراد منك فتؤدينه وستعلمين الذى لك فتطالبين بـه . فلغة مفهومة وأسلوب سهل وعبارات بسيطة وجمل مفيدة لا تعقيد ولا إبهام ولا غموض ولا خفاء ، آيات محكمة وأحاديث صحيحة وأحكام ظاهرة ومسائل واضحة ، وإن أشكل عليك شيء — وموضع الاشكال قليل إن شاء الله — فأهل العلم موجودون ومراجعة الكتب ودواوين الاسلام فى مقدور كل إنسان والحمد لله .

وكنا نريد الاتصال بك فى المساجد والمدارس والأندية المحترمة والمجلات والجرائد الدينية لنؤدى اليك رسالة الاسلام ونبوئك المنزلة التي أنزلك الله منها والرتبة التي رفعك اليها فرأينا الظروف لا تسمح بذلك . وكان الذى نؤمله من الخير دون ما نخافه من الشر . وفتنة الاختلاط كبيرة وبيوتنا ضيقة والعوائد مرهقة والظنون سيئة والأوهام قتالة وجوانب الفتنة حساسة وجنود ابليس لا يصلحون ولا يريدون من غيرهم الاصلاح (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) وعلماؤنا كسالى وخطباؤنا مصابون بالاعياء وما لا خير فيه من الكلام ونظام المدارس لا يسمح باضافة شيء آخر الى برامج التعليم ولا تكاد المحاضرات المفيدة تلقى على الطالبات والمعلمات فى أية مدرسة ابتدائية ولا ثانوية والصحافة لا تفسح المجال لأي إصلاح ديني . ولم يبق لنا معك أيتها المرأة حيلة فى الدخول عليك والاتصال بك إلا من طريق هذا الكتاب الذى سيكون لك خير أستاذ وتكونين له التلميذة الصالحة إن شاء الله .

وعليك لله وللوالد والولد والزوج والأسرة التى تعيشين فيها والبلاد التي أنت من أهلها والمجتمع الذى نعدك فيه عضواً عاملا حقوق كثيرة ، ولك والله حق على الوالد والولد والزوج بل وعلى الأمة التي لا تبخس الناس أشياءهم ولا تتجاهل قول الله جل ذكره (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم) .

ولن تعرفى ذلك ولن تقومي بما عليك ولن يصل حقك اليك إلا إذا صبرت وثابرت على قراءة هذا الكتاب وحملتيه معك حيث كنت فهو أستاذك المخلص العفيف الذى لا يفرض عليك ضريبة ولا يأخذ بعينيه الخبيثتين أجرة التعليم من وجهك المليح وجمالك الفتان .

وقديماً كانت المرأة محتقرة مهانة لا يعترف لها بحق ولا يقام لها وزن وليس لها قصاص ولا دية إذا قتلت وانها لتباع وتشترى وتعار وتؤجر ويدفنها العربي قبل الاسلام حية كراهة لها وخشية أن تطعم معه ومخافة أن تزني فيلحقه عارها . والمتدينون الأولون لا يبيحون لها العبادة ولا يرون لها حظاً من الجنة ولا نصيباً من رحمة الله لأنها حيوان غير إنسان أو إنسان خبيث وربما عدها المنصفون منهم إنساناً خلقه الله لخدمة الرجل والقيام بحقه فقط . وفى الشرق والغرب مرت على المرأة عصور مختلفة بشرائع مختلفة وتقلبت فى أطوار كثيرة وتحملت المسكينة من المصائب والعنت ما ينوء به كاهلها ولا تستطيع النهوض به إلا مكرهة أو جاهلة مسخرة . وأنت أيتها المسلمة محفوظة الحقوق عزيزة مكرمة لا تكلفين من الأمر شططا ولا يضعك الدين من كل أمر إلا وسطا .

وأنا لا أريد أن أتحدث اليك فى هذا الكتاب عن الرقص

والموسيقى والتصوير والسينما والفنون الجميلة الأخرى ولا بما يكتب عنك المقلدون واللادينيون من الباطل والاثم المبين ولا بما يطالبون به من مساواتك للرجل فى كل شيء مما يصح وما لا يصح وإن جاء من ذلك شيء فلموافقته الحق أو للاستشهاد به على ما نريد أو لتعلمى أنه باطل والاسلام لا يقره والمروءة تـأباه والأخلاق الفـاضلة لا ترضاه . وكل ما سأعرضه عليك وأرجوك العناية به فهو من صميم الدين ولباب الحق وحلية العلم والأدب وأفضل العـادات والتقاليد القومية . وأنا أبوك وأستاذك المسلم الذى يحاول إيصال الدين الى قلبك بكل وسيلة وأن يخالط منك الدم واللحم فيما تأتين وما تذرين .

ولقد كتب الناس عن المرأة وتحدثوا في شأنها كثيراً وقابلوا بين ما جاء به الاسلام عن المرأة وما جاء به غيره من الشرائع والأديان والاصلاحات والقوانين القديمة والحديثة ، ولم يجدوا فى كلام موسى وعيسى وتعاليم بوذا ومانو ومزدك وكونفوشيوس وغيرهم كلا ولا وجدوا من فقه روما وأثينا ولندن وباريس مثلما وجدوه في القرآن العظيم والسنة المطهرة من العناية بشأن المرأة ومساواتهـا بالرجل فى كثير من الأمور وأنها فى العبادة وما تتقرب به الى الله مع الرجل على حد سواء . (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنـات والقانتين والقانتـات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحـافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعـد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) .

المرأة فى مختلف الامم والاديان

كانت المرأة اليهودية لا تصلي ولا تدخل المعبد حتى يقطعها الحيض وتكون مثل الرجال وهي عندهم غير وارثة وحقوقها الزوجية غير مرعية يضم اليها الزوج ما شاء من النساء ويطلقها لأتفه الأسباب ولا يراها بنو اسرائيل إلا متاعاً من أمتعة البيت ينتفع منها الرجل بما شاء وينبذ ما شاء ومن طلق امرأته وتزوجت بغيره فلا يحل له أن يراجعها وإن فعل فأولادهما أولاد زناء ومن مات عن امرأة وجب أن يخلفه أخوه عليها فان أباها بصقت على نعال وضربته بهما وعليه لعنة الله ورجمة اسرائيل .

وليس للمسيحيين في المرأة ما يؤخذ منه الحكم الصريح من تعاليم عيسى عليه السلام وليس فى الأناجيل المزعومة إلا نتف يذهبون فى تفسيرها وتأويلها بمراد القساوسة والقديسين شتى المذاهب كقول المسيح في موعظته «قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن وأما أنا فأقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق وأما أنا فأقول لكم من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني ومن يتزوج مطلقة فانه يزني» وكالقصة التي فيها أنهم جاؤا اليه بامرأة زانية ليطهرها بالرجم فقال لهم « ارجموها أنتم ولا يرجمها إلا طاهر » .

وفي مصر كان يجرى النكاح بين الأخ وأخته وربما صار بين الأب وابنته والغيرة عندهم على المرأة قليلة جداً . قال الله تعالى حكاية عنهم

(يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) .

ولا يكتبون عقود النكاح بل المدار في الزواج عندهم على التراضى بين الزوجين فقط . وكان للمرأة أن تشترط لنفسها الحق في الطلاق أما منفردة به وأما على المساواة بينها وبين الرجل وربما شرطت على زوجها أن تكون أملاكه كلها لأولاده منها دون غيرهم من سائر الزوجات .

وفي أيام تغلب اليونان على مصر زمان الملك فيلوباتور منعت المرأة من التصرف في المال إلا باذن زوجها وصار كل شيء للرجل ولا حق للمرأة في التملك لأنه مصدر الثروة وصاحبها الأول ومهما يكن من حق لها فهى عندهم دون الرجل وإن جلست على العرش إذ لا تكون ملكة إلا إذا انقرض الرجال من الأسرة المالكة .

والآشوريون والبابليون ما كان للوالدين عندهم حق تزويج البنات وليس للمرأة نفسها أن تنكح من شاءت ولكن الأمر في ذلك الى الكهان الذين يجتمع عندهم العذارى البالغات سنوياً وهم يبيعونهن في الأسواق بالمزاد العلني وعلى ولي المرأة أن يرد الثمن إذا وقع الخلاف بينهما وبين سيدها المشترى أو زوجها الراغب عنها وكان على المرأة أن تذهب في العمر مرة الى هيكل ميليتا ربة الجمال لتهب نفسها لأجنبي يقع عليها ، ويقعد النساء صفوفاً في ذلك المكان حتى يدخل الرجل ويختار منهن من يشاء وتسير وراءه ولو كان دميماً قبيح الخلقة وليس لها الخروج من الهيكل حتى تقوم بهذه الفريضة المحتمة عليها ولها الويل ان كانت قبيحة فانها تمكث زمناً طويلا قبل أن يرغب فيها أحد .

والفرس كانوا يقولون ان المرأة من حقوق الرجل وله قتلها والحكم عليها بالموت إذا بدا له ذلك وهي عنده سلعة يتصرف فيها كيف شاء

كما يتصرف بسائر ممتلكاته ولا حظ لها من العلم ولا يجوز خروجها من البيت ولكنها تخبأ فيه وتحجب كالأمتعة الخاصة بصاحب البيت .

والأتراك كانت المرأة فيهم خاملة جداً حتى أنها لم تكن تستعمل إلا لقضاء شهوة الأمراء والأعيان فكن يجتمعن آحاداً وعشرات في بيت أمير أو زعيم واحد فيخلد الى التلذذ بهن وفي النهار ينصرفن لحرث الحقول وزرع البقول ، غير أن الأم كانت عندهم محترمة مخدومة وجميع من في البيت من النساء يصبحن خادمات لأمهات الزعماء والوجهاء بل وجميع أفرادهم إذا تزوجوا في حياة أمهاتهم فالزوجات يكن للامهات كالخادمات والجوارى .

وفي بعض شرائع الهنود انه إذا مضى على البنت ثلاث سنين بعد استعدادها للزواج ولم يزوجها وليها كان لها الخروج عن طاعته ومخالفة أمره عقوبة له حتى انهم كانوا يزوجون البنات وهن في السنة الثانية عشرة من أعمارهن وربما استعجلوا على البنت فزوجوها وهي لا تتجاوز السنة الثامنة . وإذا ماتت المرأة كان على بعلها أن يعجل بتزوج امرأة أخرى ، وإذا مات الرجل قضت المرأة حياتها بعده أرملة عزباء ويجوز لها أن تحرق نفسها بالنار . والبنت تكون ملكاً لأبيها وله فيها حرية التصرف وهي لزوجها مملوكة كالأمة مدة حياته وبعد موته تكون تحت وصاية أبنائها فان لم يكن لها أبناء فهي تحت وصاية أقارب الزوج وهي عندهم غير طاهرة بالفطرة وإذا ولدت كانت هي والبيت ومن يسكن فيه معها غير طاهرين جميعهم لمدة عشرة أيام ولا يحق لها أداء الشهادة وكل شيء في ملكها يكون تحت تصرف زوجها وله طلاقها متى شاء . نعم كانت الأم عند الهنود محترمة جداً

ولا يحل طلاقها إلا إذا بقيت عشر سنين في عصمة الزوج ولم تلد له ولداً ذكراً .

وكانت المرأة في الشريعة البرهمية منحطة لا تعد شيئاً مذكوراً فهي عبدة الرجل ولا يجوز لها أن تكلمه إلا باحترام ولا أن تؤاكله على مائدة بل ولا تجرأ أن تتلفظ باسمه ، وبلغ الافراط في امتهانها انهم صاروا يحتقرون الرجل الذى يحادث زوجته محادثة عائلية . وصارت الهندية مستسلمة لهذه العادة ومطيعة لهذا التشريع حتى كانت تحترق بالنار مع زوجها الذى يحرق بعد موته . ومنذ قرابة مائتي سنة مات أميران هنديان لأحدهما سبع عشرة زوجة وللآخر ثلاث عشرة فقدمن أنفسهن للنار جميعاً إلا واحدة منهن كانت حاملا ولما وضعت جنينها التحقت بصواحبها الى النار في الدنيا والآخرة . ولم تبطل هذه العادة إلا بعد أن حاربها الانجليز في الهند مدة طويلة وقضوا عليها قضاءاً نهائياً .

واليابان كغيرهم من الأمم القديمة يعتبرون المرأة متاعاً من أمتعة الدنيا يتصرف بها الرجل كيف شاء ، حتى ان شريعتهم أباحت له أن يبيع الزوجة أو البنت . وقد لبثت هذه الشريعة معمولا بها الى صدور نظام سنة ١٨٧٥م الذي أكمل في سنة ١٨٩٦م فقضى على هذه العادة . وكان من الحقوق التي هي دون البيع ان الرجل والمرأة التي لا زوج لها يؤجران البنت في المحلات العمومية أو من أفراد مخصوصين لمدة معينة فهي مملوكة قبل الزواج لأبيها وبعده لبعلها وإذا مات فهي تحت الوصاية كالمرأة الهندية .

والصينية متزوجة أو عذراء لا سيما الطبقة الممتازة تعيش في

عزلة أبدية . فالابنة منذ صباها تعزل من شقائقهـا ، والنساء عامة لا يخرجن من بيوتهن ولا يستقبلن رجلا ولذلك كانت المنازل تقسم الى حرم ودار للرجال منعاً للمخالطة . وفضلا عن ذلك فقد حرموا المرأة من ميراث زوجها وأبيها إلا ما يقدمه لها في حياته من قبيل العطية حين زواجها . وحتى في العقوبات ميزت شريعتهم الرجل عن المرأة وحيث جعلت له السيادة عليها فانهـا شددت العقوبات على اللاتي يؤذين أزواجهن بأية مخـالفة ولا سيما الزانيات كما ستعلمين ذلك مما يأتي .

ويقول مشرع الصين الأكبر كونفوشيوس « ان الرجل رئيس فعليه أن يـأمر والمرأة تابعة فعليها الطاعة ومن المقتضى أن تكون أعمالهما مثل أعمال السماء والأرض متممة لبعضها تعاوناً على حفظ نظام الكون والمرأة في المجتمع مديونة لزوجها بكل ما هي عليه » .

وفي بعض شرائع الصين يجوز للرجل أن يجمع بين مائه وثلاثين زوجة في وقت واحد ، وأفرط بعض المـلوك فيهم حتى جمع في قصره ثلاثين الف زوجة .

وما أظن أحداً يكون أغلظ طبعاً وأقسى قلباً من العربي الذى كان يحفر القبر لابنته وهي تنفض الغبار عن وجهه ولحيته ثم يدفنها فيه حية خشية أن تطعم معه أو لعلة قضى بها المجتمع على أفراده حتى جاء الاسلام دين الرحمة يشترط على الداخلين فيه أن لا يقتلوا أولادهم الذكور ولا الاناث في غير جريمة ولا جناية ونهددهم بقول الله تعالى (وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت) وكان رسول الله ﷺ يصرخ في الحجيج والمجتمعات والأندية بقول ربه تعالى (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق

نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) . وما فتئ الأعراب وكثير من الذين لم يتمكن الاسلام من قلوبهم يحتقرون البنات ويكرهون وجودهن ويصدق فيهم قول الله تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون) . وان الشاعر البحتري ليقول في مرثاته لأحد أصدقائه حين ماتت ابنته :

أتبكي من لا ينازل بالسيف مشيحاً ولا يهز اللواء
والفتى من رأى القبور لما طاف به من بناته أكفاء
لسن من زينة الحياة قدماً وورثن التلاد الأقاصي البعداء
لم يشد كثرهن قيس تميم عيلة بل حمية وإباء
وتغشى مهلهل الذل فيهن وقد أعطى الأديم حباء
وشقيق ابن فاتك حذر العار عليهن فارق الدهناء
وعلى غيرهن احزن يعقوب وقد جاءه بنوه عشاء
وشعيب من أجلهن رأى الوحدة ضعفاً فاستأجر الأنبياء
واستزل الشيطان آدم في الجنة لما أغرى به حواء
وتلفت الى القبائل فانظر أمهات ينسبن أم آباء
ولعمري ما العجز عندي إلا أن تبيت الرجال تبكي النساء

المرأة فى الاسلام

لقد رفع الله شأنك أيتها المسلمة وأنزل فيك من كتابه العزيز آيات كثيرة متلوة في المساجد والبيوت الى يوم القيامة فجعلك قسيمة الرجل في تكوين البشرية والنشأة الانسانية ويمن على بني آدم بقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا) (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) . وهل تحفظ الأنساب وتؤلف الأسر وتقع المصاهرة إلا بسببك أيتها المخلوقة من جنس الرجل وعنصره الذى تكون وخلق منه (وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديرا) وأوجد الله بينك وبين الرجل من المودة والرحمة ما تحصل به الراحة الزوجية وتتم به الألفة وتعمر به البيوت ويحفظ النسل وتجتمع الأسر للتعاون فى طلب الرزق وحسن التربية وانتقال المال بالتوارث من هذا الى هذا . (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) . وإذا عملت من الصالحات شيئاً كان لك من الأجر مثل الرجل أو أكثر (إن الله لا يضيع عمل عامل منكم من

ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وفى القرآن سورتان يقـال لهما سورتا النساء وإحداهما ست وسبعون ومئة آية والأخرى اثنتا عشرة آية وقد اشتملت السورتان على كثير من الأحكام الخاصة بك مزوجة ومطلقة ومخاصمة ومسالمة وكيف ينفق عليـك وماذا يجب لك وكيف يسلم اليـك حقك ومتى يحل نكاحك ويحرم وكيف يكون الطلاق والعـدة . وفى سورة البقرة إحدى وعشرون آية متتابعة من أمرك وكذلك سورة النور والأحزاب والتحريم أكثر آياتها فيك تأديبـاً وتعليماً وتبرئة وتنزيهاً وترغيباً وترهيباً ، وما أكثر الآيات فى بقيـة السور الدالة على فضلك وعلو شأنك ووجوب العناية بك . وتقول بعض نساء الصحابة رضى الله عنهن لو علم الله فينا خيراً لذكرنا فى كتابه كما ذكر أزواج نبيه ﷺ فنزل قول الله تعـالى (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) «الآية» . وأمر النبي ﷺ أن يأخذ منكن البيعة كما يأخذها من الرجال فقال له ربه تعالى (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) .

وسمع الله مجادلة المرأة فى زوجها الذى ظاهر منها وهو كبير وذو عيال وكان الظهار يعد طلاقـاً ورسول الله ﷺ يفتى بذلك والمشقة كبيرة والأسرة فقـيرة والمظاهر بائس مسكين والمرأة تظن بالله ظناً جميلا فقال تعالى (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى

الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير) . ولم يكتف القرآن بطاعة الرجل وحده لله ولرسوله حتى قال (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) .

وأمر النبي ﷺ أن يجعل لك حظاً من دعائه واستغفاره كحظ الرجال (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) . ومدحك على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحسن الطاعة ووعدك بالأجر العظيم على ذلك (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) وأمر الأبناء مؤكداً عليهم بطاعة الأمهات والقيام بحقهن وجميل البر بهن محركا فى أنفسهم الرحمة والحنان ومذكراً لهم باحسانهن المتقدم اليهم من عظيم صبرهن على الحمل والولادة والرضاع والفصال (ووصينا الانسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) ومن سورة أخرى يقول الله سبحانه وتعالى (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لي ولوالديك الي المصير) وفى السنة المطهرة من كلام الرسول عليه الصلاة والسلام مئات الأحاديث فى المرأة وما يجب لها وعليها وحسبك انه يقول فى مرض موته (الله الله فى النساء وما ملكت أيمانكم) ، ويخاف عليك من التقصير فى حقك فيقول (استوصوا بالنساء خيراً فان المرأة خلقت من ضلع أعوج وان أعوج شيء فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته

لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً) ويقول (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) . وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله ما حق زوج أحدنا عليه قال تطعمها إذا أكلت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت . ومن خطبة له فى حجة الوداع يقول (استوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عندكم عوان ليس تملكون منهن شيئاً غير ذاك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ان لكم من نسائكم حقاً وان لنسائكم عليكم حقاً فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن) ، وفرض على الرجال العدل بين نسائهم فقال (من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل) وحرم تحريماً شديداً على الرجل أن يفشي سر امرأته أو يتحدث عنها بما تكره ولو كان ذلك مع أهلها ومحارمها ، فقال (ان شر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر سرها) ، ويبالغ فى وجوب طاعة الزوج الى حد بعيد فيقول (لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، والذي نفسي بيده لو كان من قدمه الى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته تلحسه ما أدت حقه) . وأعظم ما تجب فيه الطاعة النكاح الذى هو الغرض المقصود من الاقتران الزوجي وهو أهم ما يريده الرجل من امرأته ولا يجوز لها الامتناع عنه إلا لعذر شرعي من الحيض أو المرض فان فعلت أثمت

وسقط حقها على الزوج من النفقة والكسوة والمسكن وكانت عليها لعنة الله كما يقول النبي ﷺ (إذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح) . ولا يحل لها الشغب ومخاصمة الزوج بغير سبب وإن طلبت بغير حق الطلاق دخلت في قول رسول الله ﷺ (أيما إمرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة) . وانه ليبشرها بالخير إذا أطاعت زوجها ويقول :- (أيما إمرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة) وبالجملة فانها لا تحصى الأدلة الواردة عن الله ورسوله في شأن المرأة ولكنه يعلم مما ذكر أن مقامها عند الله عظيم وأنها حيث تضع نفسها من الخير والشر ، فهنيئاً لها إذا عبدت ربها بصلاة فرضها وحفظ فرجها وكف لسانها عن السوء وطاعة زوجها وحسن تربية أبنائها ولتبشر بما يسرها من حياة سعيدة وذكر حسن وعظيم أجر وثواب عند الله يوم القيامة . « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا »

السفور والحجاب

أهم شيء يخوض الناس فيه اليوم من أحوال النساء المسلمات في الشرق والغرب مسألة السفور والحجاب التي شغلت بال كل مفكر وتناولها قلم كل كاتب وتكلم فيها الفقيه والسياسي وأصبحت من الأمور التي تبحث في المسجد والسوق والبرلمان بل وفي كل مجتمع وناد . وفي تركيا وايران وسوريا والباكستان وغيرها من البلدان الاسلامية

كثر أنصار السفور والدعاة اليه وزينوه للمرأة بكل وسيلة واتخذوا من المجلات والجرائد ومحطات الاذاعة أبواقاً لتحسينه والاهابة بالمرأة عن حياة الخمول وبقائها تحت الحجاب ومن وراء الأبواب وأسسوا للنهضة النسوية المدارس وفتحوا لها الأندية وكتبوا لها المقالات ونظموا لها القصائد وتحررت على شاطئ النيل وبين الرافدين الجرائد وألفت الكتب التي تحارب الفضيلة وتعد الحجاب قيداً ثقيلا على المرأة يمنعها من مجاراة الرجل في العلم والسياسة والتجارة والحرب وسائر الأعمال التي اراحها الله منها وجعلها من خصائص الرجل وألزمه بكفالتها والانفاق عليها وأن يكفيها خارج البيت مثل الذي تكفيه داخله ورأى الناس أن الحمل والولادة والتربية وتدبير المنازل غير كاف من النساء وانه لا يجوز حرمانهن من الخلاعة والمجون بالرقص والسباحة وسائر أعمال الرياضة المكشوفة وقالوا لها شاركينا في كل شيء وخذي بحظك من كل شيء واسمعينا صوتك الرخيم وأرينا وجهك الكريم وتعرضي للرجال كما يتعرضون لك واختاري لنفسك من تهوين ولا تبالي بقول أحد في سبيل ما ترضين وضربوا لها الأمثال بالأوروبيات والأمريكيات وغيرهن من الفاجرات اللواتي لا دين لهن ولا حياء ولا وازع من أهل ولا عقل . وتعصب أنصار الحجاب إلى حد بعيد ورأوا من المرأة خروجها عن الآداب والفضيلة وتفحشها في القول والفعل فحكموا عليها بخفض الصوت وملازمة البيت وحياة الهون وعيشة الدون وخمول الذكر وموت الفكر وحجبوا كل شيء منها حتى الاسم والزينة للزوج والخطيب ومنعوها المطالبة بأى حق وان ترد عن نفسها اي باطل وجعلوها متاعاً صامتاً أو بهيمة لا تصلح بعد ركوبها إلا لتحلب أو يحمل عليها .

وهذا لعمر الله افراط وتفريط وغلو مذموم في الطرفين . فقد جعل السفور تبرجاً والحجاب قبراً تدفن فيه المرأة حية والحق وسط بين هؤلاء وهؤلاء وبين هذا وذاك فالاسلام يا سيدتي يأمرك في كل بلاد وزمان بما أمر به أزواج النبي محمد ﷺ وهن أمهات المؤمنين ومن أطهر نساء العالمين فيقول الله عز وجل : « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي فى قلبه مرض وقلن قولا معروفاً وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيرا » فاذا كنت عفيفة صينة شريفة فى الكلام والحركة فلا جناح عليك أن تخرجي من البيت لقضاء حاجتك ومزاولة اعمالك اللائقة بك ممتثلة قول ربك جل ذكره : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما » .

وحالة الناس فى المدن والقرى ليست كحالتهم فى البوادي والصحراء وزينة الحضريات بالملابس الجميلة والأشكال الأنيقة والحلى الذهبية ومختلف التزويق والتنسيق تدعو الى فتنة الرجال بالنساء ومتابعتهن فى الشوارع والمنعطفات والوقوف لهن على الأبواب وفى الأماكن المظلمة ، والبدويات اللواتي لا حظ لهن من الجمال والزينة إلا ما فطرن عليه وحباهن به الله من رشاقة قد وملاحة خد وقوام مائس وطرف ناعس لا يخشى عليهن وهن فى المزرعة والمرعى من عبث الرجال وفتنة المحتال فالأماكن مفتوحة والبيوت بسيطة وكثرة الاختلاط فى شرف القبيلة

وطهارة البيئة لا تمكن الشيطان من الفتنة بالأجنبيات ومغازلتهن بالكلام والنظرات ولكل حكمه والعادة اذا لم تخالف الدين محكمة بين الناس . ومتى كانت المرأة فى بيتها وعند محارمها فلا بأس أن تكشف وجهها وتضع خمارها وترفع ثيابها ، وإذا كانت مزوجة وعند زوجها فلتلبس حليها ولتأخذ زينتها فطيب رائحة ونظافة جسم ومنزل وثوب حرير طويل أو قصير ، وخضاب وحناء وكحل وبودرة وما شاءت من المساحيق التي جرت العادة باتخاذها وتزين النساء بها وغير ذلك مما ألفته كل امة وفى كل بلاد . وكان نساء الصحابة ومن بعدهن فى العصور الأولى والاسلام عزيز الجانب والعربي يغار لكرامة أخيه كما يغار لكرامة نفسه كن يخرجن الى الأسواق للبيع والشراء بل ويسرن مع الجيش فى الغزوات والحروب ويسافرن مع الازواج والمحارم حتى الى الأقطار البعيدة والبلاد النائية وهن خير مساعد لبعولتهن وأهلهن فى الحقل والاصطبل وعلى البئر وعند النخل يجمعن الثمار ويسسن الدواب ويحرسن الدار ويغشين المساجد للصلاة وسماع العلم ويناقشن الرجال ويفتين فى الحرام والحلال ، ولما كثر الموالي ودخل العجم فى مختلف البلدان العربية واختلط الحابل بالنابل وظهر الشر من خبثاء النفوس والذين في قلوبهم مرض لزمت المرأة بيتها وامرها العلماء بالابتعاد عن المجتمعات خوف الفتنة وخشية عليها من عبث الفاسق واباحية الزنديق وتوسعت الحضارة وتقدمت المدنية وكثر الترف وظهر الرقص والشراب وغنت دنانير وابو اسحق وصارت دمشق وبغداد وقرطبة والقاهرة كبعض العواصم اليوم في أوروبا وسبب هذا كله المغالاة في الحجاب ومنع المتدينون نساءهم عن الخروج حتى إلى الأماكن القريبة

ومحلات العبادة إلا بحارس ورقيب لا يخاف منها ولكن يخاف عليها .

وقال شاعرهم : .

ليس التمدن أن نرى روح الحيا بيد الخلاعة كل يوم تزهق
والبنت يدفعها براحته الهوى فتروح تهوى من تشاء وتعشق
لكنه العلم اهتدى بضيائه غرب البسيطة حين ضل المشرق

وجاء بعد ذلك آخرون يرون أن المرأة مظلومة وان الله سبحانه وتعالى لم يأمرها بهذه الحالة ولا أوجب عليها البقاء في البيت حتى تخرج منه الى القبر فأرخوا لها العنان وتساهلوا معها في كل شأن وصيروها تطلب المساواة بالرجل وان خالف ذلك الدين والتقاليد وكذلك يكون النساء فى آخر الزمان وقال شاعر السفور :

سجنوهن فى البيوت فشلوا نصف شعب يهم بالحركات
منعوهن أن يرين ضياء فتعودن عيشة الظلمات
دفنوهن قبل موت مريح فى قبور سود من الحجرات
ان هذا الحجاب فى كل أرض ضرر للفتيان والفتيات
ان هذا الحجاب قبر كثيف حال بين الفتاة والنسمات
لم يكن وضعه من الدين شيئاً انما قد أتى من العادات

أما أنا فلا أقول بالحجاب الذي لا حاجة له ولا أقر المبالغة فيه مع أمن الفتنة وسلامة العاقبة ولا أرضى لسيدتي المسلمة السفور في كل مكان وان تختلط بالأجانب فى الأسواق والمدارس وسائر المجتمعات لا سيما وسلطان الدين ضعيف والاباحيون كثيرون أقوياء والأخلاق على ما نشاهد منحلة فى المدن العامرة والبوادي التي تعشش فيها كل داعرة وعاهرة وأهلها جهال والمرشدون عندهم قليلون أو غير موجودين .

وإذا أردت الحق يا سيدتي فدعي النـاس يقولون ما يشاؤن وليبد كل رأيه وحسبك الفهم والعمل بقول الله تعالى يؤدب المؤمنات السابقات منهن واللاحقات على لسان سيد الكائنات ﷺ : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو ابنـاء بعولتهن أو اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التـابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيهـا المؤمنون لعلكم تفلحون » . وفي الحديث الشريف : (ايما إمرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية) . وحتى الصلاة إذا خرجت اليها ففي ثياب بذلة وليس عليك طيب ولا أي شيء من مظاهر الزينـة يحرك الشهوة أو يجر الى الفتنة فلقد قال رسول الله ﷺ : (ايمـا امرأة أصابت بخوراً فـلا تشهدن معنا العشاء الآخرة) ورأت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهـا من النساء شيئاً تكرهه فقالت : (لو أن رسول الله ﷺ رأى من النساء ما رأينا لمنعهن من المسجد كما منعت بنو اسرائيـل نساءها) .

وإياك والاختلاط في السفر أو الحضر بالرجال الاجانب فانه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر فوق ثلاث إلا مع زوج أو ذي محرم ، والشيطان يغتنم الفرصة إذا خلا رجل بامرأة أجنبية ويزين لهم الشر كما يقول النبي عليه الصلاة والسلام (والذي نفسي بيده ما خـلا رجل بامرأة إلا ودخل الشيطان بينهما ولئن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً

بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه بمنكب إمرأة لا تحل له) وحتى أقارب زوجك لا ينبغى لك الاختلاء بهم وان كانت المصيبة عامة بمخالطتهم ودخولهم على نساء بعضهم البعض فانه لما نهى ﷺ عن دخول الرجال على النساء قال له رجل من الانصار أفرأيت الحمو قال (الحمو الموت) وإذا أبحنا لك الخروج وشيئاً من السفور فليس هذا هو التبرج الذى نهاك ربك عنه ولا يحل لك أن تضعى البرقع والجلباب وتخرجي حاسرة الرأس مكشوفة الذراعين بادية الساقين فى ثياب قصيرة ضيقة شفافة تحكي الجسم وتبدي الجرم وتدعو الرجال إلى متابعة النظرات والسير وراءك في الشوارع والأسواق والمستحمات ومحلات الرياضة وأحسن من قال :

والنحر والعضدان والفخذان كل أولاء باد ما عليه غطاء
وبكفها المرأة تصلح شأنها كيف اشتهت ومتى وحيث تشاء
وسط الترام وفي الطريق تهتكا ان التهتك للفتاة شقاء
جزت غدائرها فصارت وفرة لا حبذا بالوفرة الحسناء
تلهو وترقص في المسارح مثلما ترتج فوق غصونها الورقاء
يرتج منها كل رجراج كجد ول زئبق لعبت به نكباء
وهناك تعتنق الفتى ويحوطها بذراعه فتلبهما الأهواء
بالاحتكاك وبالتلامس والتها مس والشذى تتكهرب الاعضاء
وإذ غشيت المستحم ترى من الـ جنسين اسراباً حواها الماء
جنباً إلى جنب تعوم وقد علا ذاك الفضاء الضحك والضوضاء
فكأن ميل الجنس جرد منهما أفما تفر من الذئاب الشاء
لا وازع يزع الفتاة كمثل ما تزع الفتاة صيانة وحياء

وإذا الحياء تهتكت استاره فعلى العفاف من الفتاة عفاء

والعقل الصحيح والذوق السليم لا يسمح بهذا فضلا عن الدين الذي يحرم الزنا ويتوعد عليه بالعقاب الشديد ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وان لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ، وقد كتب على ابن آدم حظه من الزنا مدركا ذلك لا محالة فالعين تزني والأذن تزني والقلب يتمنى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه . وحيث كان لا بد من رؤية النساء ومرورهن في الطرقات وعليهن الزينة مقصودة وغير مقصودة فقد أمر الله عباده بغض البصر وكف الطرف فقال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون » . وقال رسول الله ﷺ : (لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم أو ليكسفن الله وجوهكم) . وقال أيضاً : (الاثم حواز القلوب وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع) . وقال أيضاً : (ما من مسلم ينظر إلى محاسن إمرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد جلاوتها في قلبه) . أما أنت فلا بأس برؤيتك الرجال والنظر اليهم وهم واقفون أو مترددون في أعمالهم وسواء كان ذلك خارج البيت أو من نوافذه وفتحات أبوابه وعلى سطوحه ما دامت الفتنة مأمونة وانت غير متعرضة لهم بشر ولا متبدية لهم بزينة فقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تنظر إلى الرجال من شق الباب ودعاها رسول الله ﷺ الى رؤية الحبشة وهم يلعبون في المسجد بحرابهم يوم العيد وكذلك كان النساء يختلطن بالرجال في الحج والمساجد ولا يقول أحد بوجوب شيء عليهن أكثر من تسترهن وغض أبصارهن عما لا يحل النظر اليه ، ولقلة أعمال المرأة في الخارج وجب عليها التستر بالجلباب

والثياب الطويلة الواسعة وبعكس ذلك الرجل المحتاج الى سرعة الحركة وخفة السير ومزاولة الأمور التي لا يمكن مزاولتها إلا برفع الثياب وكثرة القيام والقعود والوثب والركوب فهو الذي يحمل الأثقال ويضرب بالسلاح ويعمل في الميدان والسوق والمزرعة ما لا تعمله المرأة واذن فلا يجب عليه إلا ستر ما بين سرته وركبته وأن يصرف بصره عن حرمات الله قدر استطاعته وأنا الآن أبين لك ما يجب عليك ستره واخفاؤه من الجسم والصوت والزينة فى الصلاة وغيرها ومع المحارم وعند الأجانب حسبما جاء ذلك فى كتاب الله وسنة رسوله وأقوال أهل العلم سلفاً وخلفاً . وانت ان شاء الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأولئك هم أولو الألباب .

عورات النساء

للمرأة فيما يجب عليها ستره من بدنها ثلاث حالات ففي الصلاة تستر بدنها كله إلا الوجه والكفين ظاهراً وباطناً ولا بد أن يكون الثوب الذي تصلي فيه سابغاً يغطى ظهور قدميها قائمة وراكعة وساجدة فلو انحسر عنها الثوب أثناء الصلاة بطلت إلا أن تعيده حالا ، وقال مالك رحمه الله : (لا بأس بظهور القدمين فى الصلاة) ورأسها تستره بالخمار وتجمع تحتها الشعر حتى لا يظهر منه شيء وترخي على كتفيها وعلى صدرها وصفحتي العنق أطراف الخمار ليساعدها ذلك على الستر . لكن البنت التي لم تحض ولم تبلغ سن الحيض لا بأس أن يبدو منها بعض بدنها فى الصلاة ، وإذا كان للمصلية درع ضافي فلا يلزمها معه

السراويل ولا الأزار ولكن يحسن ذلك ولا سيما إذا كان القماش خفيفاً ، ولا بأس أن يكون الثوب الذي تصلي فيه من ثياب زينتها أو مهنتها ما دام ساتراً طاهراً وإذا اتخذت لها قميصاً خاصاً بصلاتها كان ذلك أحسن ولكن لا يجوز أن تلبسه على ثيابها المتنجسة فى الصلاة كما تفعل ذلك بعض النساء الجاهلات ، وهي لا تجهر بالقراءة ولا ترفع صوتها عند الأجانب وإن أمت النساء فان لم يكن عندها إلا زوجها ومحارمها فلا بأس بالجهر ولكنها لا تؤذن ولا تترنم بالقراءة . أما خارج الصلاة فتستر بدنها كله حتى الوجه والكفين إلا عند مهنتها وممارسة أعمالها ويجوز لها كشف الوجه عند البيع والشراء ولتشهد أو يشهد عليها ، ومن خطب إمرأة جاز بل استحب له النظر إلى ما يرغبه فيها أو يصرفه عنها كما سيأتي . وإذا كنت يا سيدتي طبيبة أو ممرضة فى المستشفي جاز لك النظر إلى مواضع العلاج وما لا بد من رؤيته فى المريض ، وإن كنت أنت المريضة فلا يدخل الطبيب عليك إلا وعندك الزوج أو بعض المحارم ولا تبدي له من جسمك الطاهر إلا مواضع العلة وحيث يحتاج إلى طرح الدواء عليه ولا بأس أن تأخذي الحقنة أو تعطيها فى أي محل من البدن وحتى مع التوليد إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، فللطبيب أن ينظر منك إلى مخرج الطفل وموضع الحمل إن لم تكن هناك طبيبه ماهرة ، وأنت لا تنظرين من المريض إلا ما تدعو إليه حاجة العلاج ولا تختلين به أو تطيلين معه الحديث إلا إذا تعدد المرضى فى مكان واحد أو دخلت عليه والفتنة مأمونة بحضور عدد من الرجال والنساء ، وإياك والتبسط فى الحديث مع المريض المتماثل للشفاء وعرض نفسك عليه صباحاً ومساء فربما سبب

ذلك الفساد واضطراب أعصابه وربما صار بالعشق أشد تألماً منه بما يعانيه ، أما ان أشتد به المرض أو أثخنته الجراح واحتاج إلى مزيد عناية به فلا بأس بملازمته وكثرة التردد عليه لشرب الدواء وتضميد الجراح وإصلاح سريره وفراشه ولمراقبته فى طعامه وشرابه ، وعند النساء ومحارمك لا يجب عليك إلا ستر ما بين السرة والركبة ولا تكوني من حبائل الشيطان يصطاد بها الأتقياء والأشقياء والانسان إنسان مهما كان وإذا ضعف دينه وقلت مروءته وتغلبت عليه شهواته لم يبال بمحرمية ولا قرابة ، ومن أجل ذلك قال رسول الله ﷺ : (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) ، والمحرم هو من لا يحل نكاحه ولا تحرم الخلوة به ولا ينتقض الوضوء بلمسه : الأب والجد والعم والخال والابن وإبن الابن وإبن البنت والأخوان وأبناؤهم وأبناء الأخوات وأبو الزوج وإبن الزوج وزوج الأم وزوج البنت ويحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب .

والأطفال الصغار الذين لم يطلعوا على عورات النساء لا بأس بحملهم وتقبيلهم ودخولهم على الأجنبيات والاختلاء بهم ومثلهم التابعون من الرجال غير أولي الأربة من البله والمجانين ومن لا يعرف أحوال النساء . أما الأجير والخادم الكبير فلا يجوز لك الظهور عليه والاستخفاف بشأنه توهما منك أو ظناً أنه لا يحرك ساكناً ولا يغير صالحاً وقد تستخفين بمن ليس كفؤاً لك وتقولين هو أحقر من أن يصل إلي بسوء وأنت لا تدرين عفا الله عنك أن الشيطان يأتي ابن آدم من بين يديه ومن خلفه وأنه يجري منه مجرى الدم وأن الشر قد يجيء فى ضمن الخير فلا تتبرجي ولا تتبهرجي لأولئك ولا تخضعى لهم بالقول فيطمع

الذي فى قلبه مرض ، وحتى النساء الأجنبيات من الكتابيات أو المشركات لا يحل أن يطلعن من المسلمات إلا على الوجه والكفين وما يظهر غالباً عند المهنة . وقال بعض العلماء لا بأس باطلاع النساء بعضهن على عورات بعض إلا ما يجب ستره عن المحرم وهو ما بين السرة والركبة ، فان كانت الكافرة ذمية أو محاربة خبيثة العشرة قليلة الحياء تصف لأهلها كل ما تراه من نسائنا فلا يحل أن تطلع من ذلك على شيء بل الاحتجاب عنها يكون أشد من الاحتجاب عن أهل العفاف من المسلمين . أما الزينة التي أمر الله بسترها وحرم على المؤمنات إظهارها بقوله تعالى (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) ، فهذا نص ما قاله المفسرون من سلف الأمة وخلفها عند هذه الآية قالوا (ولا يبدين زينتهن) أي ما يتزين به من الحلية وغيرها ، وفى النهى عن إبداء الزينة نهى عن إبداء مواضعها من أبدانهن بالأولى ، ثم استثنى سبحانه من هذا النهى فقال : (إلا ما ظهر منها) واختلف الناس في ظاهر الزينة ما هو ، فقال ابن مسعود وسعيد بن جبير : ظاهر الزينة هو الثياب وزاد سعيد بن جبير الوجه ، وقال عطاء والأوزاعي : الوجه والكفان ، وقال ابن عباس وقتادة والمسور ابن مخرمة : ظاهر الزينة هو الكحل والسواك والخضاب إلى نصف الساق ونحو ذلك فانه يجوز للمرأة أن تبديه ولا يخفى عليك أن ظاهر النظم القرآني النهى عن ابداء الزينة إلا ما ظهر منها كالجلباب والخمار ونحوهما مما على الكفين والقدمين من الحلية والخضاب ، وان كان المراد بالزينة مواضعها كان الاستثناء راجعاً الى ما يشق على المرأة ستره من أطراف بدنها وهكذا إذا كان النهى عن اظهار الزينة يستلزم النهى عن

اظهار مواضعها بفحوى الخطاب فانه يحمل الاستثناء على ما ذكرنا فى فى الموضعين (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) قال المفسرون ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وكانت جيوبهن من قدام واسعة فكانت تنكشف نحورهن وقلائدهن فامرن أن يضربن مقانعهن على الجيوب لتستر بذلك ما كان يبدو وقال مقاتل بن حيان ان معنى على (جيوبهن) قال صدورهن فيكون فى الآية مضاف محذوف أى على مواضع جيوبهن ، ثم كرر سبحانه النهى عن ابداء الزينة لأجل ما سيذكره من الاستثناء فقال : (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) الآية وقوله تعالى : (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) أي لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليسمع صوت خلخالها من يسمعه من الرجال فيعلمون أنها ذات خلخال ، قال الزجاج وسماع هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من ابدائها . وقال الشيخ الجبالي من هيئة كبار علماء الأزهر فى تفسيره لسورة النور بعد هذه الآية ، ما أجمل اتباع هذا الحكم لما قبله فقد سد على المتصنعات طريق الحيلة وأبان لهن ان الله محيط بما يحاولن من التطلع لخرق هذا الحجاب الذى هو فى مصلحتهن وبه صونهن بل عليه يتوقف امر الرغبة فيهن والاتجاه الصحيح نحوهن وأنهن اذا تعجلن الوصول الى الرجال باختراق هذا السياج حرمن من غايتهن التى سعين لها وانقلب سعيهن وبالا عليهن ، ولا يفوتنا أن نشير الى ما ابتليت به الأمة فى زماننا هذا من اعراض الرجال وبخاصة الشبيبة المتعلمة عن الزواج بل تحاميهم الوقوع فى هوته السحيقة . مما ضج بالشكوى منه كل ذي أسرة ، وان السبب فى هذه النكبة التى حلت بالأمة لا يعدو ما تدهور فيه النساء من ذلك التبرج الممقوت الذي جر الى ما

لا تستبيح الأقلام أن تخوض فيه فكان أن ساءت ظنون الرجال بأغلب النساء وكان أن خمد ميل الرجال اليهن وصدق عليهن قول الشاعر :

عرضنا أنفساً عزت علينا عليكم فاستخف بها الهوان
ولو أنا منعناهـا لعزت ولكن كل معروض يهان

واختلف العلماء في صوت المرأة فقال بعضهم انه عورة والصحيح خلافه سواء كان في الصلاة أو خارجها بالذكر والتلاوة والأذان أو غير ذلك إلا أنه لا يشرع للمرأة أن تؤذن لحاضرة ولا فائتة لا منفردة ولا في جماعة ويجوز سماع صوتها ولو بالغناء ما دام ذلك من وراء الحجاب ولم تخش الفتنة ولا بأس أن تغني لزوجها وأهلها ومحارمها وبين النساء بشرط أن لا يجر هذا الى الفساد والخلاعة ولا تتعود به الاشتغال عن ذكر الله والصلاة ، وقد كانت أمهات المؤمنين ونساء الصحابة ومن بعدهن من المؤمنات القانتات يتكلمن مع الرجال ويروين لهم الأحاديث بل ويتبـادلن معهم الشعر والأخبار والذى نسمعه اليوم من ماجنات التمدن البغيض في محطات الاذاعة وما يسجل في الاسطوانات والأفلام والأشرطة من الأصوات الشيطانية أمر لا يجوز اقراره والسكوت عليه ولا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصغى اليه وهو يعلم ما فيه من الأضرار على الأخلاق وما يعود به من النتـائج السيئة على المجتمع وعلى الشباب المفتون بالتقليد والاباحية ولا وازع اليوم ولا رادع لأحد عما يريده من الفسوق والعصيان فأصوات العلماء خافتة وسلطانهم ضعيف والحكام والأمراء كلهم أو جلهم مترفون وباللهو والباطل مشغولون وبه معجبون ولأهله مقربون وعن الدين والصلحاء معرضون متباعدون ، وحيث قلنا بجواز الغنـاء وسمـاع اصوات النساء فكذلك نقول انه لا

يحرم عزفهن (على الكمان والبيانو) وسائر الآلات المطربة بالشروط المتقدمة . وقد أباح جماعة من علماء المتقدمين والمتأخرين أن يسمع الرجل من امرأته وجاريته الغناء على العود والبربط . وكان عبدالله بن الزبير وعبدالله بن جعفر من الصحابة رضي الله عنهم بل وأكثر أهل المدينة المنورة لا يرون بذلك بأساً . وقال أبوبكر بن العربي : « يجوز للرجل أن يسمع غناء جاريته إذ ليس شيء منها عليه حرام لا من ظاهرها ولا من باطنها فكيف يمنع من التلذذ بصوتها » . وأنت ياسيدتي التي تعرفين نفسك والظروف المحيطة بك وما دام للدين هيمنة على نفسك وأنت ذات العقل والعصمة قدري الموقف واجعلي لكل مقام عندك مقالا ، فللسرور والأفراح أوقات معروفة وللاعراس والأعياد وشفاء المريض وقدوم المسافر حالة تقتضي الانبساط واظهار السرور ولكن مع الأدب وفى غير مرح ولا فساد فى الأرض . والله تعالى يقول (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون)

حماية الاداب العامة

وحين كنت أكتب الفصل السابق وصلت الي مجلة دينية تحمل مقالا كريماً فى الموضوع فأحببت نقله وإثباته لك أيتها المسلمة الشرقية فى هذا الكتاب لتطلعى على ما بقي من الخير فى مختلف البقاع من الأرض . قال الكاتب جزاه الله خيراً : فى وسط تيارات المدنية

الكاذبة الداعرة التي جرفت المرأة وأغرقتها فى لجة التهتك والفجور ، وطوحت بها فى مهاوي التمرد على الحشمة والحياء والآداب لا يزال يوجد فى بعض بقاع العالم بقية من الرجال ممن دفعتهم الغيرة على المرأة الى الحيلولة بينها وبين الانحدار فى مهابط الخلاعة والتبرج والانزلاق الى درك المجون والرقاعة فها هي بعض أقطار العالم المسيحية وغير المسيحية تضرب أمثلة رائعة فى الغيرة على النساء وحمايتهن من الفساد والزامهن حدود الأدب والاحتشام ويمكن الاستئناس بالاخبار الآتية على مدى سياج التعفف والتصون الذي ضرب حول المرأة فى تلك الأقطار :

(١) فى الولايات المتحدة وضعت ولايات جورجيا وتكساس واوهيو تشريعات تمنع تبرج المرأة وخروجها عن الحشمة والحياء .فقد حظر القانون على المرأة ارتداء الأكمام القصيرة والفساتين التي ترتفع الى الركبة أو ما تحتها قليلا وحرم على السيدات التدخين وارتياد المحلات العامة كما حرم على الفتيان والصبيان فى سن المراهقة ارتياد المراقص وقد خول القانون للبوليس الحق فى تطبيق اللوائح ، ووضعت مصالح البريد بالولايات المتحدة الحظر على صور الفتيات العارية التي تطبع على النتائج (التقاويم) للزينة وقالت أن تلك الصور تمثل البذاءة والتفحش وباعثة على الفجور والدعارة مما يقع تحت طائلة القانون ثم نبهت إدارة البريد الى أنها لن تقبل أمثال تلك التقاويم ما لم تكن صور البنات التي عليها بملابس كاملة تراعي فيها الحشمة والآداب . (عن جريدة مدايست ميل سنة ١٩٤٧ م) .

(٢) وفى بلغاريا هدد مدير كلية البنات فى صوفيا عاصمة بلغاريا

الطالبات بتوقيع عقوبة الطرد عليهن إذا استعملن أحمر الشفاه وصقل الأظافر وقص الشعر فأضربت الفتيات احتجاجاً على ذلك وألفن من بينهن وفداً لمقابلة وزير المعارف الذى رفض مقابلتهن ولما لم تقتنع إدارة الكلية بالحجج التي قدمتها الفتيات اتخذت الكلية قراراً بفصل المضربات من المدرسة . نشر بالعدد ٥٧٣٠ بتاريخ ٢٦ـ٥ـ١٩٣١ م من الديلي هرالد .

وفى انجلترا شكت الطالبات بكلية الممرضات الملكية بلندن الى ادارة الكلية من ترغيب طالبات الالتحاق بالكلية بطريق الاعلان بصورة خارجة عن اللياقة مما يستلفت النظر وقد طلبت إدارة الكلية من وزارة العمال أن تمنع هذا النوع من التبهرج من الاعلانات ، واقترحت الكلية على الوزارة أن تطبع الاعلانات بأسلوب علمى جدى احتشامي تفادياً من خطر تسرب الفساد الى المهنة . (عن جريدة الأجبشن ميل فى ٤ـ١ـ١٩٤٨م) .

وفى الدانمارك أعد فريق من الجنود الأمريكيين فى الدانمارك العدة لاقامة حفلة راقصة بأحد الفنادق فى مدينة سوندربورج دعيت اليها فتيات دانماركيات ، وعند ما وصلت السيارة التي تقلهم الى الفندق أحاط بها الف وخمسمائة من الأهالى واحتجوا على هذا التصرف باعتباره ماساً بالآداب العامة . ثم فى الوقت نفسه أحاط المتظاهرون بالسيارة التي تقل الفتيات فحطموها ثم أمسكوا بالبنات فقصوا شعورهن عقاباً لهن على سلوك هذا المسلك . (عن جريدة الاهرام)

وفى روسيا حرمت روسيا على النساء الروسيات ارتداء الملابس القصيرة والأحذية المثقوبة من الأمام والخلف التي تطل منها الأصابع

والأعقاب وحرمت على الرجال لبس البنطلون القصير (شورت) الذى يظهر الأفخاذ ومنعت أن يتأبط الزوج زوجته فى الطريق العام ومنعت عرض أفلام (أشرطة) السينما الأجنبيـة التي فيهـا خروج عن الآداب العامة والاجتماع ومنعت تبادل القبلات فى الشوارع والمنتزهات كما منعت أيضاً نشر الصور العارية والرسوم البذيئة وجردت المتاحف من عرض اللوحات الفنية التي تحوي رسومات أو صور عارية . (نقلا عن جريدة أنترنسيونال دايجست) .

وفى إيطاليا حظر البابا منذ سنوات دخول الكنائس على السيدات اللاتي يرتدين الفساتين القصيرة والأكمام القصيرة والنساء العـاريات الأذرع ولابسات الجوارب التي بلون اللحم (لحم الهوانم) المغرية للشبان والنساء المقصوصات شعور الرأس . وقـد نشر الفاتيكان نشرة عالمية فى جميع الكنائس فى أنحاء العـالم بوجوب مكافحة (الموضة) التي ذهبت بالحياء والحشمة وقتلت الفضيلة . وقد رأى البابا انه لا سبيل الى رد الجيل المتمرد المتبذل الى رشده فـأصدر تعليماته لاعلاء الجيل الجديد وتنشئته على الفضيلة والاحتشام حتى يحل محل الجيل الحاضر المستهتر .

وإذا كان هذا فى أوروبا وأمريكا ومما يحافظ عليه المسيحيون وغيرهم فمنه تعلمين أن الشرف حق مشترك والعقلاء يتنافسون فيه مهما اختلفت بهم المذاهب وتبـاعدت بهم الديار . فمن أحق الناس بهذه الآداب وأية امرأة هي أولى بالمحافظة عليها منك أيتهـا المؤمنة بتعاليم ربها وقداسة دينها وشرف قومها والشجرة الطيبة التي تنبت فى البلد الطيب لا تثمر إلا خيراً مباركا منتفع به . وأنت يا سيدتي (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربهـا

ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) .

الاستئذان على الأهل وغيرهم

لم يترك الدين شيئاً من الآداب السامية والأخلاق الفاضلة إلا وأمر بها وحث عليها ومن ذلك الاستئذان قبل الدخول على أي شخص كان رجلا أو إمرأة وسيان كان الداخل صغيراً أو كبيراً حراً أو عبداً ما دام يعقل ويميز ، والحكمة فى ذلك معروفة والغرض منه شريف إلى الغاية . فللانسان فى خلوته ومع أهله حالات لا يحب أن يطلع عليها أحد من الناس قريباً كان أو بعيداً فتارة يتعرى ويكشف من جسمه ما لا تسمح المروءة والاحتشام بكشفه ولا سيما فصل الصيف وفى البلاد الحارة وتارة يتحدث الزوج إلى زوجته أو يسمع منها ما لو كان يسمعه غيره لشق عليه وتأذى به وقد يتجسس الآباء والأمهات على الأبناء والبنات ويحبون معرفة ما يدور بين النساء وأزواجهن من الأحاديث فتسر أم البنت بحظوتها عند بعلها وتغضب من تقدير ولدها لزوجته وتحتدم غيظاً إذا سمعت منهما الضحك أو القبلات المتبادلة ، وهذا من التجسس الذي نهى الله عنه بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً) ، وقال رسول الله ﷺ : (إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك) ، فسداً لباب التجسس واحتفاظاً

بحرمة المنازل وكرامة سكانها أمر الله بالاستئذان وفصل أحكامه وجعل الناس فيه على قسمين : أولهما ما يجب منه فى بيوت الأجانب والحجر المتعددة فى بيت واحد ، وثانيهما ما لا بد منه بين أعضاء الأسرة وما تقضي به الآداب بين الولد والوالد والأخوة والأخوات وما كان أحسنه منك لو تقرئين حتى تحفظى سورة النور كلها فانها الجامعة لكثير من أحكام النساء وآداب البيوت وحسن المعاشرة ومعظم ما تقدم فى السفور والحجاب من آياتها وإليك ما جاء فيها عن الاستئذان (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ، ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) . وكم كتب الناس من المقالات فى الاستئذان وألقوا فيه من الخطب والمحاضرات وادعى الغربي أنه من آدابه وبرهن الشرقي أنه السابق إلى هذه الفضيلة وأول من تخلق وتدين بها . والذي يهمني معك فى الاستئذان أيتها السيدة هو أن لا تدخلي على أقربائك ولا تقتحمى المنزل على أمك وأبيك بل وحتى على زوجك حتى تستأذني لئلا تري ما تكرهين ولئلا يقابلك أحد بما يسوؤك وربما حملتك الغيرة على تتبع أحوال القرين فتدخلين عليه فجأة أو تنظرين إليه من شقوق النوافذ والأبواب فيغضب منك ويعد هذا مضايقة له وضغطاً عليه فى حريته وتبسطه فى خلوته ، ولا تكوني المرأة الفضولية التي تتبع بصرها كل شيء وترهف سمعها لكل حديث ، فعلى الجيران تتجسس ومن أخبار فلانة تتحسس وإنما

جعل الاستئذان من البصر ومن نظر فى بيت أحد بغير إذنه جاز له أن يفقأ عينه فاذا فعل فلا دية للناظر ولا قصاص فى شريعة الله ، ومن قصرك الشامخ لا تطلي على الأكواخ والبيوت القصيرة المجاورة تتكشفين أحوال سكانها فتسخرين منهم أو يحزنك ما ترين من عيشة السرور والهناء فى العائلات الفقيرة والأسر الكريمة الراضية بما قدر لها من سعة وضيق وفقر وغنى ، وإذا ذهبت لزيارة الأهل والأصدقاء ووجدت الباب مفتوحاً فاستأذني عليهم وقدمي بين يديك الولد أو الخادم الصغير ليستعدوا لمقابلتك ويهيئوا لك من الكرامة ما تقضي به العادة بين المتزاورين لتنحية ما لا يحبون أن تريه من أثاث بال وثياب وسخة ونحو ذلك وأنت لا تأذنين لكل طارق ولا تسمحين لكل داخل حتى تكونى على غاية من الاستعداد واتخاذ ما يلزم ولا تعودي أحداً الدخول عليك فى كل وقت بدون إذن فربما دخل الفراش والسقاء والمرأة التي لا تكتم السر فرأوا منك سوأة واطلعوا منك على عورة فندمت لما كان ولات ساعة مندم ، والأطفال الصغار الذين لم يظهروا على عورات النساء والعبيد المماليك وقد ذهب أمر المماليك ، يستأذنون عليك قبل صلاة الصبح حين تستيقظين من نومك وأنت حاسرة الرأس منفوشة الشعر وعليك ثياب النوم التي تكون مبتذلة أو خاصة بملاقاة الزوج وقبل أن تصلحى الفراش وما يحتاج إلى الاصلاح والتنظيف من الجسم والملابس وكذلك بعد صلاة العشاء وحينما يختلي الرجال بنسائهم وعليهن ثياب الزينة وجميل الحلية والطيب يعبق وكل شيء يضحك فى جو من الأنس والانبساط وفى راحة تتنغص بدخول أي إنسان . وهكذا لو وضعت الثياب وتخففت مما عليك وقت الظهيرة والقيلولة إذ

الحر شديد والناس فى غفلتهم والأطفال يلعبون وينقلون أحاديث البيوت الى الأهل والزملاء . والمقصود ان الطفل وإن كان لا يفهم شيئاً يتمرن بالاحتجاب عنه ويتعود الاستئذان حتى على أمه وأخته . وقد لا يدرك الشيء بحقيقته ولا يدري لما خلق له ولكنها صورة تنطبع فى نفسه وأمر لا ينساه أبداً فيذكره كبيراً ويعرضه الشيطان عليه بعد عشرات السنين ، ومن أجل ذلك يقول الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم من بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) .

وإذا شاخت المرأة وصارت عجوزاً لا يرغب فى نكاحها فلا حرج عليها أن تضع النقاب والجلباب وتظهر من نفسها ما يجب ستره من الصغيرة المرغوب فيها بشرط أن لا تتبرج بزينة ولا تتعرض للرجال بفتنة فلكل ساقطة لاقطة . وقد تثور شهوة الرجل حين يرى الأجنبية وإن كانت قبيحة شوهاء ويفضلها على امرأته الجميلة الحسناء ، وبضاعة الشيطان نافقة فى أسواق الفتنة . والعجوز الخبيثة أعرف بقلوب الرجال وأبصر باستمالتهم والضحك على أذقانهم من الصغيرة المحتشمة المستحية (وربك يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) . (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم) .

واليك من كلام رسول الله ﷺ فى الاستئذان خمسة أحاديث ينفعك الله بها إذا حفظت وعملت بمقتضاها . قال عليه الصلاة والسلام « الاستئذان ثلاث فان أذن لك وإلا فارجع » وقال أيضاً « إنما جعل الاستئذان من أجل البصر » واستأذن رجل من بني عامر على رسول الله ﷺ وهو في بيته فقال أألج ؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه : أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل . فسمعه الرجل فقال السلام عليكم أأدخل فأذن له النبي ﷺ فدخل . وقال كلدة بن الحنبلي رضي الله عنه أتيت النبي ﷺ فدخلت عليه ولم أسلم فقال النبي ﷺ ارجع فقل السلام عليكم أأدخل . وأتى جابر بن عبدالله رضي الله عنه ودق باب النبي ﷺ فقال من ذا فقال جابر أنا فقال النبي ﷺ أنا أنا ، يعيب على جابر قوله ويرى ان هذا التعريف ليس بكاف وانه كان ينبغى له أن يقول أنا فلان . وكثير من الناس من تسأله عن نفسه ومن هو فيقول معروف أو صديق ويدق الباب فتقول له من أنت فيقول أنا وهذا ما لا يحصل به الغرض ولا يقع به التعريف ولا سيما إذا كنت لا تعرفه من قبل أو لا تميزه بصوته إذا تكلم . وإذا سئلت أنت عن نفسك ومن أنت فقولي فلانة ولا تجعلي الناس إذا أذنوا لك بالدخول فى شك من أمرك وريبة من دخولك عليهم وهم لا يدرون لماذا أتيت ولا أي شيء تريدين . وليس من الأدب أن تذهبي مع صواحبك الى أي مكان إلا بدعوة خاصة أو سابق استئذان ولا تكوني من المتلثمات المتغررات اللواتي يغشين المنازل ويحضرن الحفلات للتجسس والدخول فيما لا يعنيك . ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه . والناس يقولون من دخل فيما لا يعنيه لقي ما لا يرضيه .

وهنا شيء آخر لا يفوتني أن أحذرك منه وهو ان المرأة قد تفضي اليك بسرها وتحدثك عن بعض أمرها فتذهبين تفشين الحديث وتظهرين السر وذلك ما لا يليق منك مع من وثقت بك وأفضت اليك بما فى نفسها . وإذا تعودت قيل وقال وتشبهت بالفساق من النساء والرجال غضب الله عليك وصرت غير مصدقة ولا محترمة .
(فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) .

الحفلات والولائم

للناس فى مختلف العصور والبلدان عادات قبيحة وحسنة ، ولكل أمة تقاليدها الموروثة المتبعة . وللعرب قبل الاسلام فى العيد والزواج والختان والموت والانتصار وقدوم المسافر من العادات شيء كثير أقر منها الدين بعضاً وأنكر بعضاً . والمرأة فى كل جيل أشد من الرجل تمسكا بالعادة وأكثر منه متابعة لما عرفته من تقاليد أمها وأبيها . ولذلك تقول أم عطية رضي الله عنها : أخذ علينا النبي ﷺ عند البيعة أن لا ننوح فما وفت منا امرأة غير خمس نسوة أم سليم وأم العلاء وابنة ابي سبرة امرأة معاذ وامرأتين أو ابنة ابي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى وتعني نفسها رضي الله عنها . وعندنا اليوم حفلات كثيرة تقام لمناسبة ولغير مناسبة وعليها تنفق الأموال من الحرام والحلال ويكلف أصحابها النساء والرجال أنفسهم ما لا يطاق ولا يحتمل من طعام وشراب وفراش ولباس وزينة ولهو وطرب وطيب وقراءة وما يعرف عندنا بالحباق والمطواية فتذبح الذبائح وتنصب القدور ويتفاخر

الأغنياء والفقراء بما ينفقون فى المآتم والولائم وإن أصبح الغني فقيراً وصار الفقير مديوناً وتعدى الكبير على حق الصغير ولعب الوصي والقيم بمال اليتيم .

الحفلات الدينية

وللدين حفلاته وإجتماعاته ومنها المباح والمستحب والواجب وتكون فى المعابد والمدارس والبيوت والمقابر ويشترك فى إقامتها الرجال والنساء ويحضرها الصغير والكبير والرئيس والمرؤوس فالى الحج يأتى المسلمون من كل بلاد بعيدة وفج عميق وعلى كل ضامر وسابح وطائر سريع ، وفى مكة المكرمة وعند بيت الله الحرام فى مهبط الوحي ومنبت الرسالة المحمدية يجتمعون زرافات ووحدانا ، ويلتقي الشرقي بالغربي ويختلط الآسيوي بأخويه الأوروبي والأفريقي ليشهدوا منافع لهم وليذكروا اسم الله فى أيام معلومات (ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) ، وهناك يتوجهون إلى الله بقلوبهم وقوالبهم وينصرفون عن شهواتهم وملذاتهم فتكشف المرأة وجهها وتصلي وتطوف مع الرجل الأجنبي لا تخاف فتنة ولا تخشى مكروهاً ، وقد يلمس الرجل المرأة الأجنبية وهما كبيران ولا حائل فيستمران فى الصلاة والطواف ولا ينتقض الوضوء ولا ينقطع العمل عند أبي حنيفة والقائلين بعدم النقض إلا مع الشهوة ، ويوم الوقوف وليلة النحر وأيام التشريق يقع فى عرفات ومزدلفة ومنى مثل هذا الاجتماع ولا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وفى العيد يجتمع أهل البلد

الواحد فى مكان واحد يرفعون أصواتهم بالتكبير ويملأون الطرق آمين المصلى وراجعين وقد حضروا الصلاة واستمعوا الخطبة واشتركوا جميعاً فى مراسم العيد وتبادلوا هنالك التحيات والتهاني ، ويستحب للامام أن يرفع صوته بالخطبة حتى يسمعه النساء وهن من وراء صفوف الرجال فان اتسع المكان وكثر الحاضرون ذهب إلى النساء يعظهن ويذكرهن ويأمرهن بالخير ويحثهن على الصدقة وهن والله أسرع إجابة إلى الخير من كثير من الرجال فبالعواطف الرقيقة والقلوب الطاهرة الرحيمة يجدن بالمال الكثير ويتقين الله فيما أمر به ونهى عنه ، وقد أمر النبي ﷺ فى العيد أن يخرج العواتق والحيض وذوات الخدور ، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة وفى لفظ المصلى ويشهدن الخير ودعوة المسلمين ، قالت إمرأة من الأنصار : (إحدانا لا يكون لها جلباب قال لتلبسها أختها من جلبابها) ، وخرج ﷺ يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما ثم أتي النساء وبلال معه بعد الخطبة فأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تصدق بخرصها وسخابها وبلال يجمع الصدقات فى ردائه لينفقها النبي ﷺ فى سبيل الله وحيث أراه الله ، وللجمعة والجماعة يؤمون المساجد ليقيموا الصلاة ويقرأوا القرآن ويسمعوا الخطبة وما يلقي الأئمة والوعاظ من الدروس المفيدة والنصائح النافعة فيكون النساء من وراء الصفوف وعليهن ثياب العفة يتجلببن الحياء ويتبرقعن الحشمة فأصواتهن منخفضة وأبصارهن منكسة ولكن القلوب حاضرة والآذان واعية فالمناقشات العلمية والمباحثات الأدبية تضرب للناس المثل الأعلى من سماحة الاسلام فى حرية أهله الذكور والاناث ، وقد ثبت أن إمرأة ردت على عمر بن الخطاب وهو على المنبر

وكان الحق معها فأنصف من نفسه وقال بكل صراحة وشجاعة : (أصابت إمرأة وأخطأ عمر) ، ومن وراء الستر وحلق الذكر كانت المرأة تناقش وتجادل العلماء الكبار فى عصر الصحابة ومن بعدهم من أمثال عبدالله بن عمر ترد عليه عائشة رضي الله عنهم ، وأبو حنيفة ومالك بن أنس وخلق لا يحصون من العلماء كان النساء يحضرن دروسهم فيسألن ويسألن مفتيات ومستفتيات ، وحين تشيع الجنائز يستحب كثرة المشيعين لها والمصلين عليها ولكن المرأة يكره لها الحضور بل يحرم لضعف نفسها وكثرة جزعها وقد نهى النبي ﷺ عن متابعة النساء للجنائز وكان ذلك حين أخذ عليهن البيعة ، وقد تكون وليمة العرس والختان وختم القرآن من الحفلات الدينية وللمرأة نصيبها الأوفر من هذا كله .

الحفلات المحرمة

وثمة حفلات أخرى يحرمها الدين وينهى عنها كحفلات الزيارة والزار وبعد الموت بعدة أيام وحين تخرج المرأة من عدة الوفاة وإذا طلق الرجل ضرتها وهي الطبينة وإذا خرج المجرم من سجنه ولأشياء تافهة تقام هذه المهرجانات ويبالغ الناس فى النفقات عليها وتنذر المرأة على نفسها إن شفي مريضها أو عاد غائبها أن تجمع النساء وتضرب الطبول وترقص وتعطرف وأن تعمل كذا وكذا مما يحل وما لا يحل فلا تسألي يا سيدتى عما يكون من المنكرات وكبائر الذنوب فى الحفلات الأثيمة والمجتمعات الشيطانية من أمور تعافها الطباع وتأباها العقول ويحرمها

الدين ، ومتى كان عندك ذرة من علم أو عقل عرفت خطورتها وأدركت ما تشتمل عليه من المصائب والآفات ، فأما الزيارات وهي المواسم السنوية التي تقام عند أضرحة الأولياء والصالحين ويزعمون أن ذلك تعظيم للمقبور واعتراف له بصلاحه وكرامته على الله ففيها يختلط الحابل بالنابل ويتزاحم الرجال والنساء جنباً إلى جنب ويحتك زيد بهند وتغازل زينب عمرواً وبكراً وخالداً وترين لا أراك الله شراً ما تذوب له قلوب المؤمنين حسرة ويحمر له وجه الانسانية خجلا من الفحش والخنا واللواط والزنا وسجود على الأعتاب وتبرك بالخرق والتراب وقبلات على الخدود وأكف السدنة وخشب التوابيت والأبواب وشرب خمر ولعب قمار ومحاربة علنية لله ولرسوله باستباحة المحرمات وانتهاك الحرمات فتنتشر البغايا بزينتهن وجمالهن يتعرضن للرجال متمردات على الدين والفضيلة وبسببهن تتهم العفيفة وتقذف المحصنة ويقال فى المحجبة ما لا يحل من القول فلا تحضري هذه المحافل ولا تظني الخير يأتيك من هذه الطريق فانما البركات من الله وإنما تكون الزيارة لتزهد فى الدنيا وترغب فى الآخرة ، وفى الحديث الشريف (لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) . ورأى النبي ﷺ النساء خارجات إلى المقبرة فقال لهن : (أرجعن مأزورات غير مأجورات) وإذا أردت زيارة والديك أو بعض أقاربك المتوفين فلا تخرجي من البيت إلا ومعك زوج أو محرم وقد ملأ الايمان قلبك فلا تنوحي ولا تصيحي ولا تعانقي القبر ولا تفعلي شيئاً يحرمه الدين أو يخل بالمروءة ولكن تقفين خاشعة مترحمة على الميت داعية له متصدقة عليه بما تيسر ، فهذا هو المشروع المطلوب وما سواه باطل ، وأنت أجل من أن تشابهي الجاهلات

والمشركات بدعوة الأموات والاستغاثة بهم وطلب الشفاعة والتماس الزوج والولد من أحد منهم كائناً من كان . ومثل الزيارات ما يكون فى البساتين والحدائق وعلى شواطئ البحر ومختلف المنتزهات من الاختلاط المحرم والاجتماع الخبيث بعد الصبح والعصر الى منتصف الليل وحيث لا قمر ولا سراج والنسيم عليل والبحر هادئ والحارس نائم والمراقب غافل فيقع الشر ويدخل الصيد فى شباك ابليس . وقد عرفت مصر والشام وغيرها من البلاد الاسلامية المتأثرة بتقاليد الغرب ما أصيبت به الأمة فى أخلاقها والأسرة فى شرفها ومالها من هذا الاختلاط . وفى مصايف الاسكندرية وجبال لبنان وكذلك يوم شم النسيم والأربعاء الأخير من شهر صفر وفى الأحواش وعلى مقابر الأموات يوم الفطر والنحر من هذا النوع شيء كثير . أما السينما ومسارح التمثيل وما تجر اليه من البلاء فغير خاف على من يشاهدها ويعرف أمرها فانه مع الاختلاط يقع الغمز والهمز ويتشبه الرجال بالنساء وبالعكس وتتعلم الفتاة كيف تغازل وتعشق. وتخرج عن طاعة أهلها وكيف تسير مسرعة الى الهاوية وما ترجع الى بيتها إلا وقد انطبعت فى ذهنها الصور الخبيثة والمناظر المؤلمة فتحب من الأزياء ما رأته وتعتقد أنها الشقية بنت الشقية إذا الحظ لم يسعدها بمثل تلك الملابس وإذا لم تكن هي المرأة المعشوقة الفاجرة والاسلام يربأ بك يا سيدتي عن هذه الدنايا ويصون كرامتك إن تلوث بحضور هذه الحفلات .

حفلة الزار

وأكبرها إثماً وأخبثها وصفاً وأعظمها مقتاً عند الله وملائكته والناس أجمعين الزار ، وهو مرض عصبي خبيث يطرأ على كثير من الرجال والنساء ويزيد بالغم والهم والانحباس فى البيوت والامتناع من الرياضة ، ويخفف من حدته الفرح والسرور والرياضة فى الأماكن ذات النسيم العليل والهواء البليل . وكثير من الأطباء قد تخصص بعلاج هذا المرض ولهم فيه طرق شتى كلها ناجعة ومفيدة . غير ان المرض فى بعض الأحيان قد يكون شديداً أو مزمناً أو حدثت له مضاعفات أخرى فينشأ ذلك عن تأخر البرء وعندئذ يتوهم المصاب به ان طائفاً من الجن يمسه بأذى وان الشياطين قد تسلطت عليه فأنزلت به ما يعانيه من شدة الألم ولا شفاء ولا طب إلا عند أولئك المتخصصين بهذا الشأن . وله مشائخ ملعونون من الرجال والنساء ، وأساليب العلاج عندهم كثيرة وكيفية المداواة مختلفة باختلاف المشائخ وعاداتهم .وما يطلبه العفاريت من بني مامن وبني الأحمر وغيرهم من الجن فى الحبشة والسودان ومصوع وهم فى مصر من الصعيد والمغرب والنوبة وغير هذه الأماكن .

ولعلك أيتها السيدة العاقلة تدركين من هذه الأسماء والنسب ان منشأ هذا المرض أو التمرض به ليس إلا فى القارة الأفريقية وفيها ظهر ومنها انتشر الى مختلف البلدان الاسلامية وقبل سنوات قليلة كانت المرأة فى اليمن الامامية لا تعرف شيئاً عن الزار ولا تدري ما هو . وقد ضج من الزار ومضاره الفقهاء والأطباء وسائر العقلاء في مصر وسوريا

وعدن التي فرض القانون فيها العقوبة على من يقيم حفلة الزار بحبس شهر أو تخسير مالي قدره خمسون روبية ويؤسفنا ان هذه العقوبة لم تنزل بأحد من أولئك المجرمين إلا مرة أو مرتين . وقد استفحل أمر الزار في هذه البلاد وما حوالبها فضاعت به الأموال والعقول وضحك به النساء على الرجال وتغلب به شياطين الانس والجن على أتباعهم وارتفعت أصوات الطبول على أصوات المعارضين فيه والمنكرين له .

وأنت أعلم بما يكون فى بيوت الزار من المنكرات وما يقع معه من الشرك بالله ومخالفة أوامره وارتكاب معاصيه بطاعة الشياطين وشرب الدم وكشف العورات وما إلى ذلك . وللعلقة وتسمى فى مصر بالكدية ، مهارة فى ابتزاز الأموال وسلب العقول فتسمى المريضة عروساً وتطلب لها ما يطلب عادة للعرس والعروس كل على حسب درجته ومقدار بسطته فتطلب أنواعاً من الحلي وأصنافاً من الملابس وتعين ما شاءت من الخرفان والدجاج . وقد تركب المصابة بالزار الكبش أو التيس المهيأ للحفلة وتضرب لها الطبول والدفوف الضربة التي يريدها الشيطان .

وهناك يحصل للمريضة هزة الابتهاج بالدفوف والغناء ونشوة الفرح بهذا المهرجان العظيم فتهدأ أعصابها فتسكن آلامها فتعتقد كما يعتقد غيرها ان ذلك من فعل الجان وما لهم عليها من السلطان ، وتشعر بخفة الألم أو زواله مدة طويلة أو قصيرة فما يلبث المرض أن يعاودها وما تسمع بالزار أو تراه إلا وعادت كما كانت . ولها فى حياتها وأمر معيشتها نظام خاص فهى لا تلبس إلا ما يلبس أترابها ولا تمشي حافية ولا يمر من خلفها شيء ولا يستقيم أحد عند رأسها ولا تعجب من شيء أو تشتاق اليه إلا ورفعت صوتها بالجشأ وقالت لصاحب رأسها أبشر ، لا بشرها الله

بخير .

حفلة الزار في مصر

ولكثرة ما أحس به من ألم هذه العادة القبيحة ولتعلمي أيتها المرأة اليمنية ما يقوله علماء مصر العزيزة في معصية الزار ووصف حفلاته أنقل من كتاب لسان المنبر لأحد خطباء مصر المشاهير ما يأتي . قال حياه الله :

وبعد الزفاف تذبح الذبائح وتصبغ جسمها وملابسها بالدم وتقام الولائم للسيدات مشتملة على ما لذ وطاب من أصناف الطعام وأنواع المأكولات وكثير من الخمر والمشروبات المحرمة فيأكل القوم مريئا ويشربون هنيئا . ثم يبتدئ الزار بطبل نعوذ بالله من صداه فهو يقرع الآذان ويؤذي الأعصاب السليمة ويقلق راحة الجيران وأهل الحي يصحبه ترنيم قبيح ممقوت يملأ القلوب المطمئنة فزعاً ووجلا ، يقوم به جماعة مأجورون يجلبون لهذا الغرض وهم خليط مشؤوم من الرجال والنساء قد علت وجوههم غبرة ترهقها قترة أولئك هم الفسقة الفجرة تلك التي يعرفونها بالكدية وأعوانها الأشداء قد أتقنوا هذه المهنة وتفننوا فيها وبرعوا في أساليبها وعرفوا جيداً كيف يرتلون العبارات التي تهيج الأعصاب وتثير المشاعر في لهجات حماسية على دق الطبول ووقع الآلات فتتحرك أعصاب المرأة وتعروها هزة العصفور بلله القطر . ومن ثم تقوم بحركات أشبه بحركات الراقصة ثم تشتد رويداً رويداً حتى تتوتر أعصابها ويغلي بالدم رأسها فتفقد في الغالب رشدها وتنقلب

الحالة الى حركات ثورية جنونية قد تقطع فيها المرأة ثيابها وتحل شعرها وتكشف عورات جسمها وتكون في حالة يرثى لها وتبقى كذلك الى أن تخور قواها فتسقط على الأرض لا تلوي على شيء من فرط ما أصابها من إعياء وتعب وعندئذ يتولى هؤلاء الأعوان رفعها بحالتها هذه ويكون جسمها العاري الذي بدت عورته تحت تصرف هؤلاء المناحيس . ثم تقوم غيرها من الحاضرات فتأخذ دورها . وهكذا دواليك يستمر الحال حتى يقضي الليل نحبه ويدرجه المقدار في كفن الفجر . وتمكث الحالة على هذا المنوال ثلاثة أيام بلياليها ثم ينفرط عقد الحفلة ولكن بعد أن يضج الجيران ويتبرم سكان المنازل القريبة من شدة ما اعتورهم من أذى ضيع عليهم كثيراً من راحتهم وهجوع أجسامهم فى أعماق الليل . هكذا تنتهى الحفلة ولكن بعد أن تترك البيت قاعاً صفصفاً وخراباً بلقعاً قد دب فيه دبيب الجمود واليأس والفناء بعد أن كان مليئاً بالحركة والنشاط والأمل الحلو وتلوح على محياه أمارات الحياة . تنتهى الحفلة ولكن بعد أن تقضي على الأخضر واليابس وتأتي على القليل والكثير وتذيب الشحم وتأكل اللحم وتدق العظم وتجعل المنزل فى فقر مدقع وموت أدبي فضيع قد تراكمت عليه الديون وألحف فى الطلب المستحقون وسرعان ما يأفل نجمه بعدأن كان يتلألأ عالياً فىأفق الحياة»

أيها الرجال المسلمون ألا إن الزار وصمة عار فى جبينكم ، ألا إن الزار عيب كبير فى حقكم ، ألا إن الزار فضيحة كبرى لنسائكم ، ألا إن الزار هتك لأعراضكم ، ألا إن الزار فسق حاصل برضائكم ، ألا إن الزار خسارة لبناتكم ، ألا إن الزار شقاء لبيوتكم ، ألا إن الزار ضياع لأموالكم ، ألا إن الزار تخنث وخلاعة لا تتفق مع رجولتكم

وشهامتكم ونخوتكم الاسلامية وغيرتكم الدينية . أيها الأخ المسلم كيف تقبل على شرفك أن صعلوكاً مأجوراً دنيئاً ربما كان أقل شأناً من خادمك يطلع على عورات بيتك وينصرف فى جسم إمرأتك أثناء حفلة الزار ، وقد اختلط الحابل بالنابل وغاب الرشد وضل الصواب ! أين أنت من هذه المخازي والفضائح التي تجري فى بيتك بعلمك ورضاك وتدفع أنت ثمنها من جيبك باهضاً وتنفق الأموال بسخاء فى سبيل قيام هذه الثورة ضد الأخلاق والآداب تنتحر فيها الفضيلة وتروج الرذيلة وتستغيث الانسانية من فرط ما أصابها من ألم :

من أجل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان فى القلب إسلام وإيمان

ليت شعري لماذا لا يلبس الجن والشياطين إلا السيدات المسلمات اللائي يقرأ فى بيوتهن القرآن وتقام الصلوات ويقال لا إله إلا الله محمد رسول الله ؟ ولماذا لا يعرف الشياطين طريق السيدات الأجنبيات وهن يعشن بين ظهرانينا فى هذا البلد جنباً لجنب ، ولكن يلوح أن الجن والشياطين يخشون أيضاً سلطة الأجانب كما نخشاها نحن معاشر الانس المصريين ، ويرهبن سلطان الحماية والامتيازات كما نرهبها ، فهم لهذا يختصون النساء المسلمات الوطنيات بهذا الأذى دون أخواتهن الأجنبيات فاللهم لا حول ولا قوة إلا بالله .

المآتم والاعراس

ومن المنكرات عند كثير من المسلمين ان الميت الفقير الذي لم

يخلف شيئاً أو الغني الذي يترك ذرية ضعفاء وأطفالا صغاراً لا ينزل به قضاء الله المحتم وتفارق الروح جسمه إلا وقد اتخذ اهله التدابير اللازمة في عرفهم لاقامة المــآتم وما يصرف عليها أيام التعزية واذا نعى اليهم وقد اجتمعوا من كل مكان ارتفعت الاصوات بالبكاء والعويل ثم تخفت قليلا حتى تخرج الجنازة وهناك تلطم الخدود وتشق الجيوب ويكثر الضجيج ويفرغ المكان الذي مات فيه فينقل الاثاث ويرفع السرير ويفرش الحصير وتقبل النساء من مختلف الشوارع والحارات وعليهن ثياب الحزن ومظاهر الكآبة وكلما دخلت منهن واحدة ولولت وصاحت ويجاوبها اخواتها بمثل ذلك وأعوذ بالله من صوت النائحة التي بندب الميت وتعدد شمائله وتذكره بما فيه وما ليس فيه وتبكى عليه صادقة وكاذبة وقد لا يكون في قلبها مثقال ذرة من حزن ولكنها تتصنع مستأجرة أو مجاملة . وفي الحديث الشريف (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) . وتبرأ النبي ﷺ من الشاقة والحالقة والصالقة وقال : (النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران أو جرب) وقال أيضاً : (تجعل النوائح يوم القيامة صفين ينبحن على اهل النار كما تنبح الكلاب) وما من احد إلا وهو يعلم ما جاء في النياحة من الوعيد الشديد والنهي العظيم ولكني ازيدك تخويفاً وترهيباً من تعديد أوصاف الميت واقول لك ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه ولا سيما ان اوصى به أو ارتضاه كما كانت اهل الجاهلية تفعله ويقول المؤرخون أن عبدالمطلب بن هاشم لما حضرته الوفاة جمع بناته الست وقال لهن كيف ترثينني بعد موتي وما ذا ستقول كل منكن فأسمعه بناته شعر التعزية حتى رضي عنهن وقال انه

سيموت قرير العين ومن شعر ابنته صفية رضي الله عنها :

ارقت لصوت نائحة بليل على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذلكم دموعي على خدي كمنحدر الفريد
على رجل كريم غير وغل له الفضل المبين على العبيد
على الفياض شيبة ذي المعالي ابيك الخير وارث كل جود
صدوق في المواطن غير نكس ولا شخت المقام ولا سنيد
طويل الباع أورع شيظمي مطاع في عشيرته حميد
رفيع البيت ابلج ذي فضول وغيث الناس في الزمن الحرود

وقالت بنته عاتكة :

أعيني جودا ولا تبخلا بدمعكما بعد نوم النيام
اعيني واسحنفرا واسكبا وشوبا بكاءكما بالتدام
على الجحفل الغر في النائبات كريم المساعي وفي الدمام
على شيبة الحمد وارى الزناد وذي مصدق بعد ثبت المقام
وسيف لدى الحرب صمصامة ومرد المخاصم عند الخصام

وما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبلاه واسيداه او نحو ذلك الا وكل به ملكان يلهزانه هكذا انت ويقول النبي ﷺ (ان الميت ليعذب ببكاء الحى اذا قالت واعضداه واماناه واناصراه واكاسياه جبذ الميت فقيل أناصرها انت أكاسيها انت) ويندب أن يصنع الناس طعاماً لأهل الميت لأنه قد جاءهم ما يشغلهم وقد أمر النبي ﷺ بذلك لآل جعفر ابن أبي طالب لما جاءهم نعيه رضي الله عنه ولكن الأمر اليوم على عكس ذلك فيا لله من تعب وعناء يلقاه أهل الميت من ضيوفهم والمعزين الذين لا يزيدونهم على ما نزل بهم إلا مشقة

وعنتاً واذا اجتمع النساء وغص بهن المكان وانتهين من الندب والنياحة فحينئذ تسمعين النقد والعتاب والغيبة والنميمة وقالت فلانة وفعلت الأخرى فغمز وهمز ولمز وسخرية واستهزاء والله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) . وعند الكلام على العدة في هذا الكتاب سيأتي مزيد انكار على ما تصنعه المحدة على زوجها وما يفعله بعض النساء من العادات القبيحة اذا مات لهن قريب أو صديق ومثل هذه التكاليف ما يكون في ولائم العرس من لمور محرمة شرعاً وعقلا ونفقات باهضة وتكاليف مرهقة ومفاخرة بين السيدات بالملابس والحلى وما يتمدحن به ويدعينه من الحق والباطل ولئن كنا نعيب على الرجال ما يفعلون من لهو وطرب ورقص وخمر وخلاعة ومجون واسراف في إقامة الولائم وزفاف كل من العريسين ومغالاة في المهور والجهزة وهي الدفع وغير ذلك ، فمنك نكر يا سيدتي ونعيب عليك أن تكوني من أولئك النسوة اللاتي يكلفن أزواجهن فوق طاقتهم ويطلبن لبناتهن ما لا يستطيعه الراغب في الزواج والمصاهرة فأما أن يتأخر ويعجز عما يراد منه ويفوت البنت حظها ويهاب الآخر أن يتقدم الى اهلها بخطبتها وتصبح عانسة عجوزاً وينصرف عنها الراغبون فيها فتصاب بالسل أو السرطان أو الجنون وتلعن في سرها الحائلين بينها وبين الزواج بتلك العادات القبيحة والشروط السخيفة ، وإما أن يتم الزواج وقد سئم الرجل من طلبات النساء وكره الراحة الزوجية وفضل العزوبة والانفراد على مقارنة الأبكار .

والثيبات وكثرة ما يقال له من هات وهات فيقع الطلاق ويحصل الفراق والويل ثم الويل لهما ان كانت المرأة قـد ولدت فى سن مبكر أو حملت قبل انتهاء شهر العسل . وإذا حضرت شيئاً من هذه الحفلات فاقنعى بما ترين ولا تنتقدي الناس فى بيوتهم ولا تهزئي بأخواتك الحاضرات ولا تعيبي العروس أو ربة المنزل بما يكدر صفوهـا أو يغير سرورها ولا تتحكمى على الناس فى أذواقهم فلا تكوني فضولية تقول لو كان هذا كذا لكان أحسن ولو فعلوا كذا وكذا لكان أجمل وبالجملة فانه يجب عليك اذا حضرت الوليمة أو المأتم أن تشاركي أهلها فى السرور والحزن آمرة بالمعروف وناهيـة عن المنكر فى منتهى الأدب ومراعاة الخواطر إلا إذا انتهكت حرمات الله أو تعديت حـدوده فأنت المنفذة فى جميع ما تقدم لقول الله عز وجـل : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكـم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) .

تعليم المرأة

يتجنى على الاسلام أعداؤه ويقلدهم الجاهل والدعي فيقولون اثمـاً ويدعون باطلا وينسبون الى الدين ما هو منزه عنه زاعمين أنه يحول بين المرأة وبين العلم ولا يجعل لها نصيباً من العلوم الدينية والدنيوية ويحرم عليها القراءة والكتابة (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخـدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) . فيروون كذباً على رسول الله ﷺ أنه قال : (لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابـة) وهو موضوع منـكـر ويستشهدون بقول الجاهل الماجن :

ما للنساء وللعمالة والخطابة والكتابة
هذا لنا ولهن منا أن يبتن على جنابة

وربما كان هذا من فقيه ديني حسن النية يصدق ما قيل له ويعد ذلك حماية للفضيلة من عبث المرأة لا يفرق بين صالحة وطالحة وشرب الدواء النافع عنده مثل شرب السم الناقع ، واين عدونا الجاحد وصديقنا الجامد من قول نساء الصحابة رضي الله عنهن : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتك فيه تعلمنا مما علمك الله قال اجتمعن يوم كذا وكذا فى موضع كذا وكذا فاجتمعن فأتاهن النبي ﷺ فعلمهن مما علمه الله ، ومن أنه ﷺ كان يرغب الرجال فى تعليم نسائهم الحرائر والموالي ويقول : (ثلاثة لهم اجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله أجران) . وكان فى امهات المؤمنين من تقرأ وتكتب وتروى الشعر والتاريخ وتحفظ من القرآن والأحاديث ما يرجع اليه كبار الصحابة فى التشريع من الأمور التى ما كان يطلع عليها من النبي ﷺ غيرهن كشؤون البيت ومعاملة الأهل والزوجات وما هو خاص بالنساء من مسائل الطهارة والصلاة والحيض والنفاس والحمل والرضاعة ونحو ذلك . وان عائشة الصديقة رضي الله عنها لتروي من الأحاديث الفا ومئتين وعشرة وتستنبط الأحكام من أدلتها وترد على من هو أكبر منها سناً وأقدم صحبة وملازمة لصاحب الشريعة ورأيها فى البكاء على الميت وحفظ الشعر والسعى بين الصفا والمروة والعمرة فى فى رمضان يخالف رأي عمر بن الخطاب وابنه عبدالله وعروة بن الزبير

وغير هذا أكثر من هذا . وحفصة رضي الله عنها كانت تحسن القراءة والكتابة وقد وضعت عندها المصاحف حين قتل ابوها لأنها تستطيع ضبطها والمحافظة عليها حتى تسلمها عثمان منها وهي تلميذة لأم عبدالرحمن الشفاء بنت عبدالله التي قال لها النبي ﷺ ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة . ولنساء المهاجرين والأنصار والتابعين لهم باحسان منزلة فى العلم لا تنكر وكم أخذ العلم من الرجال البارزين عن أولئك السيدات اللاتي كانت تعقد لهن الحلقات من وراء الحجاب . فعن النبي ﷺ يأخذ الحديث أكثر من سبعمائة امرأة يتتلمذ لهن كثير من الصحابة وفحول العلماء ويروي الحافظ بن عساكر الحديث عن أكثر من ثمانين إمرأة فيما بين سوريا والعراق فقط . ومن الشهيرات بالعلم والفضل والأدب فى بلاد اليمن الشريفة دهماء بنت يحيى بن المرتضى التي شرحت كتاب الأزهار من فقه أهل البيت في اربعة مجلدات ولها شرح على منظومة الكوفي في الفقه والفرائض وشرح لمختصر المنتهى ودرست الطلبة بمدينة ثلا ، والشريفة زينب بنت الامام المتوكل القاسم بن الحسين وكذلك زينب الشهارية . قال في ترجمتها شيخنا السيد محمد زبارة أنها قرأت في النحو والمنطق والأصول والنجوم والرمل والسيميا ، وعرفت ذلك وبرعت في الأدب وكانت لطيفة المذاكرة حسنة المحاضرة تذاكر بالعلوم ولا يمل حديثها مع عفة وسكينة وشعرها قوى المعاني متين المباني وهو كثير ومنه قولها :

ألا من منصفي من جور خل ... طمعت بأن أنال به رجائي
ليرفع رتبتي ويشيد قدري ... جهاراً غير محجوب الثناء
على ما باعه من دون فترى ... ومن لم يسو خطواً من خطائي

ولا سبق له مثلي بمجد وإين وأين. أرض من سماء
يساوي بالبغاث البـاز ظلماً ولم يدر الظلام من الضياء
فيا من قاسني بالضـد مهلا لقـد قست الثريا بالثراء

ومن عرف الأدب العربي وقرأ تاريخ الاسلام وجـد من شهيرات النساء بالعلم والفضل والشعر والتدريس والرواية عدداً لا يحصى بعصر والشام والعراق واليمن والمغرب والأندلس وسائر البلدان الاسلامية حتى قال شوقي رحمه الله :

هـذا رسول الله لم ينقص حقوق المؤمنات
العـلم كان شريعة لنسائـه المتفقهـات
رضن التجارة والسيا سة والشؤون الاخريات
ولقـد علت بنـاته لجج العلوم الزاخرات
كانت سكينة تملأ الد نيـا وتهزأ بالرواة
روت الحديث وفسرت آي الكتاب البينات
وحضارة الاسلام تنـ طق عن مكان المسلمات
بغـداد دار العالمـا ت ومنزل المتأدبات
ودمشق تحت أميـة أم الجوارى النابغات
ورياض اندلس نميـ ن الهاتفات الشاعرات

ولسنا نقول بإباحة شيء من العـلم للمرأة دون آخر إلا ما يختص بالرجل كالرياضة والفروسية والمحاماة ونحو ذلك ولا نقصرها على حفظ بعض آيات واحاديث خاصة أو نلزمها الاشتغال بمهنـة دون أخرى كما يقول المعري :

علموهن الغزل والنسج والر دن وخلوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد وبالاخلاص تجزي عن يونس وبراءة

كلا ولكن إذا تعلمت المرأة فاللائق بها والأصلح لها تعلم الدين وأحكامه وتدبير المنازل وأصول التربية وما لا بد منه لصحة الابدان والعبادة والمعاملات فالتي تساعد زوجها على حياته وتنظيف البيت وتمهد الفراش وتنسق الاثاث على ما يرام خير من التي تقرأ الجرائد وتكتب المقالات وتطالب بحقها في الانتخابات ومشاركة الرجال في مجلس الشيوخ والنواب وهي لعمر الله لا تصلح لشيء من ذلك . ولا نريد من تعليمك إلا أن تكوني عضواً عاملا فيما تقدرين عليه متقنة لما تباشرينه صالحة للزواج والأمومة عارفة لما يتطلبه الحمل والولادة والرضاعة والتربية والطب والتدبير الصالح في حسن زي وسلامة ذوق وطهر نفس لا عفيفة ساذجة ولا متعلمة متهمة . وإياك وقراءة ما يضر بك في عقيدة أو خلق كقصص الف ليلة وليلة ودواوين أبي نواس ومسلم بن الوليد والشاب الظريف وكتب الخرافات والمناقب المكذوبة وأساطير الأولين عن طسم وجديس وعوق بن عنق وذات العماد والحكايات التي لا أصل لها عن الجن والعفاريت والأشباح المخيفة وما تأتي به الأفلام الخبيثة والجرائد الملعونة من أخبار المجرمين ومغامرات الأشرار في العشق والسرقة ومن صور العاريات المستهترات بالفضيلة والدين .

المتعلمات

ولا ينبغى لك أيتها المتعلمة أن تكوني وبالا على الأمة والبلاد وحرباً

على الفضيلة بالتبرج والتبهرج والمبالغة في التأنق والتشدق ولا تحملي من يهمهم الأمر على مناوأتك والحيلولة بينك وبين ما يجوز وما لا يجوز فلربما منعوك من العلم وفضلوا أن تعيشي عفيفة جاهلة على أن تكوني خليعة متعلمة وعار علينا اذا قلنا أن العلم قد أضر بنا فى الفتيان والفتيات اكثر مما أضر بنا الجهل اذ المتستر على عيبه بجهله خير من العالم المتهتك المدعي ما ليس له بحق ينم اخلاق أهله ويقلد في الرذيلة كل ملحد وفاسق لا حياه الله ولا بياه ولا بارك فى المدرسة التي تخرج منها والأستاذ الذى قرأ عليه . والطالبات فى المعاهد والجامعات أو الكتاتيب والمدارس الأولية اللواتي يرحن ويرجعن بين البيت ومحل الدراسة فى ثياب شفافة وملابس فاضحة وزينة بغيضة وحركات شيطانيـة هن والله شر مستطير على انفسهن وأهليهن وحرب على العلم ومكارم الأخلاق وكذلك إذا وقع الاختلاط أوقات الدراسة وحصل الاحتكاك المؤدى الى المغازلة والمخادنة تصير به الفتاة شقية ومعذبة فالجميلة ترمقها كل عين ويتعلق بها الزين والشين وربما تعدوا عليها صغيرة فتنوها كبيرة والدميمة تشعر انهم يعرضون عنها ولا يرغبون فيها ومهما شغلتها العناية بنفسها عن واجبها في درسها ازدادت بذلك هزؤاً بها وسخرية منها . فواجب على الأمة التفريق بين الطلبة والطالبات واختيار المعلمات الصالحات لتعليم البنات وتقويم اخلاقهن وإعدادهن للمستقبل السعيد . وإذا وصل اليك هذا الكتاب وأنت طالبة فخذى منه أدب الطالبة وواجبات المتعلمة تنهضين إلى المعهد بعد صلاة الصبح وتنظيف الثوب والبدن ومذاكرة ما قرأتيه بالأمس ومعرفة برنامج اليوم وبعد السلام على أبويك ومعاونة أمك فيما تقدرين عليه من تهيئة الفطور والعناية بامر اخوانك

تذهبين بارك الله فيك محتشمة صينــة مشغولة بدروسك عن كل شيء لا تلعبين إلا قليـلا ولا تقولين إلا خيراً تمتثلين أمر المعـلم وتساعدين الزميلات بكل ما تستطيعين وفى البيت تعملين بمـا قرأتيه فى المدرسة وتطبقين على العلم العمل ومن أمك تعرفين ما يجهله أو يعجز عنه المعـلم والمعلمة فطبخ وغسل وكنس وخياطة وتطريز ونحو ذلك وإذا قدر الله لك أن تكوني السيدة الـكاتبة أو الشاعرة الجيدة فلا تكتبي ولا تنظمى إلا ما يليق بمثلك ولا يمسك في شرفك ولا يعوقك عن تدبير منزلك وشؤونك الزوجية .

المعلمــات

فان كنت أيتها الكريمة أنت المعلمــة فاضربي لبناتك المثل الاعلى من استقامتك واختــارى لهن الدروس وافضل الاساليب فى التربية والتعليم ولا تقابليهن بالتعبيس ولا تضحكى معهن كثيراً ولا تقولى لهن غير ما تفعلين ولا تسمحى لهن برفع الصوت فوق الحاجة أو قراءة ما لا يفيد ولا طائل تحته ، وان كان تعليمك فى البيت وحيث يمكن الوضوء وإقامة الصلاة فـألزميهن بذلك واسمعى منهن قراءة القرآن وعلميهن كيفية العبادة وإن كان فى المدرسة وتعذرت هنـاك الطهارة والصلاة فليكن التعليم من طلوع الشمس إلا ما بعد الزوال ومن بعد صلاة العصر الى قبيل الغروب . وإذا لم نجد المعلمة الصالحة أو كانت غير قادرة على التعليم وما يجب على المعـلم فليكن الاستـاذ كفؤاً عفيفاً معروفاً بدينه وصلاحه وأصله طيب وبيته شريف وصحائف أعماله بيضاء

نقية . ورحم الله حافظ حيث يقول :

من لي بتربية النساء فانها ... في الشرق علة ذلك الاخفاق
الأم مدرسة إذا اعـددتها ... أعددت شعباً طيب الاعراق
الأم روض ان تعهده الحيا ... بالرى أورق ايما ايراق
الأم استاذ الأساتذة الألى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً ... بين الرجال يجلن في الأسواق
يدرجن حيث اردن لا من وازع ... يحذرن رقبته ولا من واق
يفعلن أفعال الرجال لواهيا ... عن واجبات نواعس الأحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة ... كشؤون رب السيف والمزراق
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا ... في الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم حلى وجواهراً ... خوف الضياع تصان في الأحقاق
ليست نساؤكم أثاثاً يقتنى ... في الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الازمان في ادوارها ... دولا وهن على الجمود بواقي
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا ... فالشر في التقييد والاطلاق
ربوا البنات على الفضيلة انها ... في الموقفين لهن خير وثاق
وعليكم أن تستبين بناتكم ... نور الهدى وعلى الحياء الباقي

وأملي فيك أن تكوني ان شاء الله من الطيبـات الطاهرات اللاتي يقول الله فيهن : (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئـك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) .

سياسة المرأة وسداد رأيها

ليس في الدين ما يمنع المرأة من الاشتغال بالسياسة والمشاركة في الأمور الهامة التي هي من اختصاص الدولة ورؤساء الامة سواء الداخلية منها والخارجية في الحرب والاقتصاد والمفاوضات وتبادل المصالح ما دام ذلك في حدود الشريعة ومع العصمة والاحتفاظ بانوثتها الطاهرة وربما كان رأيها أصوب ونظرها ابعد وتجاربها أكثر ، وهذه السيدة عائشة تضرب بسهم وافر في سياسة المسلمين وخلافة عثمان ثم تشترك في الحرب وتخرج من المدينة إلى البصرة في مظاهرة علي بن أبي طالب وما كان يوم الجمل إلا شاهد صدق على إهتمامها بالسياسة العامة ، ولفاطمة البتول عليها السلام مع أبي بكر الصديق في ميراث أبيها شأن يذكر وربما تأثر علي بسياستها ووقف إلى جانبها فلم يبايع الصديق إلا بعد وفاتها ، ورأى أم سلمة هند بنت أبي أمية يوم الحديبية على رسول الله ﷺ في نحر هديه والاشتغال بالتحلل عن مراجعة أصحابه كان لعمر الله رأياً سديداً وبركة على المسلمين شاملة وقد قبل منها وأصبحت به في مصاف عظماء السياسة ، ولأم الأمين زبيدة بنت جعفر وغزالة الخارجية وشجرة الدر والسيدة أروى بنت احمد الصليحية وغيرهن في السياسة ما يدل على نصيب المسلمات المتعلمات من سياسة فردية واجتماعية ، وكم وقفت من خطيبة وقالت الشعر والنثر من اديبة في الاشادة بأعمال فلان والتنديد بأعمال فلان الآخر . ومن الذى كان يلقي الخطب وينشد الشعر يوم صفين وفي مناصرة علي بن أبي طالب

رضي الله عنه من النساء مثل بكارة الهلالية وسودة بنت عمارة وآمنة بنت الشريد وأم سنان بنت خيثمة ولله در هند بنت يزيد الانصارية التي تقول في رثاء حجر بن عدي الكندى حين أخذوه من العراق إلى الشام ليقتل وهي من أنصاره ضد معاوية بن أبي سفيان :

ترفع أيها القمر المنير تبصر هل ترى حجراً يسير
يسير الى معاوية بن حرب ليقتله كما زعم الأمير
تجبرت الجبابر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد لها محولا كأن لم يحيها مزن مطير
ألا يا حجر حجر بني عدي تلقتك السلامة والسرور

ولأم المقتدر بالله العباسى فى السياسة ما أودى بها وبولدها أمير المؤمنين الى القتل من أعداء الخلافة ولا استطيع فى هذا المقام يا سيدتي أن أقص عليك ما كان من شهيرات النساء العربيات قبل الاسلام وبعده فى الحرب والسياسة ولكن ألفت نظرك إلى أمثال زينب التدمرية وابنتها الزباء وحليمة بنت الحارث وأم قرفة وأم عمرو بن كلثوم وماوية امرأة حاتم الطائي وغيرهن فى الجاهلية ، ثم خديجة بنت خويلد وهند بنت عتبة وأسماء بنت أبي بكر أم عبدالله بن الزبير وأسماء بنت يزيد وأم حرام بنت ملحان وغيرهن فى الاسلام . وأنا أحب للمرأة المسلمة أن تكون سياسية محنكة تعرف بواطن الأشياء من ظواهرها تصلح يومها وتتذكر ما كان فى أمسها وتعد ما لا بد منه لغدها وتعرف كيف تستميل اليها قلب زوجها حتى تقبض بيد من حديد على السياسة الداخلية فتهيء صغار أولادها للتكاليف وتداري الكبار منهم وتعينهم على البر فتشكر محسنهم وتعذر المسيء منهم وتغض

الطرف عن الهفوات التي لا يفيد العتاب عنها ولا يعود بخير على الاسرة كثرة النقاش فيها . وإذا كان لزوجها أبوان استطاعت الحياة بينهما تقول سمعاً وطاعة وحباً وكرامة وتلبي الوالد إذا دعاها وتأخذ بخاطر الوالدة إذا أمرتها وان لم تفعل شيئاً وعساها بذلك تصلح ما بينها وبين عمتها ، وقلما يسود السلام بينهما إلا مع الحكمة وحسن السياسة ولا بأس أن تكون لها خارج البيت السمعة الطيبة والصيت الذائع بمنافسة الرجال ومسابقتهم الى الخير والقيام بواجب الوطنية وحسن الجوار ومعاملة الأخيار وإن كانت التجارب قد اكسبتها معرفة الضار والنافع والصحيح والفاسد فلتكن المشيرة على من يهمه الأمر باتخاذ الحيطة واعداد العدة والتعرض للخير والانضمام إلى أهله وكل ذلك فى دهاء السياسية الماهرة كلام لين وتقدير للمخاطب تتواضع فى عزة وتسهل فى امتناع فتضحك سالبة وتبكي غالبة لا تقعد إلا يقظة ولا تقوم إلا محتفظة .

وليس فى مقدور كل أحد أن يكون سياسياً خبيراً بكل شيء وبصيراً بكل عاقبة ولكن ليأخذ الرجل والمرأة من ذلك بقدر الاستطاعة ومهما كان للمرأة فى السياسة وتصريف الأمور الدنيوية فان الدين لا يسمح لها بالقضاء والجلوس على منصة الحكم لفصل الخصومات بين الناس عندنا ، ولا يوليها الامامة الخاصة بالصلاة والحج وتزويج البنات ونحو ذلك . وقال أبو حنيفة رحمه الله (يصح قضاء المرأة فى الأموال) وقال الطبري (يجوز أن تكون المرأة حاكماً على الاطلاق فى كل شيء). ومن رأى حكمها نافذاً فى كل شيء قال : (ان الأصل هو أن كل من يتأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز) . أما الامامة العامة فبالاجماع

لا تكون للمرأة لحديث : (لن يفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة) . وما ذلك إلا لأنها مخلوق ضعيف لا تستطيع القيام بأعباء الملك ومسؤولية الخلافة والنادر لا حكم له . قال أبو الطيب المتنبي :

ولو كان النساء كمن فقدنا   لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب   ولا التذكير فخر للهلال

ولو كان شرع من قبلنا يعد شرعاً لنا لكان فيما يقصه القرآن علينا من أخبار المتقدمين حجة قوية على جواز إمامة المرأة وأن تكون هي الملك المطلق أو الحاكم العام . فهذه (الملكة بلقيس) اليمنية المعروفة بسياستها الحكيمة تحفظ بلادها وجندها وتستبقي عزها ومجدها . وما أعظمها وهي تقول لأشراف قومها فى جلسة سرية مستعجلة أو تلقي على الناس فى خطاب العرش ورجال البرلمان حواليها : (قالت يا أيها الملأ اني ألقي إلي كتاب كريم ، انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين ، قالت يا أيها الملأ أفتوني فى أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ، قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظري ما ذا تأمرين ، قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) .

المرأة فى الميدان

إذا دعت الحاجة لاشتراك المرأة فى القتال بأن نزل العدو فى أرضنا أو كان أكثر منا عدداً فالواجب مشترك بين الرجال والنساء ،

وقد تشغل المرأة فراغاً لا يسده غيرها كمعالجة المريض وأسو الجريح ورفع القتيل ورد المنهزمين الى المعركة . وقد أشترك المسلمات الأوائل في الحروب وغزا منهن جمع كثير مع رسول الله ﷺ وخرجن في السرايا والبعوث لمحاربة الكفار والمشركين وحملن السلاح وخضن المعامع وقالت الربيع بنت معوذ (كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة) . وقالت أم عطية : (غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوي لهم الجرحى واقوم على المرضى) ومن أولئك اسما بنت يزيد التي حضرت (اليرموك) وقتلت بيدها تسعة من ابطال الروم لا بالسيف ولكن بعمود فسطاطها ونسيبة بنت كعب التى تقول في الحديث عن نفسها يوم احد : (خرجت أول النهار ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله ﷺ وهو في اصحابه والريح والدولة للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله ﷺ بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إلي الجراحة) وقالت بنت سعد بن الربيع (لقد رأيت على عاتقها جرحاً له غور أجوف وقتلت يومئذ فارساً من المشركين) وقال النبي ﷺ (ما التفت يوم أحد يميناً ولا شمالا إلا وأراها تقاتل دوني) وهي التي حلفت لتأخذن بثار ولدها حبيب بن زيد حين قتله مسيلمة الكذاب فقد استأذنت أبابكر رضي الله عنه في الخروج لمحاربة أهل الردة وكانت من الذين اقتحموا الحديقة على بني حنيفة يوم اليمامة تحت ظلال اربعين الف سيف وأصيبت بأحد عشر جرحاً ولم تنثن عن قصدها حتى قتل مسيلمة وقد زارها خالد بن الوليد بعد المعركة وجاء يهنئها أبو بكر بعد

رجوعها الى المـدينة بالسلامة والأجر العظيم . ومنهن هند بنت عتبة كانت تضرب وجوه الخيل في نسوة معهـا بخمرهن ويقلن للمنهزمين (أخلفونا على الأطفال وانزلوا عن صهوات الجياد لنقاتل عليها) وصفية بنت عبدالمطلب يتركها النبي ﷺ مع النساء والذرية في أطم حسان بن ثابت ويتسلق الجدار عليهم يهودي خبيث فتقوم اليه صفيـة بعد ان جبن حسان عن مواجهته فتضربه بعمود من حديد وترديه قتيلا ثم تقول لحسان اسلبـه فانه رجل وأنا امرأة ويمتنع عن ذلك ثم تنزل اليـه صفية وتأخذ سلبه ولعائشة الصديقة وفاطمة البتول رضي الله عنهما في يوم أحـد شأن يذكر فلقد كانتا تنقلان القرب وتسكبان المـاء في أفواه الجرحى وإن خلاخلهما لتظهر من شدة الوثب وقوة الحركة وكم وكم من امرأة تشترك في الحرب وتساهم في فضيلة الجهـاد بالنفس والمـال إلا ان الله سبحانه وتعالى قد اسقط الوجوب عنهن لضعف أجسامهن ولم يحرم عليهن المساهمة في القتال ومن الصحابة والتابعين من كان يأخذ معه امرأته في الحرب ويسير بها براً وبحراً وهـل خرج المعتصم بنفسـه على جيش عرمرم ومعه اثناعشر الف حصان أبلق إلا لينقذ الأسيرة الهاشمية التي بلغه أنها تقول والـكافر يلطمها (وامعتصماه) فأدركها وكانت السبب في فتح (عموريـة) ومنصور بن أبي عامر المعـافري يمر بعجوز وهو راجع من غزوة قد انتصر فيها فيسلم عليها وترد عليـه رداً موجعاً وتقول له : (كيف تستريح وتترك ولدي في الأسر فيرجع بمن معـه من الرجال والنساء قبل دخول المدينة ويأتي بالأسير الى امه العجوز) .

وللاسلام تعاليم سامية في محاربة المرأة فهو لا يبيح قتل امرأة ولا صبي ولا شيخ كبير ولا منقطع لعبادة ربه في صومعـة أو كنيسه فهذا

رسول الله ﷺ يقول لأصحابه رضي الله عنهم (انطلقوا بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلا صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم واصلحوا وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) .
ولا أعرف الآن حكماً شرعياً على المقاتلة من المسلمين وما ذا عليهم إذا سبيت نساؤهم إلا أنهم كانوا يعولون على الوازع الطبيعي الذي جبلوا عليه في القتال دون المرأة حتى يموتوا أو يغلبوا ، أما نحن فاذا أسرنا النساء وهن من البغاة الخارجين على الامام احتفظنا بهن ولم نتعرض لكرامتهن حتى تسلمهن الى أهلهن بعد الصلح ، وللامام أن يؤدبهن في ذلك بما لا يتنافى مع شرف الاسلام وكرامته ، وان كن كافرات فانهن يسترققن بمجرد السبي ومن أسلمت بعد ذلك كانت لها الحفاوة والتكريم وانزلت من البيت الذى تحله منزلة الام والسيدة المطاعة ومن بقيت على كفرها فهى أمة مملوكة ولا تستحق من المعاملة إلا الشدة البريئة والقسوة النزيهة فلعل ذلك يحملها على الاسلام . وحين جاءت جويرية بنت الحارث المصطلقية الى رسول الله ﷺ تستعين به فى فكاك رقبتها نظر اليها وأكبر أمرها وعلم أنها بنت سيد قومها فقال لها : (أو اشتريك وأعتقك ثم أتزوجك فقالت أو ذاك) وأصبحت بعد الرق من أمهات المؤمنين وفى بيت سيد المرسلين . وصفية بنت حيي اليهودية التي قتل أبوها وأخوها وزوجها وصارت سبية اصطفاها النبي ﷺ لنفسه وقد اسلمت وجبر بذلك كسرها وانزلها منه منزلة الرحمة والحب والكرامة وعلمها أن تقول لعائشة وحفصة وهن يتفاخرن بشرف الأب والقبيلة أنا بنت هارون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام .
وتقدم أنه كان ﷺ يرغب فى عتق النساء وتعليمهن ثم التزوج

بهن ، ولما جيء ببنات الملك الفارسي الى عمر بن الخطاب وهن ثلاث رق لهن ووضعهن فى أحسن البيوت وقرنهن بأفضل الشبان فواحدة لمحمد بن أبي بكر وتنجب ولده القاسم وثانية لولده عبدالله وتنجب سالماً وثالثة للحسين بن علي وتنجب زين العابدين .

ومن كل ذلك تعلمين يا سيدتي المسلمة أن لك فى الميدان مكاناً ظاهراً وعليك فى واجب القتال حمل ثقيل تحملينه قادرة ويسقط عنك عاجزة ويكون لك الحج والعمرة بدلا عنه كما تقول عائشة رضي الله عنها يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد قال : (لكن أفضل الجهاد حج مبرور) وهذا إذا عجزت عن القتال أو استغني عنك وإلا فقد علمت ما ذا كان من أمهاتك فى المعارك والملاحم ، فاذا كنت مدربة على الحرب واستطعت حمل السلاح وسوق طيارة أو سيارة فلك والحمد لله سلف صالح وإلا فأياك أن تعجزي عن مساعدة الجيش وتضميد الجراح وتقديم الطعام وما الى ذلك من الأعمال ، ولا تظنى أن الدين يحبسك فى البيت ويمنعك عن عبادة ربك ونصرة قومك وخدمة وطنك أو تقولى انما هذه الأعمال لنساء الكفار وربات السفور ، كلا يا سيدتي فان لكل مقام مقال ، ولكل يوم نساء ورجال . والحاجة اليوم اليك داعية والأعداء والبلداء يتهمون الاسلام باتخاذ المرأة متاعاً لا قيمة له ويلصقون به التهم الباطلة قاتلهم الله أنى يؤفكون . ولا يكن حظنا منك يوم الحرب أن تصيحى وتندبي أو تغلقي الأبواب بين بنيك وبين المعمعة ولكن تقولين كما قالت الخنساء لبنيها الاربعة يوم القادسية : (يابنى انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو انكم لبنو رجل واحد ، كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما

هجنت حسبكم ، وما غيرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدنيا الفانية ، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت ناراً على أرواقها ، فيمموا وطيسها ، وجالدوا رسيسها ، تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة) فقاموا إلى القتال واستشهدوا كلهم وجاء النعاة الى امهم فلم تزد شيئاً على قولها الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وارجو من الله أن يجمعني بهم فى مستقر الرحمة .

يقولون نصف الناس فى الشرق عاطل
نساء قضين العمر فى الحجرات
وفى السنة السوداء كنتن قدوة
لنا حين سال الموت بالمهجات
وقفتن فى وجه الخميس مدججاً
وكنتن بالايمان معتصمات
وما هالكن الرمح والسيف مصلتاً
ولا المدفع الرشاش فى الطرقات
تعلم منكن الرجال فأصبحوا
على غمرات الموت أهل ثبات

ولو انصف النـاس ودرسوا الاسلام حق دراسته لوجدوا فيه ما يرضيهم ولقالت المرأة المتطرفه بملء فيها يكفيني هذا يكفيني ولقالت المتدينة رب ثبتني على الاسلام وحبب إلي ما تريد من الخير يا كريم .

(فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب) .

الطب والصحة

يريد الله منك أيتها المسلمة القيام بما تقدرين عليه من المعاونة على كل خير فى هذه الحياة وأنت من المخاطبين بقوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب) .

ومن ذلك الاشتغال بالطب الذي به تحافظين على صحتك وتربين أبناءك وتجعلين البيت صالحاً لحياة أسرتك الكريمة ، فأثاث منسق ، وآنية نظيفة ، وغرف مهواة ، وخبرة بقتل الجراثيم الفتاكة ومحاربتها بمضخات الفلت والـ دي. دي. تي ، ورش المطاهر وبيوت الخلاء بالحامض فنيك ونحوه ، وكذلك لا تقدمين إلى أهلك من الطعام والشراب إلا الطيب الجيد ، والمريض تحمينه مما لا يلائم حالته من طعام ثقيل وشراب منعش ، ومن اشتكى منهم القبض أو الاسهال مثلا أسعفتيه مسرعة بما لديك من الأدوية والمستحضرات الطبية الحديثة التي لا ينبغي خلو البيت منها كالحبوب والقطرات والمراهم النافعة المجربة ، وان احتيج إليك فى أحد المستشفيات كنت خبيرة بمعالجة المرضى واصلاح ما يحتاجون إليه فى عفة وطهارة ، ولا بأس أن تلتحقي بأية كلية طبية تتعلمين فيها التشريح والتجريح ، أو تتخصصين فى دراسة ما تحبين وتمس إليه حاجة المجتمع من النواحي الصحية وخير ما تشتغلين به معالجة الأمراض النسوية وما تصاب به المرأة فى الثدي أو عضو التناسل وما يعرض لها وقت الحمل والولادة وما تصاب به من انحباس

دم الحيض أو قوة نزوله ، وأنت أولى بهـذا من الرجل الطبيب مهما كان فى دينه وأمانته والفقهاء يقولون انه لا يحل نظر الطبيب إلى مواضع العلة من المرأة إلا إذا لم تكن هناك طبيبة مسلمة ونصوا على عدم الجواز فى أن يحجم الرجل المرأة الأجنبية إلا إذا لم تكن هناك حجامة ماهرة .

ومن الذي سيولد المرأة إذا اعترض جنينها أو يمس ثديها إذا انحبس فيه اللبن إلا أنت يا سيدتي الطبيبة . وللمرأة الويل إذا أصابها الباسور أو تغير فيها مقر الولد ولم تكن ثم فى أخواتها من تعالجها وتطرح الدواء فى تلك المواضع . ولقد كان فى أمهاتنا المسلمات من القوابل الخبيرات بأدواء النساء والعارفات بما لم يصل إليه طب زماننا وأطباؤه مع ما كان لهن من قدرة على التركيب واستحضار العقاقير النافعة من النباتات ولحوم الحيوانات كانت الحفيد بن زهر وابنتها الخبيرتين بمعالجة الأجسام ظاهرها وباطنها حتى كان بعض أمراء الأندلس لا يعول إلا عليهما ولا يدعو لمعالجة نسائه وأبنائه غيرهما . وزينب الأودية كانت متخصصة فى العين ومعالجتها بالتجريح والتقطير والتكحيل ويا لله من جرح عميق ضمدته النساء وعظم كسير جبرته بنات العرب قبل الاسلام وبعده .

ويوم أحد أصيب النبي ﷺ بجرح بليغ فى وجنته الشريفة فجعل على بن أبي طالب يصب الماء والسيدة الزهراء تغسل الدم عن وجه أبيها ثم تنشفه وتحرق الحصير ثم تسد الجراح برماده الناعم وهو علاج نافع .

ولا يكون من تطبيك أيتها العجوز الجاهلة وضع الشيء فى غير محله أو تحسبي الأمراض كلها من جنس واحد وتعالج بدواء واحد فربما كان ما ينفع فى شيء يضر فى شيء آخر وكثير من النساء من تداوي بناتها وجاراتها بالسم الزعاف وهي لا تدري . ومن تطبب من غير أن يعلم

منـه طب فهو ضامن . والطب القديم إذا درستيه وصرت حاذقة به فساعدينا به على معالجة المرأة والطفل وقد عرفت المزاج والطبيعة والرطب واليابس والحار والبارد ولا تجعلي الكي ان احتيج إليه إلا فى آخر العلاج وإياك والأوهام القاتلة أو التداوي بالحروز والتمائم والودع والعظام وحمل النجاسات وأكل الخبيث المستقذر فانه من تعلق شيئاً وكل إليه وعن النبي ﷺ (من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا ودعه الله) وقال (ما جعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها) . ولكن تذهبين إلى الطبيب أو الطبيبة فى البيت أو المستشفى وبعد الكشف وفحص العلة تأخذين ما يلزم من حقنة أو تدليك أو مشروب يحصل معه الشفاء بإذن الله .

وحذار من الافراط فى الأكل وادخال الطعام على الطعام فانه يفسد المعدة ويسبب التخمة وسوء الهضم وينشأ معه السمن والتضخم المانع من القيام والقعود وخفة الحركة . وإذا توفرت عندك الأدوية فلا تستعمليها إلا بقدر الحاجة وبعد إرشاد الطبيب الناصح . وإياك وإرهاق زوجك بكثرة التمرض والتأوه من غير علة تدللا عليه أو توهما من لا شيء .

والحمية وطيب الهواء ونشاطك فى العمل من أعظم أسباب الصحة وإذا كان عندك فى البيت من به مرض معدي فتجنبيه قدر الامكان وخصصي له المكان والفراش وآنية الاستعمال وان أصبت أنت لا سمح الله بشيء من ذلك فتجنبي الاختلاط بالناس وتباعدي عن الزوج والبنين واستسلمي لقدر الله حتى يمن عليك بالعافية وان دعيت إلى الفراش فلا تجيبي ولئن كان فى ذلك خروج عن الطاعة فان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وان ابتلى زوجك بالزهرى أو السيلان أو السل أو الجذام

أو شيء آخر من الأمراض الجلدية المتحققة العدوى فلك تجنبه والامتناع من معاشرته ولا تسقط عنه النفقة ولا أى واجب لك عليه . ولكن الأدب والمروءة وسلامة الذوق تفرض عليك حسن المعاملة وجميل الصحبة وهو شريكك فى الحياة فاحتفظى بحقه ولا تغضبيه ولا يصيبنك شره والمحفوظ من حفظه الله . واعلمى انه لا يليق بربة المنزل أن تجهل الاسعافات الأولية حينما يحدث الشيء البسيط من الاحتراق أو الاختناق أو التسمم أو السقوط الذى يرتج به الجسم أو ينفتل معه مفصل الكف أو القدم وإليك ما تستعينين به عند الاصابة بشيء مما ذكر :

طبيبة البيت

إذا أغمى على أحد أو أصيب بما نسميه بالحال والصرع والفراحة فعرضيه حالاً للهواء الطلق واضجعيه على ظهره منبسط الجسم منخفض الرأس وخففى عنه الملابس ورشي وجهه بالماء البارد وانتزعى الرغوة من فيه بشيء نظيف و نشقيه شيئاً من الخل أو النشادر واخرجى عن المكان الذى هو فيه ما يؤذيه من الأطفال والبهائم ولا يتجمهر عليه النساء ولا يكثر عنده الصخب وإذا أفاق فأسقيه شراباً منعشاً من البرتقال أو غيره من المبردات .

أما الجراح فيجب قبل معالجتها أن تغسلى يديك غسلا جيداً وتخرجى ما تحت الأظافر من الأوساخ ثم تصبي على الجرح ماء ساخناً وتنقيه مما عليه و بعد ذلك تؤخذ قطعة مبللة من القطن بالكحول وتوضع على الجرح وتغطى بقطعة من التفتا المصمغ وتربطيه بعصابة ريثما يحضر

الطبيب ان احتيج إليه ولا تعالجى الجرح بوضع العنكبوت عليه أو رماد التبغ وما من شأنه الاحراق وحبس الدم على غير نظافة . ومن به رعاف تضعين على وجهه وأنفه الخرق المبللة وترفعين يديه إلى جهة رأسه وتسدين أنفه بشيء من القطن ويحسن أن تبلى قليلا من الحناء بالخل الحاذق ثم تجعليه على دماغ المصاب بالرعاف وتنشقيه الكافور ملفوفاً بقطنة أو خرقة والعضو المحترق تغمسينه فى الماء البارد أو الخل وإذا انتفخ فافتحيه بالابرة المحماة بعد تبريدها حتى يخرج ما فيه وإذا وضعت الدواء فاربطيه ربطاً محكما . وان كان فى الأصابع فاجعلى لكل واحدة منها رباطاً خاصاً ومن لدغته العقرب أو عضه الثعبان تكوين محل الاصابة بحديدة محماة أو تربطين العضو ربطاً شديداً وتشقين موضع اللدغة حتى يدمي ويمص الدم حتى يخرج منه الأسود المتغير وقد يفيد غسله بالماء والملح المعدني . وأفضل من ذلك كله أن تصبي عليه قطرتين من الحلتيت وتدلكيه بالقطنة فانه يسكن حالا . ولا بأس أن يشرب اللديغ قدر خمسة جرام من محلول الحلتيت أو مسحوقه الممزوج بالماء . والذى تنعسف قدمه أو كفه تسعفينه بالماء الساخن وتوضع الرجل مثلا فيه لمدة ساعة ويدلك المفصل بالأصابع تدليكا إلى الأعلى بشيء من الزيت أو الفازلين ثم يربط بالقطن والخرق المحماة . والدماميل والبثرات التي تظهر كثيراً فى البلاد الحارة وأيام الصيف تحضرينها بوضع شيء من الزنبوك عليها أو مستحضر البنسلين فان لم يكن عندك شيء من ذلك فتبلين كمية من دقيق الحلبة بالسمن وتطلين منه على الدمل ، فاذا امتلأ ورأيت البياض قد عم أكثره فافتحيه بالابرة المحماة وافرغي ما فيه كما تفعلين فى الاحراق وعرضيه للهواء البارد . والعين والأذن يا سيدتي لا تتعرضي لهما بشيء من

العلاجات الوهميـة التي ربما سببت أجارك الله الصمم أو العمى ولكن المجرب المعروف من الأدوية تستعملينه على حذر ولا تستغني عن الطبيب فى كل حال . وبالجملة فان أمر الأدوية يستوجب معرفة ولباقة لا غنى عنهما . وهنـاك بعض أمور مهمة على ربة البيت معرفتها لتحسن تنفيذ أوامر الطبيب فيها لأن الأدوية كثيراً ما لا تعود بنفع لعدم مراعاة الشروط الواجبـة فى اعطائها وتناولها فينتج عن ذلك مضاعفـات أو انتكاس بسبب الجهل أو الاهمال . ومن الطب ما لا يعرفه الحكماء ولا يؤمنون به ولا يصل إليـه أي متخصص فى أي مرض من أي معهد أو كلية وهو الطب الروحاني الذي يرجع إلى قوة الايمـان وحسن الظن بالله مع قوة الارادة واخلاص التوجه إلى من يصفه إبراهيم الخليل عليه السلام بقوله (الذى خلقني فهو يهدين ، والذى هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين) .

وقد تنجحين يا سيدتي فى المعالجة به نجاحاباهراً إذا عرفت شروطه واتخذت له العدة اللازمة فبعد الطهارة وصلاة ركعتين لله عز وجل تطرحين يدك على جسم المريض وتقولين بسم الله أرقيـك والله يشفيك من كل داء فيك اللهم رب الناس اذهب البـأس واشف أنت الشافى شفاء لا يغادر سقماً ، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامـة وعين لامة ، ثم تقرئين المعوذتين قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وما تيسر من القرآن الذى جعله الله شفاء ورحمة للمؤمنين وترفعين رأسك الى السماء قائلة أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يشفيك ويعافيك تكررين الدعاء سبع مرات ولا تطلبي مثـل هذا من انسان يتخذه حرفة ويعتمد فى رقاه وتعاويذه على القراءة المغلوطة والأذكار والأدعية التي لا

يعرف معناها والتفل على المريض بريقه النجس أو المسموم ولكل شيء أهل (والذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) (واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون) .

خصال الفطرة ودخول الخلاء

قال رسول الله ﷺ خمس من الفطرة ، الاستحداد ، والختان وقص الشارب ، ونتف الأبط ، وتقليم الأظفار ، رواه البخارى ومسلم

الفطرة هي الملة والدين ، والاستحداد حلق العانة بالحديد والمرأة كالرجل فى خصال الفطرة كلها ما عدا قص الشارب واعفاء اللحية وقد ذكر من الفطرة الاستنجاء وغسل البراجم وهي عقد الأصابع والسواك والمضمضة والاستنشاق ، والخلاصة فالمطلوب هو النظافة والنظافة من الدين والطهور شطر الايمان ، ولا شيء فى تنظيف الجسم أعظم مما جاءت به السنة النبوية ، والاستحداد يحصل باستعمال الحديد فى الحلق والقص وخير منه للمرأة النتف واستعمال شيء من الزرنيخ أو النورة وما يوجد اليوم من الصوابين والمساحيق المزيلة للشعر هو من أعظم نعم الله على خلقه ولا بأس بجعله فى العانة والأبط للرجل والمرأة ، وبكل أدب وفى منتهى الحياء أهيب بك يا سيدتي عن الأهمال والتشعث وعن عدم التزين الذي يحببك إلى زوجك الطاهر العفيف الذي يعطيك من نفسه. مثلما يطلب منك ، وكثافة الشعر فى بعض الأماكن وتراكم الأوساخ فى المعاطف مما ينفر الطبع ويقلل الرغبة ويصرف كلا من الزوجين عن

الآخر ، وقد تعتمد المسكينة على جمالها الفطري وحظوتها عند زوجها فتقصر فى حق نفسها وتقول على ما فى القلوب المعول ، وهى لا تدري ضرورة التجمل والمبالغة فى التنظيف ، وان الرجل كيفما كان في سلامة طبعه واعتدال مزاجه قد يزهد فى امرأته وينبذها نبذ النواة إذا تركت حقه واستخفت بما يتصاعد منها من الروائح الكريهة كالبخر والصنان وله العذر فى ذلك . وبالسواك تذهب الفضلات عن الفم ويعذب الريق وتطيب الرائحة وتصح الأسنان مع ما فيه من سخط الشيطان ومرضاة الرب تعالى وقد ذكروا له نحو سبعين فائدة ، ويحصل الغرض منه بكل آلة منظفة وعود الاراك لكثرته وسهولة استعماله وما فيه من الحرارة القاتلة لدود الأضراس وتقوية اللثاء أحب إلى الله من غيره ، وقبيح بك الاعتماد على الأصابع فى التسوك واستعمال الخرق القذرة ، ولا بأس فى الاستعانة على التنظيف بشيء من الأدوية المعدة لذلك ، ودقيق الفحم وحراقة التبغ والصابون يضر باللهوات وجنبات الفم ويضعف منابت الأسنان فيسرع سقوطها . ويستحب السواك عند الوضوء والغسل والصلاة وبعد القيام من النوم ، وعند تغير الفم بالسكوت الطويل وتناول البقول النيئة كالبصل والثوم والفجل والكراث ونحوها . وبعض السيدات تفرط في هذه البقول وتشتهيها ولا سيما في أول الحمل وتقصر مع ذلك في تنظيف فمها وفي المضمضة والاستنشاق ما لا يقل عن فوائد السواك أما الختان فقد اختلف العلماء في أمره للمرأة وهو عند الشافعية واجب لا بد منه وأقله قطع شيء من الجلدة النابتة في أعلى الفرج وهنا يذكر في كتب الفقه ما تفعله النساء من تخريم الآذان والأنوف لتعليق الحلى وهي عادة قديمة ولا تزال موجودة اليوم في كثير من البلدان وبعضهم يحرم

ذلك أو يكرهه ويراه من تغيير خلق الله والتعذيب لغير حاجة كما يقول آخرون بجوازه وأنه من الزينة المطلوبة للمرأة ، وكانوا يفعلونه في الجاهلية ولم ينه عنه رسول الله ﷺ وقد رآه في نساء زمانه . وتقليم الأظفار هو قصها ويكره طولها لتجمع الأوساخ تحتها ولبشاعة منظرها وإن كانت النساء المتمدينات يتركن أظفارهن حتى تكون كمخالب السبع وتستحسنه منهن كل مقلدة غبية ، وسواء كان القص بالمقراض أو السكين أو أي شيء آخر غير الأسنان ولا يكن ذلك أمام الناس ولا في المجالس العامة ويستحب دفنها واخفاؤها كسائر فضلات الجسم . وبعد الطعام تغسلين يديك بالماء والصابون ولا تتركي عليهما الوضر والزهومة فان الدين والطب ينهيان عن ذلك . وفى الحديث عن النبي ﷺ (من نام وعلى يديه غمر وأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه) والبصق والتمخط والتثاؤب والتمطي لا يكون ذلك منك إلا وحدك وحيث لا يراك أحد ، واتخذي المنديل أيام الزكام لئلا تمسي وسخ الأنف بيدك الطاهرة ، وبما ان هذا الدين يسير معك في جميع أحوالك فأنا أعلمك المطلوب منك عند دخول الخلاء وقد قال المعلم الأعظم ﷺ (انما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فاذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه) فاعلمى يا سيدتي انه يستحب لك قبل دخول الخلاء أن تقولي (بسم الله اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث) ولا ترفعي الثياب إلا قليلا قليلا واعتمدي في الجلوس على رجلك اليسرى ولا تتكلمى وقت قضاء الحاجة ولا تقعدي كثيراً ولا تمسي بيدك اليمنى شيئاً من نفسك وبالغى فى الطهارة وازالة النجاسة بالماء الذى جعله الله رافعاً للاحداث ومزيلا للاخباث ، ولا تقتصرى في الاستنجاء على القراطيس كالغربيات القذرات

واغسلي يدك اليسرى قبل ملاقاة النجاسة فان البلل يمنع علوق الرائحة باليد ومن أجل ذلك استحب غسل اليدين قبل الأكل لئلا تكون رائحة اللحم والدسومات عسرة الزوال بعد الفراغ منه وعند القيام تستترين شيئاً فشيئاً وتقدمين عند الخروج رجلك اليمنى وتقولين غفرانك الحمد لله الذى اذهب عني الأذي وعافاني ، وفي البيوت الصغيرة ومع كثرة السكان تترقبين الفرص لدخول الخلاء حتى لا يسمع منك صوت ولا تشم منك رائحة ، أما إذا كنت في البادية وبحيث لا حش ولا كنيف فتبعدين متسترة لا تستقبلي القبلة ولا تستدبريها ومعك الماء أو الحجارة وليكن منك هذا مع صواحبك الأمينات وفي الوقت المناسب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا) .

التجمل والتزين

يستحب للمرأة المتزوجة إذا كان زوجها حاضراً وللأيم المتعرضة للخطاب أن تبالغ فى التجمل قدر الامكان ويختلف هذا باختلاف العادات والتقاليد . والاسلام يسامح فى معاملة المرأة ويريد منها العناية بنفسها والاحتفاظ فى انوثتها بما يحببها الى الرجل ويشوقه اليها من اللباس والحلية والطيب والخضاب والكحل والدهن والترجل وغير ذلك ويحرم التشبه بالرجال وأشياء ليست من الزينة المعتادة لما فيها من التشبه بالكافرات من أهل الكتاب والمشركات (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) ومن ذلك الوشم وهو غرز الابرة في مكان ما من

الجسم حتى يدمي ويوضع عليه الكحل أو الحبر ان كان للزينة فهو حرام وتجب إزالته إلا إذا تعسرت واحتيج معها الى مشقة لا تحتمل ، والتنمص وهو تنقيش الحاجب وترقيقه أو ازالة شعر الوجه بالخيط لتوسيعه وتنقيته ووصل الشعر بما يوهم كثرته وطوله ، وتفليج الأسنان وحكها بالمبرد كما تفعل الحبشة لتسويتها وتحديد أطرافها . وقد لعن ابن مسعود رضي الله عنه الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فقالت له امرأة في ذلك فقال وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ، وفي كتاب الله قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ولا بأس بالأسنان من الذهب أو تحليتها به للزينة ، أما اللباس فللمرأة منه ما شاءت الخز والكتان والابريسم والصوف والقطن والحشو بالديباج وما تحب من خالص ومطرز وموشى بشرط أن لا تسرف ولا ترهق الزوج ولا تحتقر الناس بنعمة الله عليها غير انه لا يجوز لها القصير والشفاف من الثياب الذي يصف البشرة ويحكي الجرم وتعد معه عارية متكشفة وقد بسطت الكلام على ذلك في كتابي (اصلاح المجتمع) بما لا مزيد عليه ، وهنيئاً لك أيتها الغنية المسلمة ما أكرمك الله به من حلية الذهب والفضة والترصيع بالفصوص واليواقيت والجوهرات قليلا كان ذلك أو كثيراً ولا حرج عليك في تحليك بالخواتم والأسورة والخلاخيل والأحزمة والأكاليل والعقود الثمينة ما دمت شاكرة لله أنعمه وعارفة لحقه عليك فيما أعطاك . والتطيب من سنن المرسلين ويستحب للرجال والنساء وأفضله لهن ما ظهر منه اللون والرائحة في الجسم والثياب من زهور الورد والأقحوان والنرجس وسائر الرياحين وكذا العطر جامده ورقيقه والتبخر بالعود والعنبر وما تيسر من صمغة الطيب ومجموعه .

وأوقات التطيب معروفة ، ومن استعطرت ثم خرجت ليجد الناس ريحها فهي زانية حتى ترجع ، ومن الخضاب صبغ الوجه واليدين والرجلين والتخطيط بالحناء والكركم والزعفران والعصفر والورس والبودرة التي تزين بها الوجنات والشفاه وكل ذلك جائز إلا ما يستر البشرة ويمنع من وصول الماء إليها . والشيب إذا كثر تغيره المرأة بالصفرة والحمرة إلا إذا عافها الزوج أو أمر بالسواد فلا باس بذلك ، وقد كان يصبغ بالسواد جمع من الصحابة والتابعين ولا يرون فيه شيئاً لكن الأحوط والأسلم تجنبه للشيخ والشيخة خشية الوقوع فى قول النبي ﷺ (يكون قوم يخضبون فى آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة) . وإذا كان للمرأة العذر فى تغيير شيبها بالسواد فما هي حاجة الرجل إليه وفى غيره من الألوان ما يستر العيب ويغير بياض الشيب ، قال البهاء زهير :

كان البياض يروقني حتى رأيت الشيب مني
فاليوم يا لون البيا ض إليك ثم إليك عنى
فلقد هجرت بك الصبا ونسيته حتى كأنى
ويقال انك قد كبر ت عن الهوى فأقول أنى
وأظل أقرع دائماً سني إذا حققت سنى

وأنت أكرم من أن تفرضي على الزوج إرادتك أو تعبثي بناصيته ولحيته فيحلقها من أجلك أو يصبغها وفق مشيئتك ، ويتمثل بقول ابن نباته :

وكم عاقب اللوام والشيب فى الهوى محباً وفى جلد المحب دباغ
صبغت مشيبي راجياً عودة الصبا وهيهات منه دعوة وبلاغ

والكحل فى العين يزينها ويجلو البصر وينبت شعر الأجفان وأجوده الأثمد وإذا أردتيه فاستعملى منه فى كل عين ثلاثة مراود وهو عند النوم أصلح وأنفع وبالنهار أجمل وأحسن وقديماً كان من ضروريات الزينة حتى حرمه الدين على المرأة فى عدة الوفاة ومنعها منه إلا تداوياً ، ودهن الشعر وترجيله والعناية بتفليته وتنظيفه مما يزيد فى جمالك ويجعل بعلك كلما رآك ينشد فيك قول الشاعر :

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها فى ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين فى وقت معا

ولا تقتلى الوقت فى الجمال والزينة وتنظيم هندامك مع ترك الواجب الذي عليك لئلا تصيري به مذمومة ممقوتة وفى أول الشباب ومستقبل العمر ، وللمرأة حال خلاف ما تكون عليه بعد الحمل والولادة ، ويقول أحد الكتاب عن المرأة : (وليس القصد من حظ المرأة على التجمل لبعلها أن تضيع وقتها الثمين أمام المرآة معجبة بجمال صورتها أو بطول شعرها أو باعتدال قوامها فان الاعجاب بالنفس دليل على ضعف العقل وانما القصد حثها على النظافة والترتيب وهو يتناول تسوية الشعر وتنسيق الملابس على وجه خال من آثار التصنع والتكلف) .

وما أحسن التعليم فى قول العزيز الحكيم : (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) .

تدبير المنزل وتنسيق الاثاث

إذا ظفرت ربة المنزل بالرجل الصالح والبيت الواسع والرزق الحلال فهى التي تستطيع بقوة دينها وحسن تربيتها وسلامة ذوقها أن تجعل الحياة سعيدة والبيت جنة ناعمة والزوج قرير العين مطمئن القلب والأولاد بررة والأقارب لهـا محبين والجيران بها معجبين لا صخب ولا ضوضاء ولا اهمال ولا فوضى الصحة محفوظة والمالية منظمة والنظافة والنور والبشر والسرور تملأ جنبات البيت وكل شيء فيـه يبتسم ويضحك نوافذه مفتحة وأبوابه مغلقة وستائره معلقة وأرضه نظيفة وسماؤه مضيئة فراشه منظم وأثاثه مرتب وملابس أهله جديدة أو مغسولة والآنية لا توضع إلا فى أماكنها والخادم طائع أمين والمخدوم شديد فى موضع الشدة ولين فى موضع اللين ، فان أكرمك الله بمنزل فى أعلى المدينـة وأبوابه شرقية ووسائل الراحة كلها متوفرة فيه فما عليك بعد ذلك إلا العناية به والمحافظة على كل شيء فيه تجعلين للاستقبال مكاناً خاصاً وللنوم والأكل والأعمال البيتية من الطبخ والغسيل أماكن أخرى ، وملعب الأطفال يكون بعيـداً عن المحل الذي يستريح فيه كبير العائلة ويعمل فيه ما لا يستطيع عمله خارج البيت من المطالعة والمراجعة وتقييد الحسابات وكتابة ما من شأنه أن يكتبه لحفظه أو نشره ، أما إذا صغر المنزل وضاقت مرافقه فالواجب عليـك لحسن الرعاية وجميل المعاشرة أن تجعلي الحياة فيه سعيدة بطيب الكلام وبشاشة الوجه ولين الجانب وترتيب أوقات الانفراد والاجتماع والنوم واليقظة والعمل والاستراحة وإدخال السرور

على قلب زوجك لما يرى من عظيم مساعدتك وقيامك بالواجب لله ثم له في نفسك وماله و بنيه ، وإذا كانت النفقة بيدك أنفقت غير مسرفة ولا مقترة ولكن بين ذلك قواما . الأولاد يستيقظون مبكرين و بعد الطهارة والصلاة يجدون منك كل شيء مهيأ لهم يتناولون الفطور ثم يذهبون مسرعين إلى المدرسة أجسامهم وثيابهم نظيفة لا خصام بينهم ولا كآبة عليهم وحين يعودون تذاكرين لهم الدروس ومحافظين على أخلاقهم معودة لهم النشاط والجد والاجتهاد والصدق والأمانة والسمع والطاعة وتفرقين بينهم في المضاجع ومحببين بعضهم إلى بعض ، وبناتك للزواج والأمومة تعدينهن ولتدبير المنازل وعلى القيام بالمسئولية تعودينهن ، ولا تبالغي في الاشفاق على الصغار ومنعهم من مزاولة الأعمال اللائقة بهم وما لا بد لهم منه من الرياضة الجسمية والعقلية فلا بأس من مصارعتهم ومسابقتهم ورفس الكرة والوثب وحمل ما يستطيعون حمله من الأثقال مع تمرينهم على كتابة الشعر والنثر وحفظ ما يصلح حفظه من ذلك ، والنكتة الظريفة والدعابة النزيهة فان ذلك يجعلهم رجالا قبل الرجولة وأبطالا قبل وقت البطولة وإذا كثر الأثاث وامتلأت به نواحي المنزل فاما أن ترتبيه ترتيباً حسناً مع الاحتفاظ بجمال منظره وعدم استعمال ما لا حاجة له واما ان تخففي على نفسك وأهلك من جمعه وتكديسه في المخازن وعلى الرفوف ببيع بعضه وايجار بعضه أو التصدق بما تسمح به نفسك ويرضى به زوجك الكريم وما بقي منه فليكن صالحاً لعرضه على من يرغب فيه لو تحولتم من بيتكم الأول أو سافرتم إلى بلد آخر كما هو شأن الضباط وسائر الموظفين الغربيين المتنقلين بحكم وظائفهم من مكان إلى مكان . وإياك وعدم المبالاة بالثمين والغالي فلا تضعي قوارير العطر بين علب البهارات

مثلا ولا ترصي الثياب القذرة بين الجديدة والنظيفة فى (كبد) واحد وما قبح منظره واستحق اخفاءه عن العيون فلا تجمليه على المنضدة أو الرفوف التي لا تصلح إلا لآنية الصين والزجاج الملونة والمنقوشة ، وأحسن شيء فى التنقية والتنظيف هو الصابون الذي يكون فيه الزيت أكثر من سائر المواد ، وفى الأبدان يستعمل منه ما كثرت رغوته ونعم ملمسه وطابت رائحته وقد يصلح من ذلك فى البلاد الحارة ما لا يصلح منه فى البلاد الباردة أما الثياب فالمقصود إزالة الأوساخ عنها بأية وسيلة ولو بالتراب والحطم والأحسن قبل الحسن وبعد أن تجف بالشمس وفى مهب الرياح لتقتل ما بقى من القمل والجراثيم تبخرينها بأفضل ما لديك من الأبخرة وترشينها بسوائل العطور الخفيفة التي لا تترك عليها أثر صفرة أو حمرة ثم تعطف متروكة فى الصناديق والدواليب إلى وقت الحاجة ، والآنية تغسل بالرماد والصابون والتراب الطاهر الذي يزيل عنها غمر اللحم والدسومة وأثر الدخان ولا تجفى ولا يرص بعضها على بعض إلا بعد تنشيفها وأولى ما يكون بالعناية منك يا سيدتي كؤوس الشرب وفناجين القهوة التي تتناولها الأيدي وتتبادلها الأفواه بين الصحيح والسقيم تغسلينها دائماً ولا تسيئى الظن بكل أحد ولا تستقذري الناس مفرطة فى ذلك فانه لا يعود عليك بخير أيتها النظيفة المتوكلة على الله ، والقرب توكينها وما فيه شيء من طعام وشراب لا تتركيه مكشوفاً ولكن تضعين عليه شيئاً ولو عوداً صغيراً وتقولين باسم الله فان رسول الله ﷺ يأمر بذلك ، ومهما يكن فى البيت من رخيص وغال وجيد وأجود فهو حلال وجائز الاتخاذ والاستعمال إلا الذهب والفضة فليس لك منهما إلا الحلية ويحرم غيرها على الرجال والنساء ولو اناء صغير كمكحلة وملعقة لقول

رسول الله ﷺ : (لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما فانها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة) والله تعالى يقول : (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئيا) .

المسكرات والمكيفات

أجارك الله وأكرمك يا سيدتي عن تعاطى المسكرات وحاشاك ثم حاشاك أن تفكري فى تناول شيء يقتل الشرف ويفسد العقل ويغير الطبع ويسبب من الأمراض الحسية والمعنوية ما يقضي على الأخلاق وسلامة البيت وصحة العائلة ، وفى كتاب الله عز وجل من التحذير عن الخمر والميسر ما فيه كفاية وموعظة للمؤمنين قال تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) وأنا ذاكر لك من أحاديث سيد المرسلين والمبعوث متمماً لمكارم الأخلاق ﷺ جملة تعلمين منها ما أعده الله لشارب الخمر ومتعاطى المسكرات من العذاب الشديد فى الدنيا والآخرة ، قال عليه الصلاة والسلام : (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه) وقال أيضاً : (ان الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه) وقال أيضاً : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) وقال أيضاً : (من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان

كما يخلع الانسان القميص من رأسه) وقال أيضاً : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر) وقال أيضاً : (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشربها فى الآخرة) وفى كلام النبي ﷺ غير هذا من التحذير عن الخمر وما فى معناها من المسكرات كلها ما يدل على خبثها وعظيم ذنبها عند الله وشدة العقوبة فى الدنيا والآخرة على شاربها فانه يجلد ويعزر وترد شهادته وتسقط كفاءته ويصبح شراً مستطيراً على البيئة التي يعيش فيها وإذا لم يتب عنها أو يحول الناس بينه وبينها قتل بها نفسه وضيع بها ماله وأصاب من حواليه بعدواها والله سبحانه وتعالى لا يمنع من شيء إلا وهو يعلم ما فيه من المضار وبعض المعاصي يجعل لها حداً فى الدنيا وعقوبة ينزلها الحاكم بمرتكب تلك المعصية كالزنا واللواط وقذف المحصنات والسرقة وشرب الخمر والمقصود أن لا يقع الناس فيها مستخفين بالوعيد الشديد عليها أو متكلين فى تعاطيها من الله على الرحمة والغفران وذلك شيء فى الآخرة وانما يقع بين العبد وربه (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) أما هذه الدنيا فان لها نظاما خاصاً وقانونا آخر ولو لا الحدود التي تضعها الشرائع السماوية والقوانين البشرية لانفرط العقد وتفلت الزمام وتعدي على الكرامات والفضائل واستبيحت حقوق الغير فى دمه وماله وعرضه ، وإذا كان شرب الخمر فى الرجال قبيح فهو والله منك أقبح وانما زينة الانسان عقله وجلابيب الحياء للنساء هي أستر لأبدانهن وأحفظ لكرامتهن من مختلف البراقع والجلابيب وإذا ذهب العقل من رأس جانية على العفاف والشرف مزقت الفضيلة بيديها وداست الكرامة

برجليها ومع أنهـا ستشرب من طينة الخبال وهي عرق أهل النار يوم القيـامة فانها حين تهذي وتتخبط سكرانة داخل البيت أو خارجه يتغير وجهها ويتنفش شعرها ويقبح منظرها وتصنع قاتلها الله ما يصنعه المجانين بأنفسهم فتبكي وتضحك وتفشي السر وتهتك الستر وتفضح من أمر النساء ما لا يعلمه إلا الله وهي لو حافظت على الحجاب وآداب الاسلام ما وصلت إليها الخمر ولا دخلت بيتهـا ولا استطاع زوجها النذل ولا أي سفيه من أقاربها أن يأتيها وهو نشوان أو يقعد معها وروائح الخبث تنبعث من جسمه وثيابه ، والمرأة القوية الارادة تفرض سلطتها على الأسرة ويهابها الضعيف ويجاملها القوي وهي مبطلة فكيف بها وهي محقة وشجاعتها في إزالة المنكر وتقويم أخلاق رعيتها هي عند الله والناس خير من الشجاعة في ارتكاب المعاصي والتمرد على الأوضاع القومية والتقاليد المحترمة ، وإذا بليت ولك العافيه بزوج خبيث شرير وفاجر سكير ولم تستطيعي مقاومته ورده عن غيـه فلا تمكنيه من المجيء بكؤوس الخمر وزجاجاته إلى بيتك الطاهر لئـلا يراه أحد الأبناء فيتخلق بأخلاقـه ويستخف بالخطر القاتل وينطبع في قلبه ان الخمر جميلة وان أباه لم يشربها إلا لما فيها من القوة والنشاط والمصالح الأخرى ، وربما وجد الصغير بقية من السم فشربها واستنشق رائحتها ليعرف سرها وليكون مثل أبيه سكيراً عربيداً وقصي على الناشئة ما تعرفين من مضار الخمر وكم قتلت من عظيم وأمرضت من صحيح وأفقرت من غني وسببت من ميثا كل عائلية وبغضيها إليهم بكل ما لديك من قوة الايمان وسحر البيان فان المصيبة بها عظيمة ، وقد تنجس بها كثير من المسلمين بعد أن طهرهم الله منها ، وفي ظل هـذه المدنية الاباحية وبحرية الاستعمار الملعون أصبحت الخمر

مشروبة يستخف بويلاتها الصغار والكبار من الرجال والنساء ، وكلهم يتغنون بشعر أبي نواس وأمثاله من السفهاء :

لا تحفلن بقول الزاجر اللاحى
وأشرب على الورد من مشمولة الراح
صهباء صافية تحديك نكهتها تنفس المسك ملطوخاً بتفاح
حتى إذا سلسلت فى قعر باطية أغناك لألاؤها عن ضوء مصباح
ما زلت أسقي حبيبي ثم ألثمه والليل ملتحف فى ثوب امساح

وكل ما غير العقل وخدر الأعصاب وسبب الفتور وأخل بالشعور فهو خمر وله حكم الخمر وقليله وكثيره حرام ولا فرق عند الله فى اثم شاربها وسوء نتيجتها بين ما يعصر من التمر والزبيب وما تتخذ من الذرة والشعير والعسل وماء النارجيل وغير ذلك . وأخبث منها الأفيون والحشيشة وما تلف عليه أوراق التانبول أو يستعمل فى التبغ لشربه من الشيشة والغليون ولفائف السجاير والكل داء عضال يخافه كل عاقل وتحاربه الحكومات وتجبي عليه الضرائب الفادحة ويحذر منه الأطباء وتفرض عليه وزارة الصحة العقوبة الصارمة . والقات والتنباك والتانبول مضغاً واستنشاقاً وتدخيناً جميعها من المكيفات التي تنبه أعصاباً وتفتر أخرى ، وقد صار يستعملها الناس ويفرطون فى الانفاق عليها ويقدمها بعضهم على الضروريات فى اللباس والقوت لنفسه ولعياله وهي لا تخلو من الآفات ولا تقل خطراً عن بعض المسكرات تغير الدم وتذهب البهاء وتفسد الأمعاء وتضعف النسل ويضيع فيها النفيس من الأموال والأوقات وتخل بميزانية متعاطيها وتكلف الصديق إذا زاره أصدقاؤه من الاتعاب ما تعرفينه يا سيدتي وأنت تطبخين

القهوة وتغسلين الفناجين وتملئين البواري وتقدمين السجاير . وبين يدي من المقالات الطويلة والجمل المفيدة عن هذه المكيفات واضرارها شيء كثير ولكني لا أريد الاطالة عليك ولا أحب لك إلا التباعد عن كل محرم أو معيب . وافراط العجائز وبعض المتدللات على أزواجهن فى التدخين يجعلهن مستقذرات مستخبثات تفوح منهن الروائح الكريهة ويعاف معها الزوج تقبيل إمرأته فبخر وصفرة أسنان وتغير فى الصوت. وسعال متواصل ، وليس كل شيء حرام ولا كل ما تهواه النفس ممنوع ولكن الله عز وجل يحل لعباده الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر فلا تظنى خلاف هذا ولا تتيقنى إلا السمو بك عن كل رذيلة والارتفاع بك الى كل كمال . (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون) .

كبائر الذنوب والفواحش

لا شيء أعظم عند الله بعد الشرك به تعالى وقتل النفس بغير حق من معصية الزنا جريمة حرمها الله فى كل كتاب منزل وعلى لسان كل نبي مرسل وفاحشة نهى عنها بقوله تعالى : (ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا) . ولا ذنب يقتل فيه صاحبه شر قتلة ويرجم

بالحجارة حتى يموت إلا الزنا ، وقد مدح الله سبحانه المتباعدين عنه وذم مرتكبيه فى مكان واحد (والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وتوعد عليه بالخلود فى النار إذا لم تقع بعده التوبة والندم والاستغفار (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما) . وتلك معصية لا يستقل بفعلها الواحد وانما تكون بين رجل وامرأة وحدهما سواء والعقوبة واحدة فالذي لم يكن قد تزوج ولا تمتع بالنكاح الصحيح يقال له البكر وإذا وقع منه الزنى وجب جلده بمائة سوط أو عصا ويغرب عن بلده سنة كاملة ليذوق ألم الضرب ومرارة الغربة وهو بعد ذلك ساقط المروءة مجروح العدالة مردود الشهادة معدود عند الله من الفاسقين حتى يتوب توبة نصوحا ويطهره الحاكم الشرعي بالحد الذي أمر الله باقامته فقال تعالى : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) .
والذى يكون منه الزنى بعد نكاح صحيح ولو مرة فى العمر يقال له المحصن وحده الرجم بالحجارة بعد أن يدفن فى حفرة الى صدره حتى يموت رجلا كان أو امرأة وفى عهد رسول الله ﷺ رجم رجل يقال له ماعز بن مالك وامرأة غامدية اعترفت أنها حبلى من الزنى فتركها حتى وضعت وأرضعت ولدها ثم أمر برجمها وصلي عليها ودفنت فى مقابر المسلمين .

وهذه العقوبة الشديدة فى الدنيا يطهر الله بها الزانية والزاني المرجومين ظاهراً وباطناً . اما الذي لا يقام عليه الحد أو المجلود المصر على جريمته فله النار وعليه لعنة الله ومقته فى الدنيا والآخرة . والمستور الذي لا يجاهر بالمعصية لعل الله عز وجل أن يتوب عليه ويغفر له (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) . والمرأة الزانية تعد جانية على دينها ونفسها وعرضها ثم على اهلها وقبيلتها فاما أن تقتل بالحد الشرعي وأما أن يدبر قتلها من يلحقه عارها ولو بالخنق أو السم يضعه لها فى طعام أو شراب وهي مع ذلك تفسد العائلات وتغير الانساب وتدخل فى العشيرة من ليس منهم وقد يركبها المصاب بالسيلان أو الزهرى فتنقل الشر الى زوجها وتهلك به أولادها وربما وضعت جنينها من حلال أو حرام وهو أعمى أو مجذوم وربما نقل المرض من أحد ابويه الى ابنائه وبناته بالوراثة ، والأطباء يعرفون ذلك ولا ينكرونه ، والرجال ولا شك أشجع وأجرأ على الذنوب من النساء ولكنهن أقدر عليها وأبصر منهم بطرقها فهم يطلبون وهن يعطين ، وقد يعرض الرجل نفسه على الغانيات فيرد ولا يقبل وهو غني وجميل ، ولكن قلما تعرض الفتاة نفسها على الرجال فلا يصيبون منها شيئاً ولذلك أمرت بالحجاب وملازمة البيت والمحفوظ من حفظه الله ، والتي تقع منها الفاحشة ولو مرة لا تعيش إلا كاسفة البال معذبة الضمير خائفة من الأبعد أن يفشي سرها وحتي مع التوبة الصادقة يأكل الخوف من الله جسمها ولا تدري عفا الله عنها الى أين تذهب بعد الموت الى رحمة الله الواسعة أم إلى عذابه الأليم ، والمغازلة والاحتكاك والتقبيل والمعانقة معدودة من الزنا والقلب يتمنى والفرج يصدق الأمنية أو

يكذبها ، ومع المعاشرة والمخالطة يميل الرجل الى روجة أخيه او أحد أقاربه فيزني بها فى قلبه وتعرف ذلك منه فتزداد له تعرضاً ويختلس منها بعد النظرات شيئاً آخر ، ومن أجل ذلك نهى النبي ﷺ عن الخلوة بالأجنبية وحليلة الجار ، والغائب زوجها اذا أكثرت من الاختلاط كانت الى الفتنة أقرب من غيرها ، وفى الحديث الشريف يقول رسول الله ﷺ لأصحابه : (ما تقولون فى الزنى قالوا حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة) فقال لأصحابه : (لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره) . وقال عليه الصلاة والسلام : (من قعد على فراش مغيبة قيض الله له ثعباناً يوم القيامة) . وهذا العذاب للرجل الزاني وللمرأة أشد من ذلك . وقص النبي ﷺ على اصحابه رضي الله عنهم رؤيا منامية وفيها ان ملكين انطلقا به ليرى فى منامه ما أعده الله للعصاة من العذاب قال ثم انطلقا بي فاذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخاً وأنتنه ريحاً كأن ريحهم المراحيض قلت من هؤلاء قالا (هؤلاء الزانون أو الزواني) وروي أن من مات وهو يدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة قالوا وما نهر الغوطة يا نبي الله قال (نهر يجرى من فروج المومسات يعني الزانيات يؤذى أهل النار ريح فروجهم) وقد تحبل الزانية ولا زوج لها فتود لو تنشق بها الأرض أو يسقط عليها كسف من السماء وتقول يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا . واذا تخلصت الخبيثة من حملها زين لها الشيطان قتل ولدها فتجمع على نفسها بين معصيتين كبيرتين الزنى وقتل النفس التي حرم الله وليتها وقد رغبت عنه تضعه في مكان يلتقط منه وهو حي ، ومن أجل ذلك أمر الله نبيه الكريم أن يأخذ البيعة على النساء عند الاسلام على هذه

الشروط (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) .

وإذا عرفت أيتها الحرة الطاهرة من ترتكب هذه الكبيرة فلا تقربي منها ولا تصغي إلى حديثها فانها والله أشد خطراً عليك من المجذومة لا تأمنين أن يصيبك شيء من جرائيمها . والمومسة البغية تفخر بعملها وتذكر للعفائف من يأتي اليها فـأما أن تصيبهن وأما أن تحسن لهن الفاحشة وتوقعهن في ما وقع فيه صواحب يوسف اللاتي رأينه فأكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم . والعجوز التي كانت زانية يستعين بها الشيطان على الدياثة وتقود نعجتها البشرية للجزار الأثيم يذبح منها الطهر والعفاف وترقص الملعونة في دم الذبيحة . وما ظهر الزنا في قرية ولا أسرة ولا بيت إلا وظهر معه الفقر والمرض وسوء الحال وسوء المنظر وسوء المنقلب فى الاهل والمال والولد . وهل كفر الناس وانتشر الالحاد وظهرت الاباحية إلا تخلصاً من التكاليف ورغبة فى الشهوات وتشبهاً بالحيوانات التي تعيش كما تشاء حتى تساهلت الحكومات فى عقاب المجرمين ومنحت المخنثين والبغايا رخصاً رسمية وأوجدت لهم الأدوية وأعدت لهم المستشفيات والأطباء فشجعت الفساد وأهلكت البلاد وجنت على الأخلاق وشرف الانسانية جناية لا تغتفر :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت   فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وعليك يا سيدتي أن تكوني قوية العزم شديدة الحزم ، قابضة بيد

من حديد على من يهمك أمرهن من الشابات العصريات فترقبينهن عن كثب ولا تغضي الطرف منهن على القذى ولا تقولي كما تقول الجاهلة (زماني مضى وهذا زمانك يا بنت الموضة) ولكن كما يقول الشاعر :

انت عيني وليس من حق عيني   غض اجفانها على الاقذاء

جنبيها مواضع التهمة ولا تضايقيهـا إلى حد بعيد فى المراقبة والتزام عادات قديمة لا توافق عصرها ما دامت عفيفة متدينة ، واسمحي لي بكلمة ما كنت أحب كتابتها فضلا عن مجاهرتك بها ولكنها الحق ولا حياء فى الحق ، وهي أن كثيراً من البيوت يحصل فيها بين البنات والقواعد من النكاح ما تعلمينه من الشر (المساحقة) التي بها يغيض الماء ويذهب البهاء ويذبل الغصن وتسبب الجنون والسل واختلال أعصاب الدماغ وتصبح بها الفتاة غير صالحة للزواج وان تزوجت فهي غير صالحة للحمل والولادة .

واذا أصيب القوم فى اخلاقهم   فأقم عليهم مأتماً وعويلا

ومثل معاملة النساء بعضهن مع بعض فيما تقدم (الاعتياد السرى) الاستمناء وهو المصيبة التي قلما يسلم منها الشاب والشابة ونعوذ بالله من معصيته ومخالفة أمره .

وحذار يا سيدتي من التهم الباطلة وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات بشيء من هذه الخبائث فان ذلك عند الله عظيم وهو من السبع الموبقات التي أمرنا الله باجتنابها ومن قال فى الناس شيئاً قالوا فيه أكثر ومن تتبع عورات الخلق ونسب اليهم ما ليس فيهم هتك الله ستره وكشف عورته وفضحه يوم القيامة على رؤوس الاشهاد .

وبعضكن يا أخواتي لا يطيب لها الحديث إلا إذا ذكرت فلانة

ومزقت عرضها بمقاريض الغيبـة والنميمة تقول فيها الكذب وتفتري عليها البهتان وتنسب إليها ما هي بريئة منه والله المستعان . ومن قال أن فلانة زانية فعليه أن يثبت أربعة شهود مسلمين عـدولا يشهدون بالله على صدقه وإلا فانه يجلد ثمانين جلدة رجلا كان أو إمرأة وحسابه بعـد ذلك على الله إلا الزوج يقـذف زوجته فله حكم تعرفينه ممـا يأتي .
ويا هول ما نسمع من قـذف المحصنات وسب الأمهـات والأخوات ورميهن بالفواحش عبثاً واستخفافاً بحدود الله ونواهيه (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) .

جريمـــة الزنا

قلت لك فى الفصل السابق أن الله عز وجل حرم هـذه الجريمة فى جميع الشرائع وأزيدك أنها محرمة فى جميع القوانين البشرية منذ أقـدم عصور التاريخ . وإليك ما تفرضه الشرائع والقوانين من العقوبات على الزناة حتى تعلمى قبحها واستفظاع بني الانسان قاطبة لها :

فعند اليهود تعاقب الزانية بالرجم وقـد أخفوا ذلك وتساهلوا فيـه وكان إذا زنى فيهم الشريف كتموا أمره وتجـاوزوا عنه ، وإذا زنى فيهم الضعيف أقاموا عليه الحـد وزعموا انه يحم وجهـه ويعزر فقط ، وتخاصموا فى ذلك الى رسول الله ﷺ وقالوا له احكم بيننا يا محمد فقـال نحكم فيكم التوراة وأخرج منها عبدالله بن سلام آية الرجم دالة على صدق

ما جاء به نبي الاسلام فرجمت الزانيـة والزاني .

وعنـد الهنود يحرق الرجل الزاني بالنار ، والمرأة الزانيـة تترك للكلاب تأكلها وهي حية ، وما أشدها من عقوبة .

والمصريون سابقاً كانوا يقتلون الزانية والزاني ثم صاروا بعد ذلك يجلدون الرجل مائة جلدة ويقطعون أنف المرأة .

والآشوريون كانوا إذا إدعت المرأة فيهم على زوجها بالزنا وأثبتت عليه ذلك حكموا عليه بالاغراق فى الماء ولهم على المرأة عقوبة أخرى .

والصينيون كانوا أشد الناس فى عقوبة الزانيـة وتعذيبها وليست العقوبة عندهم من نوع واحد بل هي القتـل وتقطيع الاعضاء والاحراق بالنار وغير ذلك .

واليونان فى بعض مـدنهم كانوا لا يعاقبون الزناة بحجـة أن واضع القـانون لم يذكر لهم شيئاً فى أمر الزنا لأنه فظيع وذكره فى الـكتب والدساتير مستقبح الى الغـاية . (أما اثينا) فـكانت المرأة الزانيـة تحاكم بعقوبة شديدة ولـكن غير القتل .

والرومان كانوا يجعـلون عقوبة الزنى الى كبير الأسرة ومتى ثبت للرجل عن امرأته أنها زانية كان له قتلها ولا يرفع شيء من ذلك الى الحاكم . وفى عهد الملك (أغسطس) منع حق الرجل على المرأة واتخذت عقوبات اخرى على النساء الزانيات .

والفرنسيون كـانوا يجعلون للرجل وحده أن يتهم زوجتـه بالزنى وليس لغيره ذلك أيا كان إلا أن تكون معها جريمة مالية والعقوبة عندهم أن تحبس المرأة فى أحد الدور سنتين كاملتين ولزوجها زيارتهـا والعفو عنها فى هذه المدة فان انقضت وهو مصر على تأديبها حلق رأسها وحكم

عليها بالرهبنة طيلة حياتها وليس لمدير الضبط أن يعاقب الزانية عندهم إلا أن تكون قد أحدثت فساداً اجتماعياً . وكذلك بقي القانون فى فرنسا الى سنة ١٧٩١م ثم رفعوا عن الزناة العقوبة مطلقاً وعدوه فى الجنايات جريمة عظمى وذلك أول ما فتحت للفساق أبواب الشر وتساهلت فرنسا فى حماية الأخلاق حتى أصبحت مضرب الأمثال فى الدعارة والفجور . وما أظن الغربيين كافة إلا مقتدين بفرنسا فى هذا التسامح المغاير للعقول السليمة والقوانين الصحيحة . وجاءت هذه العبارة فى دائرة معارف (لاروس) وهي قوله : (انكار كون الزنى من الجرائم يعتبر حطاً من قيمة قانون الزوجية الذي يؤسس المسؤولية الأبوية على عهدة الزوج) . وبالزنى يتسرب الى الأسرة الخيانة والشقاق ويسلب الأم احترام أولادها والأولاد حب وعناية أبيهم والأب غبطة الابوة ، ولذلك نرى جميع قوانين البشر تعاقب على الزنى . والمسيحيون المتدينون لم يفهموا ما اراده المسيح عليه السلام من الكف عن رجم الزانية وقوله للناس (أرجموها انتم ولا يرجمها إلا طاهر) فانهم ظنوا سقوط الحد عنها وما علموا أنه يريد اقامة الحجة عليهم وأن الذين جاءوا بها ملوثون بالزنى وكانوا انفسهم يستحقون الرجم لو كان حينئذ للمسيح قوة يستطيع بها إقامة الحدود عليهم .

وفى شريعتنا الاسلامية السمحة يعاقب كل من الزانيين بما قد علمت فالبكر يجلد ويغرب والمحصن يرجم حتى يموت ، ولكن هل المقصود سفك الدماء وقتل الأبرياء عبثاً ؟ لا يا سيدتي العزيزة بل المقصود حماية الأخلاق وحفظ الأسرة من اختلاط الأنساب وأن لا تخرج المواريث عن أهلها ، وانما جعل الله هذه العقوبة مطهرة من

الذنوب وحائلة بين السفهاء وانتهاك حرمات الله وتعدي حدوده وهي تدرأ بالشبهات . ولا يكاد الحد يقام من الزنى إلا على مقر ومعترف بجريمته بشرط أن لا يكون متهماً فى عقله وليس صبياً ولا مكرهاً ولا جاهلا معذوراً ، فاذا أقر على نفسه أربع مرات أقيم عليه الحد المذكور . لكن الحبلى تنتظر حتى تضع ولدها وينقطع نفاسها ، فان وجد الطفل مرضعة أخرى سلم اليها وإلا بقيت ترضعه حتى يأكل الطعام .

أما الذي يدعى عليه بالزنا فان كان ممن يقام عليه الحد اشترط احضار أربعة شهود مسلمين بالغين عقلاء احراراً ذكوراً عدولا يشهدون بالله عز وجل أنهم رأوا فلاناً يزني وأنهم رأوا ذكره فى فرج الزانية وذلك أصعب ما يكون ولا يستطاع إداء هذه الشهادة إلا نادراً . وثمة شروط واعتبارات في الشهود والشهادة وكيف يؤدونها ويتحملونها مفصلة فى كتب الفقه . والانسان مسؤول فيما بينه وبين الله . ومن أبدى لنا صفحته أقمنا عليه حد الله ومن ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر يستر الله عليه . والرجل فى الاسلام يتهم زوجته بالزنا ، عليه أن يثبت الشهود الاربعة وهو واحد منهم أو تعترف امرأته بما قال ثم تحد وإلا فتكون (الملاعنة) وهي أن يحلف الرجل عند الحاكم الشرعي أربع مرات يقول فى كل مرة (والله العظيم أنني لصادق فيما رميت به زوجتي فلانة من الزنى ومع اليمين الخامسة يقول أن عليه لعنة الله إن كان من الكاذبين) . وتخوف المرأة بعد ذلك وتذكر بعذاب الله فان أقرت وجب رجمها وان أنكرت حلفت مثله أربع مرات تقول فى كل مرة (والله العظيم ان زوجها فلاناً لكاذب فيما رماها به من الزنى ومع اليمين الخامسة تقول أن عليها غضب الله ان كان من الصادقين)

ثم يفرق بينهما وتأخذ منه نصف المهر وتحرم عليه تحريماً ابدياً فى الدنيا والآخرة ، وان كان ثمة ولد بينهما ونفاه ابوه باللعان كان لأمه ولا يرث من أبيه شيئاً ولا ينسب اليه (والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ، والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ، ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم) .

الطهارة المعنوية

من اقترف اثماً أو أرتكب ذنباً وستره الله كان عليه ان يطهر نفسه من درن المعصية بالتوبة الصادقة التى يغفر الله بها كبائر الذنوب والفواحش فيندم على ما صنع مقلعاً عنه مستغفراً لذنبه راجياً من الله أن يتوب عليه محسن الظن بربه تعالى ذاكراً لقوله عز وجل فى الحديث القدسي : (يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يا ابن آدم انك لو اتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بي شيئاً اتيتك بقرابها مغفرة) وفي حديث آخر يقول تعالى : (يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني اغفر لكم) وفي القرآن من الآيات الآمرة بالتوبة والمبشرة بالقبول شيء كثير (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا

من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العـذاب ثم لا تنصرون) .

والتوبة من مظالم العباد لا بد معها من رد الحقوق الى اهلها أو طلب المسامحـة منهم إلا إذا ترتب عليه سعة الخرق والمشـاجرة بين المذنب وصاحب الحق وذلك في الأعراض كالغيبة والنميمة فيسأل ربه التوبة والمغفرة وان يتحمل عنه هذا الحق لصاحبه ويثيبه عليه ويكثر من الدعاء والاستغفار للمظلوم ورحمة الله واسعة وكرمه عظيم . وانت ايتها المعدودة ان شاء الله من المسلمات المؤمنات القانتات التائبـات العابدات السائحات من الثيبات والأبكار لينة القلب رقيقة الشعور توابة منيبـة إذا دعيت الى الله أجبت واذا صدر منـك الذنب ندمت عليه وتوجهت الى الله في السر والعلانية ، وتطلبين عفوه وتسألين فضله ، وأنت عليه كريمة يعلم فيـك الضعف وطهارة الضمير فيقبل منك اليسير ويسقط عنك الـكثير ، وما عليك إلا مراقبته جل وعـلا في جميع أعمالك والخوف منه والطمع فيه . (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقـاب ذي الطول لا إله إلا هو اليـه المصير) . وبالصلاة والصوم والصدقة وطاعة الزوج وحسن التربية وذكر الله وتلاوة القرآن وغير ذلك من الطاعات والقربات تصفو الروح وتهذب النفس ويقوى الايمان وتصبحين معه عظيمة في بيتك عظيمة في امتك عظيمة عند الله محسوبة من أوليائه الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ولا اريد منك التبتل والرهبنة والانقطاع للسجادة والسبحة والمسواك كلا يا سيدتي ولكن أريدك صالحة للدنيـا والآخرة ، تأخذين بحظك الوافر من طيبات الحياة وتستوفين حقك من متعـة الطعام والشراب والنكاح

والزينة . فهذه الصحابية أم سنان تقول بايعت النبي ﷺ فنظر الى يدي وليس فيها أثر للخضاب فقال : (ما على احداكن أن تغير أظفارها وتعصب يدها ولو بسير) فهو يحضها على الخضاب وان يكون في معصمها سوار ولو سيراً من جلد ، ولكن يكون هذا مع الزهد والورع والاستعداد للحياة الباقية وان تكوني من أهل قوله تعالى : (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) .

الطهارة الحسية

من الأحداث والنجاسات يجب عليك التطهر والابتعاد عنها قدر الامكان وسأبين لك الوضوء والغسل والتيمم ومن أيشيء يجب ذلك وما هي النجاسات التي يجب غسلها وإزالتها عن البدن والثوب والأماكن والآنية . فاذا أردت القيام إلى الصلاة وسبق أن قد أحدثت بشيء خارج من السبيلين عيناً أو ريحاً عمداً أو سهواً أو زال العقل بنوم أو غيره أو كنت شافعية ولامسك الرجل الأجنبي وليس بينك وبينه حائل أو مسست ببطن الكف أو بطون الأصابع فرج آدمي صغير أو كبير ذكر أو أنثى من نفسك أو من غيرك فعليك الوضوء وهو بعد الاستنجاء وغسل النجاسة عن القبل والدبر أن تغسلي يديك ثلاثاً خارج الاناء وتقولين بسم الله الرحمن الرحيم ، وفي الأماكن القذرة تذكرين الله بالقلب فقط ثم تأخذين ثلاث غرفات تتمضمضين وتستنشقين من كل واحدة وتغسلين الوجه من منابت شعر الرأس إلى منتهى اللحيين ومن

الأذن إلى الأذن ناوية فرض الوضوء أو الطهارة للصلاة مع الغسلة الأولى ثم اليدين إلى المرفقين واليمنى قبل اليسرى وبعد ذلك تمسحين برأسك ولو قليلا والسنة أن تمسحيه كله بالماء مسحاً خفيفاً ثم الرجلين مع الكعبين واليمنى قبل اليسرى ويكون الغسل ثلاثاً ثلاثاً ثلاثاً غير مسرفة ولا مقصرة فى غسل الأعضاء وتثليثها وتخليل الأصابع وتحركين الخواتم وبعد الفراغ تقولين أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ولا بأس بالمنشفة ونفض اليدين من الماء والوضوء سلاح المؤمن ويستحب لك أن تصلي بعده ركعتين وهما سنة الوضوء فى أي وقت كان .

أما الغسل فلا يجب إلا من الجنابة وبعد الحيض والنفاس فاذا انقطع الدم أو باشر الرجل امرأته والتقى الختانان أو خرج المني باحتلام أو غيره وجب عليها الغسل فتنوي الطهارة للصلاة أو رفع الجنابة عند غسل أول جزء من بدنها ثم تفيض الماء على جسمها وتعمم الشعر والبشر وتتعهد المعاطف وما بين الأصابع وتدلك رأسها حتى يدخل الماء فى ظفائرها وعقد الشعر وتحت كل شعرة جنابة ، ويستحب كما فى الوضوء المضمضة والاستنشاق والسواك والتثليث والتيامن والمبالغة فى الدلك والموالاة وعدم الاسراف فى الصب والوعاء الذي تأخذين منه الماء تبعدين منه قليلا حتى لا يعود الرشاش إليه ، وإذا أمكن الغسل بالازار كان أفضل وأستر وأنت مخيرة فى الوضوء تقدمينه على الغسل أو تأخرينه ولا بأس بالوضوء والغسل من الماء الذي باشره الرجل زوجا كان أو غيره وقد كان رسول الله ﷺ يغتسل مع السيدة عائشة رضي الله عنها من اناء واحد

وتختلف أيديهما فيه وتقول دع لي ويقول دعى لي . وتكره الطهارة بالماء الشديد فى سخونته وبرودته ، وإذا كان عليك شيء من الخضاب الذي يمنع وصول الماء إلى البشرة وجب إزالته ، وكذلك الطيب الخلوق الذي يكون على رؤوس بعض النساء ويتجمد كبيراً فانه مانع من وصول الماء والجنابة معه باقية حتى يزال . وبعد الغسل من الحيض تأخذ المرأة قطعة من القطن مطيبة بغير مضر ولا محرق وتضعها موضع العفاف من نفسها فهو أنقى للرحم وأسرع لعلوق الحمل وأطيب عند المباشرة وقبل الوضوء تحرم الصلاة والطواف بالكعبة ومس المصحف وحمله أما الجنابة فيحرم معها ذلك والمكث فى المسجد وقراءة القرآن وإذا أردت النوم قبل الغسل فتوضئي وضوءك للصلاة الا ان شق ذلك عليك فلا بأس بالنوم على جنابة والدين كله يسر والحمد لله واذا أردت حضور الجمعة وصلاة العيد أو شيء من المجتمعات العامة أو الاحرام بالحج والعمرة استحب لك الغسل وازالة الفضلات والأوساخ عن الجسم والثياب . ومن فقد الماء تيمم بالتراب فى وجهه ويديه فقط . واسمعي قول ربك فى الطهارة وكيف يعلمنا الوضوء والغسل والتيمم فى كتابه العزيز (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) .

ازالة النجاسة

إذا أصابك شيء من البول والغائط والدم والقيح والقيء والمسكر المائع أو لمست الرطوبة من الكلب والخنزير والميتة التي زالت حياتها بغير ذكاة شرعية فعليك أن تغسليه بالماء الطاهر الطهور حتى يزول من النجاسة طعمها ولونها وريحها إلا نجاسة الكلب فانها تغسل سبع مرات واحداهن بالتراب ومثله الخنزير عند الشافعية . والنجاسة التي لا أثر لها يكفيك جريان الماء عليها لكن الصبي الذي لم يبلغ الحولين ولم يطعم غير اللبن إذا أصابك بوله فما عليك إلا تجفيفه ورشه بالماء والقليل من الدم كالنقطة والنقطتين ومثل الظفر يعفى عنه والكثير السائل من الجروح والبثرات إذا لم يكن بفعل فاعل ولم يختلط بأجنبي فكذلك يعفى عنه إلا إذا وقع في الماء فانه يتنجس به ، والشيء الذي لا يدركه البصر من النجاسات والقليل من شعر الميتة وما لا يؤكل لحمه والدخان القليل المتصاعد من أعيان النجاسة ودم البق والبراغيث وما يشق الاحتراز منه كل ذلك معفو عنه أيضاً . وليس من النجاسة البصاق والمخاط والعرق ورطوبة الفرج واللبن الخارج من ثدي المرأة إلا إذا تقاياه الصبي بعد شربه لكنه مستقذر ويزال . والريق المتنجس بالدم الخارج من الاسنان يجب بصقه ولا يجوز ابتلاعه إلا بعد المضمضة وإذا ابتلعتيه وأنت صائمة أو مصلية بطل الصوم والصلاة ، والمني يصيب الثوب من الزوج أو الزوجة يحك بالظفر أو يزال بأي شيء آخر . ولا بأس بمصافحة الكافر وملامسته ولا بملامسة الميت قبل غسله . والهرة تشرب من الماء لا تنجسه

لأنها كما فى الحديث الشريف من الطوافين عليكم والطوافات . ويحرم البول فى الماء القليل الراكد ومثله الكثير إذا تغير بالبول إلا مياه المساجد فلا يجوز تلويثها مطلقاً . وإذا أردت الخروج إلى المسجد فمتطهرة لا تحتاجين إلى استعمال شيء من تلك المياه ولا يصح رفع الحدث ولا غسل النجاسة إلا بالماء المطلق الذي لم تقع فيه النجاسة ولا تغير بشيء من الطاهرات وذلك ماء المطر والبرد والثلج والبحر والنهر والبئر والعين وكل ما نزل من السماء أو نبع من الأرض على أي صفة كان . أما اللبن والمرقة والقهوة والشاي والزيوت والمستقطرات من سائر أنواع الشجر فالكل طاهر فى نفسه وليس مطهراً لغيره . والثياب التي تغسلينها فى الاجانة ونحوها ان كانت متنجسة فتصبين عليها الماء صباً ولا تدخلي الثوب فى الماء القليل فيتنجس ويفسد ، وثياب أطفالك تفردينها بالغسل ولا تجمعيها مع ثياب الكبار والمصبوغة لا تغسل مع الساذجة النقية وليس هذا محرماً شرعاً ولكنه من النظافة وسلامة الذوق ، وتصح الصلاة فى ثياب النوم والمهنة إلا للعلوم تنجسه ، وحمل بنيك وتقلبهم بين يديك وجلوسهم في الحجر واحتضانهم ومعانقتهم لا يضرك شيئاً ولا تجعليه عذراً لترك الصلاة كما يقول كثير من النساء الجاهلات ، والشمس والريح والنار مطهرة عند بعض الأئمة إذا زالت بها عين النجاسة . وبالدباغ تطهر جلود الميتة ظاهرها وباطنها ، وكذلك الخمر إذا تخللت بنفسها طهرت أيضاً . ودم الحيض يصيب الثوب تحته المرأة وتقرصه بالماء ثم تصلي فيه .

ومن الجهل الفاضح اعتقاد بعض النساء ان البول يشفى الحزاز والجروح المزمنة . وكيف يكون الخبيث نافعاً والذى لا يتنزه من بوله يعذبه الله على ذلك فى قبره كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ . واليك

طائفة من الأحاديث المتعلقة بالنساء وأحكام الطهارة :

(١) اغتسل بعض أزواج النبي ﷺ في جفنة فجاء النبي ﷺ ليتوضأ منها أو يغتسل فقالت له يا رسول الله اني كنت جنباً فقال ان الماء لا يجنب .

(٢) قالت أم سليم الأنصارية رضي الله عنها يا رسول الله ان الله لا يستحى من الحق فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت قال نعم إذا رأت الماء فقالت أم سلمة وتحتلم المرأة فقال تربت يداك فبم يشبهها ولدها .

(٣) قالت أم سلمة يا رسول الله اني امرأة أشد ظفر رأسي أفأنقضه لغسل الجنابة فقال لا إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين .

(٤) تقول اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها جاءت امرأة الى النبي ﷺ فقالت إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة كيف تصنع به فقال تحته ثم تقرصه بالماء ثم تنضحه ثم تصلي فيه .

(٥) وجاءت أم قيس بنت محصن بابن لها صغير لم يأكل الطعام الى رسول الله ﷺ فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه عليه ولم يغسله .

(٦) قال أبو السمح كنت أخدم رسول الله ﷺ فأتي بحسن أو حسين فبال فجئت أغسله فقال يغسل من بول الجارية ويرش من بول الغلام . والله تعالى يقول (وثيابك فطهر والرجز فاهجر) .

الحيض وأحكامه

إذا بلغت المرأة الثانية عشر من عمرها وهي من سكان المناطق الحارة أو الرابعة عشر فى البلاد الباردة خرج من أقصى الرحم دم أسود طبيعى من غير علة ولا جراحة وهو الحيض ، وقد ينزل ذلك قبل السن المذكور ، وهو عندنا لا يكون حيضاً إلا فى نهاية السنة التاسعة وإذا لم ينزل الحيض فى السادسة أو السابعة عشرة دل على فساد صحة المرأة وقلة دمها ، وهو يأتي النساء فى كل شهر مرة ويكون من ثلاثة أيام إلى سبعة أيام إذا اعتدل المزاج والطبيعة ، أما الفقهاء فأقله عندهم يوم وليلة وأكثره خمسة عشر يوماً بلياليها ، وعند الحنفية أقله ثلاثة أيام وأكثره عشرة أيام فقط . وبنزوله لأول مرة يحكم على الفتاة بالبلوغ وأنها قد صارت مكلفة تتعلق بها الأحكام من واجب ومندوب وحلال وحرام . ويختلف إنقطاعه باختلاف النساء فبعضهن ينقطع عنها فى نهاية الخمسين وهو الأكثر ، وبعضهن قبل ذلك وبعده بقليل ، ولا تعد يائسة إلا إذا بلغت الستين أو جاوزتها عندنا ، وينقطع الحيض مع الحمل والرضاعة وعند حدوث مرض فى أعضاء التناسل ويختل نظامه إذا أصيبت المرأة بداء (الخلوروز) وهو شحوب اللون وأكثر ما يكون فى أول البلوغ وسببه قلة فى صلاحية الدم فتخف منه الكرات الحمراء والبيضاء ويطرأ هذا الداء على الطحال والغدد الليمفاوية ومرض آخر يقال له (الأنيميا) وهو فقر الدم وسببه قلة الزلال فيه ويحصل للمصابة (بالخلوروز) تغير فى الوجه واصفراره وكذلك

الأجفان والشفتين يتغير لونها ويحصل معه نحول وضعف وبطء فى الحركة وخفقان القلب وثقل فى الصدر وكسل عن الأعمال وتشتاق معه إلى أكل الأشياء الرديئة كالطباشير والتراب والفحم وسببه فى الغالب الزواج المبكر والاستمناء وعدم الرياضة والتعرض للهواء الطلق وسوء التغذية ويعالج حسب إشارة الطبيب بكمية من الكينا وقطر الحديد أو بالاستحمام والرياضة البدنية وأشياء أخرى . ويقع إضطراب الحيض فى الشابات لأسباب منها المرض المذكور والتدرن الرئوي والسرطان والبرد والانفعالات النفسية وارتشاح المعدة والرئتين والأنف ، والأمراض الحادة وعلاجه الجلوس فى الماء الساخن مع تعريض أعلى الجسم وأسفله للهواء ويكون ذلك من خمس دقائق فى بادئ الأمر ثم تزيد المدة إلى نحو خمس عشرة دقيقة وينشف الجسم ويدلك جيداً بالمناشف النظيفة ويحسن معه وضع الخرق المحماة على الفرج وأسفل البطن وكذلك الحمام البخاري وهو أن تقعد المريضة على نحو سرير منخفض ويوضع تحتها الماء الذي يرضف بالحجارة المحماة ويتصاعد منه البخار إلى أسفل الجسم المعرض له وتتقي مع ذلك البرد والاصابة بالهواء ولا تستغني عن الطبيب والأخذ بإرشاداته العلمية . والحامل لا تعالج نفسها بشيء مما ذكر لئلا يسقط الجنين بالعلاج الذي لا داعي له . وإذا كثر الدم كثرة غير عادية أو نزل فى غير وقته فانما هو من ركوده فى الكبد والرئتين والقلب وفساد العصارات عقب الأمراض الحادة ، وعلاجه أولا : باستئصال الداء الذي نشأ منه وإيقاف النزيف ويكون الغذاء غير مهيج والمريضة كثيرة الاستنشاق للهواء النقي عاملة على تقوية الجسم واتخاذ ما ذكرناه سابقاً من علاج إضطرابات الحيض وقد تنفع لكثرة

الدم وقلته ، النباتات المغلية ، إذا شرب ماؤها (كالنعنع واليانسون) ولكن بكمية محدودة وبارشادات طبية صحيحة .

ولست أنا بالطبيب الذي يستطيع تشخيص المرض وكيفية طبه ومداواته ولكن هذا ما وصل إليه علمي وعرفته من كتب الحكماء وكلامهم ، وكلما في الأمر انني مسلم أريد لك الصحة أولا ثم أن تعلمي مسائل الحيض وما يجب عليك منه وما يحرم عليك فيه ، والاسلام دين وسط يوضح الأحكام ويبينها بياناً شافياً ولا يهمل شأن الحائض كالنصرانية ولا يتشدد في معاملتها كاليهود الذين لا يؤاكلونها ولا تقعد معهم على الفراش ولا تساكنهم في البيت حتى تطهر . فاذا جاءتك الحيضة فلا تصلي ولا تصومي ولا تطوفي بالكعبة ولا تقرئي القرآن ولا تمسيه ولا تدخلي المسجد إلا للمرور حتى تطهري من حيضتك ، ويحرم على الرجل أن يطلق إمرأته وهي حائض إلا إذا طلبت منه ذلك ، ولا بأس بقراءة شيء من القرآن تقصدين به ذكر الله والتحصن من الشر ويصح عقد الصوم قبل الغسل إذا انقطع الدم ليلا وعليك قضاء الصوم من رمضان الأول قبل أن يأتي رمضان الثاني وان تأخر لغير عذر فعليك القضاء والكفارة ، والصلاة الفائتة لا تقضى مطلقاً وان كثرت لأنها تتكرر وفي ذلك من الصعوبة ما لا يخفى والجماع في الحيض من الكبائر ولا يحل لك التمكين من نفسك حتى تغتسلي ومع ما فيه من الاثم فانه يورث الجذام وعدة أمراض أخرى . ولا بأس بالتقبيل والمعانقة واستمتاع الزوج من زوجته أيام حيضها بكل شيء إلا ما بين السرة والركبة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . وحين تزيد مدة الحيض على خمسة عشر يوماً يقال للمرأة المصابة به مستحاضة وعليها أن

تغتسل ثم تفعل ما تفعله الطاهرات غير انه عليها شد الفرج وعصبه ولا يكون وضوؤها إلا بعد دخول الوقت فتسرع فيه وفى الصلاة بعده فان استمر بها الدم وتوالت الأيام بعد الأيام وجب عليها الأخذ بعادتها الأولى ستة أيام أو سبعة من كل شهر فى أوله أو آخره حسبما كانت العادة ثم تغتسل بعد ذلك وتعد مستحاضة . وقد جاءت امرأة يقال لها فاطمة بنت أبي حبيش إلى رسول الله ﷺ فقالت له اني امرأة استحاض فلا أطهر أفأدع الصلاة قال لا انما ذلك عرق وليس بحيض فاذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة وإذا ادبرت فاغسلي عنك الدم ثم صلي . والصفرة والكدرة لا تعد شيئاً ويغسل منها حيث أصابت .

والحائض أن تباشر جميع أعمالها ولا يحرم عليها إلا ما ذكرناه ، وتشدد النساء فى الابتعاد عن كل شيء واعتزال الزوج وفراشه من الجهل الذي تجب محاربته وذوات الحيض عدتهن بعد الطلاق ثلاث حيضات (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصلاحا) . وقد تمكث المرأة الزمان كله وهى طاهرة وليس بها علة وذلك من رحمة الله بها وفضله عليها . ولما أكثر الناس على النبي ﷺ فى مسائل الحيض قال له الله جل ذكره (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) .

الحمل والولادة واعراضهما

لا يقع الحمل إلا بعد السنة التاسعة من عمر الفتاة وبه تصير بالغة مكلفة وان لم تحض وأقل الحمل ستة أشهر وغالبه تسعة وأكثره أربع سنين . وينعقد من النطفتين الصحيحتين بين الرجل والمرأة (أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) ويبقى كذلك فى بطن أمه أربعين يوما ثم يصير علقة من دم أربعين أخرى ثم مضغة لحم أربعين أخرى وتلك مائة وعشرون يوما ينفخ فيه الروح بعدها كما جاء فى الحديث الصحيح عن النبي ﷺ (ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد) وثبت فى حديث آخر (ان الملك يسأل ربه فيقول أي رب ذكراً أم أنثى ما رزقه ما أجله ما عمله) «الحديث» (أيحسب الانسان أن يترك سدى، ألم يك نطفة من مني يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) وإذا سقط الجنين قبل تمام أربعة أشهر فلا يجب له شيء الا انه يستحب ستره ودفنه ، أما إذا خرج بعدها وقد تخلق فأن ظهرت عليه أمارة الحياة وجب غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، وإلا بأن خرج ميتاً فلا صلاة عليه ويجب له ما دونها وغالباً يخرج حياً فى الشهر السابع كما انه يخرج فى الثامن ميتاً .

ويحسن بالرجل أن يقل الجماع فى الشهر الأول والثاني من شهور الحمل ويبتعد عنه تماما فى الشهرين الثالث والرابع لأن ذلك يهيج الرحم ويتسبب عنـه سقوط الجنين وإذا تزوجت الفتاة صغيرة وحملت أول البلوغ كثر اسقاطها الأجنة وتهدمت صحتها وشاخت قبل سن الشيخوخة ويحدث الاسقاط غالباً فى الشهر الثالث وأسبابه كثيرة ومنها سقوط الحامل وضربها والضعف العـام والانفعال النفساني ومرض يحدث فى الرحم ومن علاماته وجع الظهر والوركين ويعقبه القيء والنزيف الدموي وبعد خروج الولد ينقطع الألم والنزيف ، وإذا أحست المرأة بشيء من ذلك فعليها ملازمة الفراش وأخذ الراحة التامة فى غرفة باردة وإذا اشتد ألمها فلا بد من إسقاط الجنين واتقـاء النزيف بشرب الأدوية وتبريد موضع الحرارة فتجعل على بطنها ومخرج الولد فوطة مبلولة وتلزم الفراش حتى ينهب عنها ما تجد ولا تعود إلى أعمالها إلا تدريجياً .

وكثيراً ما تكون مع الحمل أمراض متعددة كاضطراب الشهية والتهوع والقيء ودوار الرأس (الدوخة) والاسهال وألم الأسنان والكلف الذي يظهر على مواضع من الجسم وكألم الفخذين وأعضاء التناسل وارتشاح الأطراف السفلى وعسر التنفس ويحصل عند الحمل من الامتلاء الدموي ثقل فى الرأس وطنين فى الأذن وتتضخم البطن كثيراً ولمنع هذه العوارض يجب على الحبلى أن تتروض رياضة معتدلة وأن تستنشق الهواء الجيد وتجتنب ما يثير العوارض المذكورة وأن لا تأكل من الطعام إلا ما كان خفيفاً سهل الانهضام ، ومن المضر للحبلى دوام الجلوس لأن ذلك يضعف قوتها العضليـة فتكون وقت الطلق غير كافية لاخراج الجنين ويزيد فى انتفاخ أطرافها السفلى ويجب عليها الاستحمام بالماء الفاتر وتجنب جميع

ما يؤثر على حواسها بشدة والتي تتقايأ صباحا فى الأسبوع السادس من حملها وهو تمام الأربعين يوما الأولى وينتهى بعد الشهر الثالث ان كان خفيفاً فهو طبيعى ولا خوف منه وان كان شديداً فهو ناشئ من طعام حامض يجب اجتنابه ، وضروري من تنظيم مواعيد الأكل وتعاطى الملينات عند الامساك مع أخذ ملعقة صغيرة من كربونات الصودا عقب كل أكل ، وإذا خافت الحامل على نفسها من الصوم جاز لها الافطار وعليها القضاء فقط وكذلك المرضع ، أما الخوف على الولد فيجوز معه الافطار ويجب القضاء والكفارة اطعام مسكين لكل يوم ، ولا فطر للحامل من الزنا لتعديها إلا ان خافت معه الموت والله أعلم . والمطلقة الحامل والمتوفى عنها زوجها لا تنقضي عدتها إلا بوضع الحمل طالت المدة أو قصرت ولها على زوجها المطلق النفقة حتى تضع .

فان كتب الله لها السلامة وتمت مدة الحمل على خير ما يرام وجاء وقت الولادة فاما أن يخرج الطفل بسهولة أو تدعو الحاجة إلى حضور الطبيبة المستعدة بالعقاقير والأدوية النافعة مع العلم بكيفية الاستعمال واسعاف الوالدة إذا اعترض جنينها أو تعسر خروجه أو خروج المشيمة من بعده .

والحميات التي تصاب بها النفساء لا يعرف علاجها وأسباب الوقاية منها إلا الأطباء والطبيبات ، وحرام على القابلة وهي الداية أن تتخذ من العلاج ما لا علم لها به ولا معرفة بكيفيته وكيته والدم الذي يخرج قبل الولادة يقال له الطلق ولا يتعلق به حكم شرعى الا انه كسائر النجاسات التي يجب غسلها والوضوء منها ، والذي يخرج بعد الولادة يقال له النفاس وأقله مجة ويستمر غالباً إلى أربعين يوماً وربما استدام إلى الستين وحكمه حكم

الحيض فى جميع ما تقدم إلا انه لا يحرم الطلاق فيه ، وبالولادة تنقطع العدة وتنتهى نفقة المطلقة ويجب على الزوج ما تحتاج زوجته إليه عند الولادة من طعام خاص وقيمة دواء وأجرة طبيب وحتى الماء الذي تغتسل به قيمته على الزوج وعليه تسخينه إذا لزم الحال ، وبالجملة فان للمرأة عند الولادة وأيام النفاس حقوقاً كثيرة تجب مراعاتها ولا يقصر فيها إلا جحود أو فاقد الشعور ، وفى الحمل وأتعابه وما يحصل للحامل عند الولادة من الآلام آيات كثيرة فالله تعالى يقول (والذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون) .

الرضاعة والحضانة وما يتعلق بهما

لا بد لكل حي من غذاء يحفظ صحته ويقوم بأوده ويختلف الغذاء باختلاف متعاطيه فقد يصلح لهذا ما يضر بذاك وبالعكس واللبن للاطفال هو الغذاء كله أو جله وما يأخذ الطفل قبل الفطام من امرأة أو بهيمة طبيعى أو صناعي هو ما نريد الكلام عليه الآن وهو الرضاع وافضله وأطيبه الممتص من ثدي الأم الصحيحة بعد الولادة ولا بد من شرب اللبأ زمناً لا يقل عن اربع وعشرين ساعة لما فيه من فوائد طبية لسلامة الطفل وتقدم صحته ولا ينبغى الرضاع من الأم المصابة بالمرض الوراثي كالسل بجميع انواعه لأنه يزيد فى ضعفها وينتقل به منها الى ولدها العزيز عليها وكذلك المصابة بنزيف فى الرحم ومرض الكليتين وحمى النفاس والأمراض المزمنة كمرض القلب والصدر ومع الجنون وداء الصرع.

وفقر الدم وقلة اللبن أو المواد الضرورية فيه لصحة الرضيع ويقل فيه الدهن من الوالدة قبل سن الثامنة عشر وبعد الخامسة والثلاثين من عمرها ومع الأمراض الحادة يقل افرازه ويزيد فيه الزلال وإذا كان المرض عفناً انتقلت جراثيمه فى اللبن الى الرضيع . وأكل النباتات يخفف الدهن والزلال معاً كما انه يزيد فيهما أكل اللحم والبيض ونحوها وشرب السوائل الطبية . ويجب أن يكون طعام المرضع من الخضروات والفواكه وسائر المدرات وتجتنب المشروبات المنبهة كالشاي والبن أو تخفف من حدتها باللبن .

ويحصل عادة إذا قل لبن الأم ارتفاع فى حرارة الطفل فى أيامه الأولى وينحف جسمه ويخف نومه ويكثر بكاؤه واضطرابه ، ولا وقت محدود للرضاعة إلا انه يكون عند الحاجة اليه وحينما تشعر المرضع بجوع رضيعها قبل مضي حولين من ولادتها . (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة) . ويحسن تعويده النظام ولا يزيد اللبن عن قدر كفايته فيرضع نحو ست دقائق مع غزارة اللبن ونحو أربعين دقيقة إذا كان اللبن قليلا أو خفت مواده الدهنية ومقدار ما يحتاج اليه في الأسبوع الأول من ثمانية عشرة إلى خمسين جراماً وهو نحو وقيتين إلا ربعاً ، وفى الأسبوع الثاني ثلاث أواق وفي الثالث نحو أربع أواق وفي الرابع الى خمس أواق وفي الأسبوع الخامس إلى السابع ست أواق وفي الثامن إلى الحادي عشر لا يقل عن أربع أواق ولا يزيد عن ست وفي الشهر الرابع إلى ثمان أواق وفي الخامس والسادس إلى عشر أواق ويعرف ذلك بوزن الطفل قبل الرضاع وبعده ومتوسط الوزن للجنين الذكر بعد خروجه من بطن أمه

ثلاثه آلاف ومائتين وخمسين جراماً والأنثى أقل منه بمائة جرام وذلك نحو سبعة أرطال وكل الف جرام يكون خمساً وثلاثين أوقية ونصف تقريباً ، وينقص هذا الوزن بعد أربعة أيام لما يفرزه من الفضلات المتحقنة في جوفه ويعود النقص في الأسبوع الثاني ويتزايد إلى الشهر الخامس بنسبة كل يوم عشرين وثلاثين جراماً ثم في كل يوم عشرة جرام فقط إلى نهاية السنة وحينئذ يكون وزنه تسعة آلاف وخمسمائة جرام وعند نهاية السنة الثانية يكون وزنه اثني عشر الف جرام ومع الرضاع قد يحصل ألم في الثدي فيسبب التهاباً وتشققاً في الحلمة وتورماً شديداً يجعل المرضع في حالة خطرة وربما صار الورم خراجاً يتطلب عملية جراحية أو علاجاً طويلا فيجب غسل الحلمة بالماء الفاتر وتنشيفها بعد الرضاعة ولا يصح تركها في فم الطفل وهو لا يرضع وقد يحدث التهاب الثدي من البرد وفطام الطفل فجأة ومن ازدياد اللبن أيام الرضاع ويقع كثيراً بعد الولادة الأولى لعدم حرص الوالدة على تغطية الصدر واتقاء البرد وحينئذ يمنع الطفل من الثدي ويستخرج منه بالآلة الماصة

ولا شيء أحسن من أن ترضع المرأة ولدها وفلذة كبدها وتتولى ذلك بنفسها فهي أشفق عليه من أية امرأة أخرى وبالعطف وبالحنان الذي تضم به الولد إلى صدرها يزيد نموه وانتعاشه وتقوى الصلة بينها وبينه وتشعر بلذة الأمومة وتعرف كيفية التربية وأصولها المتبعة فان عرض لها المانع الشرعي أو الطبي أرضعت ابنها بالمصاصة أو من بهيمة سليمة والعنز أفضل من غيرها لغزارة لبنها وصلاحيته قال الأطباء (ويحسن أن تكون صغيرة قد ولدت مرتين أو ثلاثاً فان لبن الكبيرة لا يناسب صحة الطفل كثيراً وهو من الصغيرة البيضاء أقل عفونة وأعظم فائدة وتخصص

الشاة التي يرضعها الطفل مباشرة أو يجرع لبنها بعد حلبه لئلا يختلف عليه قوة وضعفاً وجودة ورداءة وحسن خلطه بماء الشعير أو البرغل فيضاف اليه بمقدار مثليه ولا سيما إذا كان من ألبان البقر) .

وحيث كان الصوم مضعفاً للمرضع فقد أبيح لها الفطر على ما تقدم في أحكام الحمل ولا فرق بين أن تكون أماً أو أجنبية .

وإذا تفضلت جازاك الله خيراً بكفالة اللقيط وارضاعه أو الطفل الذي تموت امه أو تعجز عن رضاعته فانك تصيرين أماً له ويجب عليه برك والاحسان اليك ومكافأتك بالمعروف والذي عند الله خير وابقى . ولا تصير الرضاعة شرعية ويحرم بها ما يحرم بالنسب إلا إذا كانت قبل الحولين وهى خمس رضعات متفرقة فانما الرضاعة من المجاعة ولا رضاع إلا ما أنشز العظم وانبت اللحم والمصة والمصتان لا تحرم وبناتك من صاحب اللبن أو من غيره يصرن أخوات للرضيع الكبار منهن والصغار وأمك جدته واختك خالته ولا يحرم عليك اخوانه من النسب ولا بأس أن يتزوجوا من بناتك أو بنات ابنائك وزوجك الذي له اللبن يكون أباً للرضيع وبناته من غيرك حرام على هذا الطفل الذى ترضعينه . ويثبت التحريم إذا نزل اللبن من المرأة بعد التسع السنين ولو لم تكن ذات زوج . ولا يجوز للرجل أن يأخذ ولده من امرأته لترضعه غيرها إلا لعذر صحيح .

ولا تجب النفقة للمرضع المطلقة ولكنها تستحق اجرة الرضاع (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) وينبغى أن يزاد لها في الاجر وان تعفو عما نقص منه ولا تجبر على الرضاع قهراً ولكنه من حقوقها ولها تركه إذا شاءت إلا إذا لم توجد المرضع غيرها وخيف على الطفل من

الضياع فتلزم بتربيته وارضاعه ولها أجرة المثل (وأتمروا بينكم بمعروف فان تعاسرتم فسترضع له اخرى) ولا يزال حق الحضانة للام على الطفل حتى يميز ويختار ما دامت هي صالحة للتربية مسلمة عاقلة عفيفة حرة غير منكوحة لأجنبي لا حق له في الحضانة فان فسقت أو ضعف جسمها أو اختل عقلها وعجزت عن القيام بالواجب فالحق لأمها وإذا اراد أبو الطفل التحول والانتقال من تلك البلد أخذ ولده معه وسقط حق المرأة في الحضانة إلا أن تسافر معه . واذا ميز الولد فالأصلح أن يكون عند ابيه والبنت عند أمها ويتعلم الصبي أعمال الرجال والصبية اعمال النساء .

ومن المصيبة ما يقع اليوم بين كثير من الآباء والامهات من الخصومات والترافع في امر الاولاد إلى الحكام الظلمة أو الجهال بما انزل الله فتذهب المروءة ويقع الخلاف ولا يمتثلون قول الله جل ذكره : (ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير) وبكثرة النزاع تزيد العداوة ويصبح الطفل في حيرة من أمر والديه يحب امه ولا يريد فراق أبيه .

وخير لك يا سيدتي اذا عرف الصغير كيف يستقل بأكله وشربه وغسل اعضائه أن تسلميه إلى ابيه فتستريحي من التعب ويكفيك أبوه مؤنة الانفاق عليه والعناية بتعليمه ومراقبته . وبحسن المعاملة والمحافظة على الجميل بينكما سيتردد عليك ويزورك في كل حين . ولا عتب ولا لوم عليك إذا تزوجت بعد اداء المهمة وتسليم الولد إلى أهله . وتعلمين اذا ثبت عليك شرعاً انك تاركة للصلاة أو مقصرة في واجب التربية أو كان البيت الذى تسكنينه غير صالح للبقاء فيه أنه يؤخذ منك الطفل قهراً ولا فائدة في كثرة الشغب والتردد على الحكام وعليك مراجعة

المطلق من أبنائك واخوانك بالحسنى وتقولين له الخير وتحذرينه سوء العاقبة من التفريق بين الوالدة وولدها لغير حاجة وصدق الله في قوله تعالى (انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) .

ومن كلام الرسول ﷺ اذكر لك عدة أحاديث تتعلق باحكام الحيض والنفاس والرضاع والحضانة لتعلمي ان ما تقدم في هذه الفصول مستمدة احكامه من كتاب الله وسنة رسوله قال انس بن مالك رضي الله عنه (إن اليهود كانت إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها فقال النبي ﷺ اصنعوا كل شيء إلا النكاح) (وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ما يحل الرجل من امرأته وهي حائض يا رسول الله فقال ما فوق الازار) ومن حديث طويل يقول عليه الصلاة والسلام (أليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم) . وقالت أم سلمة رضي الله عنها كانت النفساء تقعد على عهد النبي ﷺ بعد نفاسها اربعين يوماً) وقالت عائشة كنت اشرب وانا حائض فأناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في فيشرب ، وأتعرق العرق وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في) ودخل اعرابي على نبي الله ﷺ وهو في بيت أم الفضل فقال يا نبي الله اني كانت لى امرأة فتزوجت عليها اخرى فزعمت امرأتي الاولى أنها ارضعت امرأتي الحدثاء يعني الجديدة رضعة أو رضعتين فقال النبي ﷺ لا تحرم الاملاجة والاملاجتان) (واريد ﷺ على ابنة عمه حمزة ليتزوجها فقال انها لا تحل لي ، انها ابنة أخي من الرضاعة ويحرم من الرضاعة ما يحرم من الرحم) وقالت امرأة يا رسول الله ان ابني هذا كان بطني له وعاء ، وحجرى له حواء ، وثديي له سقاء ، وزعم أبوه انه ينزعه مني فقال انت أحق به ما لم تنكحي) واسلم رجل من

الانصار وأبت امرأته أن تسلم فجاء بابن له صغير لم يبلغ قال فأجلس النبي ﷺ الاب هاهنا والام هاهنا ثم خيره وقال اللهم اهده فذهب الى ابيه (واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم) .

تربية البنين

تقدم لك فى بعض الفصول السابقة شيء من واجبات التربية وهنا سأجمع ما تيسر من أمور لا بد لك من معرفتها والعمل بها في حضانة الأولاد وتنشئتهم على خير ما يرام ديناً وخلقاً وصحة ، وبذلك ينشأ أبناؤك صالحين أقوياء فى أبدانهم وعقولهم ، وسترين منهم ما يرضيك وتقر به عيناك منهم صغاراً وكباراً رجالا و نساء ، وقد فرض الله عز وجل على الآباء والأمهات العناية التامة بتربية البنين والبنات وأوجب عليهم البر والمكافأة الطيبة لآبائهم على حسن صنيعهم فى أيام الصغر وزمن الطفولة (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين احساناً اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) ومن الدروس النافعة التي يأخذها الأبناء عن الآباء قول لقمان عليه السلام (يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ، يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور ، ولاتصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان

أ نكر الأصوات لصوت الحمير) ومن ذلك ما أشار اليه الله بقوله سبحانه وتعالى (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم الآية) وأحسن أبو العلاء المعري فى قوله :

إذا بلغ الوليد لديك عشراً فلا يدخل على الحرم الوليد
فان خالفتني وأضعت نصحى فأنت وان رزقت حجى بليد

وعلمنا الله عز وجل كيف نقوم بأمر اليتامى ونحفظ أموالهم فقال تعالى (وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا) وتختلف التربية باختلاف أحوال الصغير رضيعاً وفطيما وقبل التمييز وبعده ومراهقاً وعند البلوغ وفى البيت والمسجد والمدرسة والملعب والمجالس التي يهيأ فيها للمستقبل السعيد وفى الأماكن التي يزاول فيها العمل ويستعد لما خلقه الله له من تجارة أو زراعة أو صناعة أو غير ذلك ، وليس هذا كله عليك وحدك يا سيدتي بل انه عليك وعلى والد الأطفال والقيم عليهم وربما كانت المسئولية الكبرى للاطفال فى أول حياتهم عليك أيتها الأم الحنون والرحمة فيك أكثر والاحساس عندك أقوى بما يريده الصغير ويجب له في طعامه وشرابه ونومه ويقظته ورضاعته وحمله وحطه وتمرينه على الجلوس والقيام والمشي والكلام ومعرفة الأشياء والاجابة الحسنة على سؤالاته المتعددة فما هذا ومن هذا ولأي شيء ذا وكم وكيف ومتي وأين ولا يصبر على ذلك منه ولا يتحمله إلا أنت لأن الطفل بضعة منك وفى أحشائك تكون ومن دمك ولبنك تغذى وفى حجرك ينشأ ولله در من قال :

كون الله فى الحشايا جنيناً بعنايات ربه مشمولا
فعظاما وقد كساها بلحم وعروقا فكان حملا ثقيلا
تصنع الأم ما تشاء ولكن عليها محافظاً ووكيلا
فاذا صار جوفها منه خلواً صار بالحب قلبها مشغولا
بيته حجرها ولله بيت لا يريد الرضيع منه بديلا
وله بين أمه وأبيه منزل فيه يكرمان النزيلا

وأول ما يجب له شرعاً الختان وتستحب العقيقة شاتان عن الذكر وشاة واحدة عن الأنثى تذبح فى اليوم السابع ويتصدق بلحمها ويؤذن له فى أذنه اليمنى وتقام الصلاة فى أذنه اليسرى ويحنكه الرجل الصالح ويختار له الاسم الحسن وإذا حلق رأسه استحب التصدق بوزن شعره ذهباً أو فضة .

وتعلمين انه لا غنى لولدك الصغير عنك ولا ينبغى منك أن تدفعيه الى امرأة أخرى لتربيه وتعطيه من نفسها مثل ما تعطينه أنت وذلك مستحيل عقلا وحساً ولو كانت المربية من الحور العين إذ لا يكن أحد فى قلبه للطفل من الرحمة به والشفقة عليه مثلما تكن له أمه وإن أعرضت عنه وتشاغلت بغيره فهي التي تجوع ليشبع وتسهر لينام وتترك ما تشتهيه من الطيبات احتفاظاً بصحة ولدها وخوفاً عليه مما يؤذيه .

وقد فهمت ما لا بد منه للرضيع وما هو اللبن الكافي لتغذيته وما ذا على الأم أن تفعله وتتركه من الأشياء لصحته وسلامته وما أظن غير الأم تحسن هذه الرعاية وتصبر على هذه العناية وقد تقرر طبياً وشوهد حسياً تأثر الرضيع بلبن المرضع فى تركيبه الجسماني وخلقه النفساني وهل تحبين أن يتخلق الولد إلا بأخلاقك وهل تريدين إلا أن يكون في قلبه

من التقدير والاحترام لك مثل الذي في قلبك له من الحب والحنان

فاذا تعذر أو تعسر أن ترضعيه أنت فلا تسلميه إلا الى امرأة دينة أمينة عفيفة صالحة تعرف أصول التربيـة والخطط التي تتمشى عليهـا المربيات في تنشئة الاطفال وتعليمهم .

والامهات وان اتفقن في معنى الامومة والحدب على الاولاد وارادة الخير لهم من كل ناحية ، والحب العظيم لهم والميل اليهم فانهن يختلفن في العلم والعقل والشعور اختلافـاً بينا ، فمنهن من تقلق لاقل شيء وتضطرب من لا شيء وإذا أصيب ابنهـا بمـا لا خوف منه لم تفكر في معالجته ودفع السوء عنه بكل وسيلة ولكنها تفكر في موته وترى أنهـا لا تطيق الحياة بعده وربما عرف منها الخوف وادرك منها القلق فتمرض واشتكى من أخيه وزميله وطلب منها ما لا تقدر عليه لا لشيء إلا ليعبث بها ويسخر منها ويسير بها وراءه فيما يصح وما لا يصح ، وقد تكون المسكينة جاهلة بما يضره فتمكنه منه وبما ينفعه فتحول بينه وبينه وتريد به الخير فتمنعه من الفضول والسؤال عن أهله وزملائه واحوالهم وتسكته اذا تكلم ويتسبب من ذلك الخرس أو البـلادة ولا تلاحظ وجدانه ولا تقدر له ما يحب وما يكره ولا تستطيع توجيهه بحكمة الى الفضيلة والتخلق بها فتمدح له الصدق والامانه وحسن العشرة وتذم له الكذب والخيانة وكراهية أقرانه ومخاصمة اخوانه وتفرض على الناس حب أولادها وتذكرهم بما ليس فيهم من الخير وتفضلهم على غيرهم كافة من ابناء أقاربها وجيرانها وتحسن منهم القبيح وتقبح من غيرهم الحسن وتضحى بكل غال ورخيص في سبيل ما يرضيهم ولو كان في ذلك ما يودي بحياتهم ويضر بمصالحهم وربما أخرتهم عن الذهاب إلى المدارس

وفات بسوء تصرفها الوقت المناسب لتعليم أبنائها وتعويدهم لمكارم الاخلاق وأشرف صفات الانسانية ، وقد تكون في الأمهات سفيهة حمقاء لا تصبر منهم على أي شيء ولا تغض الطرف على أية إساءة بل ترفع صوتها آمرة وناهية وتحاسب وتعاتب الاطفال وتضربهم وتقهرهم وتكلفهم من الأعمال ما لا يطيقون ولا تسمعها إلا في نزاع معهم على الحركات والسكنات وأخذ هذا ورد هذا وتعد من الحكمة معاملتها الخاطئة والويل لمن يراجعها أو يبين لها غلطها فتتخذه عدواً وترد عليه اللوم اذا منعها من معاقبة الطفل الذي لا يستحق المعاقبة ، أما الحكيمة الصالحة فهي الشديدة اللينة التي تجازى على الاحسان بالاحسان وتقابل الاساءة بالعفو عنها والمؤاخذة عليها حسب الظروف والملابسات المختلفة وتقول احدى الكاتبات عن الأم في بعض الجرائد : (ان الأم الحكيمة تتصرف بكل تؤدة وتفكر وتعمل مستقلة الرأي حالما تجد ان قابلية طفلها العقلية أخذت تقوم بعملها وكذلك هي تعلم متى تفرض عليه الطاعة ومتى تسبل عليه حبها ، فالأم من هذا النوع تستطيع أن تؤثر تأثيراً عظيماً على حاضر ومستقبل طفلها ، والفضل في نجاحها يرجع إلى عقلها وحنانها الوالدي العميق الغور والمجرد عن الأنانية العمياء) .

والمهم قبل الفطام وقبل أن يستطيع الطفل تعبير عما في نفسه وما يحس به من الآلام عنايتك بصحته وكيف يتكلم فلا تخاطبيه إلا بما يفهم ولا تلقي عليه من الكلمات إلا القصيرة الخفيفة على اللسان المألوفة المعروفة كهات وخذ وتعال واذهب وأنا أمك وهذا أبوك وطيب هذا وقبيح ذاك وجنبيه البذاءة وكلام الفاحشة ولا تسكتي له على السب والشتم وما لا يحل من القول خشية أن يتعوده صغيراً فيصعب عليه تركه

كبيراً . وإذا كان بوالا على فراشه بعد السن الذى يترك الأطفال فيه التبول على الفراش وفى الثياب فذلك من سوء تدبير فى الأمور العادية ولا حاجة إلى إحداث الضجة والتبرم من صنيعه فانه سينبذ تلك العادة إذا اهمل قليلا وفى نفس الوقت لا بد من غض الطرف على مثل تلك الهفوات وعند ما يعتاد الطفل على ضبط نفسه ليلا يجب أن تلقى على مسامعه بضع كلمات الاطراء والمديح ويحسن تقليل كمية السكر التي يتعاطاها وكذلك الأطعمة النشوية بنسبة واطئة جداً ويجب أن يتبول الطفل بعد وقت الشاي وقبل النوم ثم توقظينه بكل لطف لقضاء حاجته فى الساعة العاشرة مساء وقبيل الفجر . وإذا استمر فى عادته فينبغى عرضه على الطبيب لفحصه فربما كان مصاباً بمرض فى مثانته أو كليتيه سلمه الله ولا أراك فيه ما تكرهين وإذا تحدثت مع الأبناء فبشريهم ومنيهم وقولي لهم أنهم سيكونون أمراء وزعماء ورؤساء وافتحى لهم أبواب الأمل ولا تخوفيهم بالوعيد والتهديد ولا تقتلي فيهم الذكاء بالتعنيف والضرب الشديد ولا تقصي عليهم أحاديث الجن وما يسبب لهم الخوف من كل شيء فى الليل والنهار وعوديهم الثقة بالله والاعتماد على النفس وان كل شيء دون الله باطل ولا يضر ولا ينفع ولا يعطى ولا يمنع ولا يخلق ولا يرزق إلا الله وحده لا شريك له . وإذا بلغ الطفل السنة السابعة أو ميز قبل ذلك وعرف شماله من يمينه واستقل بشؤونه البسيطة أمر بالصلاة وبكل خير وصح منه الوضوء وملامسة القرآن واستحب لأبيه وكبير اخوانه الذهاب به الى المسجد ومحلات العبادة .

وليس عليك وقد استعد لدخول الكتاب أو المدرسة أن تلاحظيه هناك وتلقى عليه من الدروس ما يتناسب مع سنه وعقله وانما ذلك من

شأن الأستاذ الصالح والمربي الحكيم ولكن إذا رجع الى البيت تذاكرين له ما تعلم وتبالغين فى الثناء عليه بما حفظ وفهم وتشجعينه على المثابرة والاجتهاد وملازمة المدرسة والعناية بكتبه ودفاتره وأقلامه وعودينه النظافة بالسواك وتقليم أظفاره وصيانة أطرافه وثيابه من تلوثها بالحبر والتراب ، وإذا أحسن التصرف وأتقن العمل فاشكريه متفضلة عليه بالعطية السنية والجائزة المشجعة ولا تدفعى اليه من النقود ما تفسد به أخلاقه أو يستعين به على الشر وينهمك به فى اللعب والاشتغال عن واجباته . ولا ينبغى التضييق عليه بالاقتار فى النفقة ومنعه من الرياضة البدنية وتقضية أوقات الفراغ بما لا عيب فيه بين زملائه ومن فى طبقته .

ولا تهملي شأن البنت قبيل البلوغ وحين تحيض لأول مرة وهي أحوج اليك فى ذلك السن من الصبي الذى يعلمه أبوه ويعرف بطبيعة الحال كيف يقوم بشؤون نفسه . والبنت يمنعها الحياء من السؤال عن هذه الأشياء وما تفعله النساء مما لا يرشدها اليه إلا أمها الرحيمة أو المربية الكريمة .

وبالجملة فان أمر التربية عظيم جداً وقد كتب الناس فيه كثيراً ، وحاجتنا الى التطبيق على ما ذكر هي أعظم من حاجتنا الى ما سيذكر . وفى كلام الرسول ﷺ من العناية بالأطفال والانفاق عليهم وتقويم أخلاقهم الشيء الكثير . ولا أكون خاطئاً فى الاعتقاد الجازم بأن كل ما عرفه علماء النفس والأخلاقيون هو مستمد من شريعتنا الاسلامية ولله الحمد .

ومن الأحاديث فى التربية قوله ﷺ (أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه على فرسه فى سبيل الله ودينار ينفقه

على أصحابه فى سبيل الله) قال أبو قلابة من علماء التابعين بدأ رسول الله ﷺ فى هذا الحديث بالعيال وأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم الله أو ينفعهم الله به ويغنيهم . وقال ﷺ (ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ، زاد فى رواية ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته) وقال أيضاً (من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له ستراً من النار) ودخلت مسكينة على عائشة رضي الله عنها قالت فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت الى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فذكرت التي صنعت لرسول الله ﷺ فقال ان الله قد أوجب لها بهما الجنة وأعتقها بهما من النار . وأراد بشير بن عمرو الانصاري أن يخص بعض أولاده بعطية مالية دون اخوانه وأن يستشهد على ذلك رسول الله ﷺ فقال له أكل ولدك نحلتهم مثل هذا قال لا فقال لا تشهدني على جور اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم وقال أيضاً (انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم) وقال أيضاً (ألزموا أولادكم واحسنوا أدبهم) ورأى الأقرع بن حابس النبي ﷺ يقبل الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال رسول الله ﷺ (انه من لا يرحم لا يرحم) وكان يقول ﷺ (اني لأدخل فى الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز فى صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه عليه ببكائه) وكان يداعب طفلا من الانصار وله طائر صغير وكلما لقيه سأله عنه قائلا له ما فعل النغير يا أبا عمير ، وإذا مر بجماعة من الأطفال سلم عليهم واستقام يحدثهم ، وكان فى حجره عمر بن أبي سلمة

يربيه فرآه يوماً وهو يأكل ويده تطيش فى الصفحة فقال ياغلام قل بسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك . وغير هذا كثير .

ومن قصيدة طويلة لمعروف الرصافي فى التربية وإصلاح المربية نقتطف ما يأتي :

هي الأخلاق تنبت كالنبات ... إذا سقيت بماء المكرمات
تقوم إذا تعهدها المربي ... على ساق الفضيلة مثمرات
وتسمو للمكارم باتساق ... كما اتسقت أنابيب القناة
وتنعش من صميم المجد روحاً ... بأزهار لها متضوعات
ولم أر للخلائق من محل ... يهذبها كحضن الأمهات
فحضن الأم مدرسة تسامت ... بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسناً ... بأخلاق النساء الوالدات
وليس ربيب عالية المزايا ... كمثل ربيب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت فى جنان ... كمثل النبت ينبت فى الفلاة
فيا صدر الفتاة رحبت صدراً ... فأنت مقر أسنى العاطفات
نراك إذا ضممت الطفل لوحاً ... يفوق جميع ألواح الحياة
إذا استند الوليد عليك لاحت ... تصاوير الحنان مصورات
لأخلاق الصبي بك انعكاس ... كما انعكس الخيال على المراة
وما ضربات قلبك غير درس ... لتلقين الخصال الفاضلات
فأول درس تهذيب السجايا ... يكون عليك ياصدر الفتاة
فكيف نظن بالأبناء خيراً ... إذا نشأوا بحضن الجاهلات
وهل يرجى لأطفال كمال ... إذا ارتضعوا ثدي الناقصات
فما للأمهات جهلن حتى ... أتين بكل طياش الحصاة ..

حنون على الرضيع بغير علم   فضاع حنو تلك المرضعات
أأم المؤمنين اليك نشكو   مصيبتنا بجهل المؤمنات
فتلك مصيبة يا أم منها   (نكاد نغص بالماء الفرات)

والله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)

بر الوالدين

ليس لأحد فى هذه الدنيا من الفضل على أحد مثلما للوالد على الولد فهو المتسبب فى وجوده والصابر على تربيته والجد فى تحصيل حاجته . وقد يجهل الرجل ما كان يبذله الأبوان من مجهود كبير فى كفالته والقيام بشأنه ولكنه كثيراً ما يسمع الخطب والمواعظ وكثيراً ما يذكر بالواجب عليه لوالديه . أما انت يا سيدتي فتدركين من واجب البر والاحسان وتعرفين لأمك وأبيك من الحقوق ما يغنيك عن قراءة الكتب وسماع الموعظة لأنك مخلوق ضعيف ومجبولة على الرحمة والشفقة ولذلك فأنت التي تجيبين أباك إذا دعاك وتسارعين فى مرضاته وتجدين فى خدمته وطاعته وإذا دخل قمت اليه مرحبة وإذا خرج ودعتيه داعية له وإذا مرض وجد فيك من العطف عليه والبر به ما لا يجده فى ابنائه الذكور . وإذا مات فأنت التي تبكينه وبالخير تذكرينه وما من والد تحضره المنية إلا ولسان حاله ينشد قول أبي فراس الحمداني :

أبنيتي لا تجزعي   كل الانام الى ذهاب
نوحي علي بحسرة   من خلف سترك والحجاب

قولي اذا كلمتني فعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا س لم يمتع بالشباب

وأنت تفتخرين بوالدك حياً قوياً وتواسينه ضعيفاً وتطلبين من كل أحد مساعدته إذا بدا لك عجزه ورأيت عليه آثار الشيخوخة وتقولين كما قالت بنات شعيب لموسى عليهما السلام (لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير) . وبالحمل والولادة وما تحسين به من العطف على أولادك لا شك تعرفين لأمك مثل ذلك (والجنة تحت أقدام الأمهات) وتعلمين أنها لا تزال تشعر نحوك بمثل الشعور الذي عندك لأبنائك وبناتك وهي تنتظر منك مثل الذي تنتظرين منهم وكانت اعرابية ترقص ابنتها وتقول :

وما علي أن تكون جارية تغسل رأسي وتكون الفالية
وترفع الساقط من خماريه حتى إذا ما بلغت ثمانية
أزرتها بنقبة يمانية أنكحتها مروان أو معاوية
أصهار صدق ومهور غالية

ومنذ آلاف السنين وقبل أن يعرف التاريخ شرائع النبيين وواجبات المرسلين والأم محترمة مقدسة وكان لها فى العصور الماضية السيطرة والهيمنة على الأولاد بصورة أعظم مما لغيرها من الآباء وسائر الناس . وفى طبيعة الحيوانات كلها تشاهد عطف الأمهات ومتابعة الابناء لهن أما الآب فانه لا يعرف الرابطة بينه وبين أولاده إلا من طريق الدين أو العادة وقد يكون هو الوالد صدقاً أو مكذوباً عليه ولكن الصلة التي بين الأم وولدها قوية ومتينة وهو منسوب اليها فى جميع الشرائع والأوضاع والطبائع ولو نفته وتبرأت منه لم يكن بد من إلحاقه بها

وملازمته لها ملازمة الظل لصاحبه .

وصحيح انه يوجد فى مختلف الديانات والمتدينين البر بالامهات والحث عليه ولكن الاسلام فوق ذلك . وقد قال بعض الصحابة لرسول الله ﷺ (من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال ثم أبوك) وما أجل قول الله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير) . وعقوق الوالدين من كبائر الذنوب وموبقات الآثام ولا يدخل الجنة عاق والديه ولا مدمن الخمر ولا المنان . وكم جاء فى السنة المطهرة من الأمر بطاعة الوالدين وبرهما والتحذير من العقوق ومخالفة أمرهما ولكن ايراده وهو كثير ولا يخفى على أحد من المسلمين يعد تطويلا لا حاجة له وقد استوفيت منه ما ينبغى فى كتابي (اصلاح المجتمع) وانني لأربأ بك يا بنيتي عن عقوق امك والاساءة اليها وأن تتخذيها فى البيت كخادمة لك للكنس والغسيل وتربية الأبناء وما لا يليق بها وما لا تقدر عليه ، وحاشاك أن تتعبيها بتربيتك صغيرة ثم بخدمتك كبيرة ولا تنهريها ولا تقهريها ولا تعبسى بوجهك لها ولا تغلظى لها فى القول ولا تناديها كما تفعل الجاهلات (يا فلانة ، يا حجة ، ياعجوز) فانما هي أمك ولو كان لمخلوق أن يعبد مخلوقاً لكان عليك أن تعبديها لما لها من الفضل عليك وسوف يكون الجزاء من جنس العمل وستلقين من ابنائك فى الطاعة والمعصية مثل الذى يكون منك لأمك وأبيك . وفى الحديث الشريف (بروا آباءكم تبركم ابناؤكم) وفى الآخرة مغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

وليس لي ابنة أوجه هذا الخطاب اليها فأكون لبرها طالباً وفى نفعها طامعاً كلا ، ولكنك انت ابنتي فى أى بلاد كنت وفى أي زمان خلقت ولا اريد منك فى حق هذه الأبوة إلا الدعاء والترحم علي . (وإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) ويقول عيسى بن مريم عليه وعلى امه السلام (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا) وابشرى انك مع الوالدين داخلة فى قول صلحائهم (ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) ومع الأولاد من أهل قول الله جل ذكره (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين) .

الصلاة عماد الدين

كتب الله فى اليوم والليلة خمس صلوات مفروضة على كل مسلم ومسلمة فى أوقات معلومة من أقامهن وحافظ عليهن دخل الجنة ومن تركهن أو قصر فى القيام بهن دخل النار . وليس بين الكفر والايمان إلا ترك الصلاة وهي من الشرائع القديمة ولكل نبي وفى كل دين صلاة وهي فى الاسلام بالمنزلة الثانية بعد التوحيد أو كمنزلة الرأس من الجسد واجبة على كل مكلف رجلا كان أو امرأة حاضراً أو مسافراً صحيحاً أو مريضاً لا عذر لأحد فى تركها ما دام يعقل ولو ان يحرك بها جفنيه ويستحضرها بقلبه . وفى الحديث الشريف عن النبي ﷺ قال :

رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد) وقال (أمرت أن أقاتل النـاس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصـلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى) (وقال رجل يا رسول الله علمنى عملا إذا أنا عملته دخلت الجنة فقال لا تشرك بالله شيئاً وان عذبت وحرقت أطع والديك وان اخرجاك من مالك ومن كل شيء هو لك لا تترك الصلاة متعمداً فان من ترك الصلاة متعمداً فقـد برئت منه ذمة الله) . ولعظيم أمرها وكبير أجرها فرضها الله على محمد وامته بغير واسطة فى أشرف ليـلة وأطهر بقعة ليـلة المعراج والاسراء وفوق سبع سموات فى حضيرة القدس وقبـل ذلك كان المسلمون يتعبـدون بالصلاة فى أوقات مختلفة ويقومون من الليـل ما تيسر . (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) وكانت لهم صلوات قبل طلوع الشمس وقبل الغروب كما يقول تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا) . ويقول تعالى : (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) . وبعد أن فرض الله تبارك وتعالى الصلوات الخمس كان رسول الله ﷺ يؤديها جماعة بأصحـابه ويرغب فى القيام بها ويقول : (ما من مسلم يتطهر فيتم الطهـارة التي كتب الله عليه فيصلي هذه الصلوات الخمس إلا كانت كفارات لما بينها) ويحذر من تركها فيقول : (من ترك صلاة متعمداً أحبط الله عمـله وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع لله عز وجل توبة) . وربمـا ذكـر

الثواب العظيم للمصلين والعذاب الأليم للتاركين فى حديث واحد كقوله ﷺ (من حافظ عليهـا ـ يعنى الصلاة ـ كانت له نوراً وبرهـاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف) . واجمع المسلمون السابقون منهم واللاحقون على كفر من ترك الصلاة جحوداً وانه يقتل شر قتلة ثم لا يغسل ولا يكفن ولا يصلي عليه ولا يقبر في مقابر المسلمين ولا يرث من المسلمين ولا يرثون منه وليس من الله في شيء ولا يقبل الله منه صوماً ولا صدقة ولا صرفاً ولا عدلا ولا دين لمن لا صلاة له ولا حرمة ولا كرامـة له وسوف يقول وهو في زاوية من سقر مع أمثـاله المعترفين بقولهم : (لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنـا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين ، حتى أتانا اليقين ، فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وتاركها كسلا وتهاوناً مع الاعتقاد بوجوبها يستتاب فان تاب وإلا قتل حـداً وجرت عليه احكام المسلمين . وقال كثير من الصحابة والتابعين والفقهاء في الدين بكفر تارك الصلاة مطلقاً لا فرق بين جاحد ومتكاسل .

ولو تدبرت يا سيدتي كتاب الله عز وجل لوجدت فى معظم السور من أمر الصلاة شيئاً كثيراً ولعلمت يقيناً ان الخير كله فيها والشر كله لتاركها فهى صلة ما بين العبد وربه وبها يتقرب اليه وفيها يخاطبه المرة بعد المرة إياك نعبد وإياك نستعين .

وقد قصر اليوم كثير من أدعياء الاسلام فى إقامة الصلاة وتساهلوا بها وتغافلوا عنهـا (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) وفيهم يقول الله سبحانه وتعالى (فخلف

من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) فلا تكوني بارك الله فيك من أولئك الذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وإذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . واعلمي أنها لا تسقط عنك فى حال من الأحوال إلا زمن الحيض والنفاس وإذا مضى من الوقت ما يسع الصلاة وحاضت المرأة قبل أداء تلك الفريضة وجب عليها قضاؤها وكذلك لو طهرت وقد بقي من الوقت ما يسع بعض الصلاة فانها تقضيها وتقضي التي قبلها إذا انقطع الدم آخر العصر أو العشاء وتأخيرها عن الوقت لغير عذر يعد عند الله من أعظم الكبائر ولا عذر فى ذلك إلا النوم والنسيان فاذا ذكرت صلاتك أو استيقظت من نومك فاستغفري الله ثم قومي الى عبادة من يقول (فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) وليس من النسيان تقضية الوقت فى غير طائل وأحاديث النساء التي يتشاغلن بها عن الواجبات وحين تزور إحداهن صواحبها فيقعدن معها حتى تفوت الصلاة فى قيل وقال وقلت أنا وقال أبو العيال . والنوم لا يكون عذراً فى ترك الصلاة إلا إذا كان غير متعمد ولم تتخذيه عادة كاللواتي لا يفارقن الفراش ولا يقمن من مضاجعهن إلا بعد طلوع الشمس وارتفاع النهار وأولئك هن المفرطات فى كل واجب والكمالات عن كل خير . وحيث كان لا بد من معرفة الصلاة ومطابقتها لمراد الله فأنا سأذكر لك ذلك وأعلمك كيف تصلين وأنت من العاملين بقول الله عز وجل (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين)

كيفية الصلاة

علمت مما تقدم فى الطهارة الحسية كيف تستعدين للصلاة فاذا دخل الوقت وتطهرت من كل حدث وخبث ولبست ثيابك النظيفة الضافية فأما تخرجين الى المسجد وتصلين من النفل ما كتب لك وكما يفعل الامام فى الصلاة المفروضة تفعلين وأما تقفين على مكان طاهر فى البيت بعيد عن الضوضاء وما يشغلك عن الحضور والخشوع فى الصلاة وليس للانسان من صلاته إلا ما عقل منها فتستقبلين القبلة وتصلين ركعتين سنة الوضوء وقبل الظهر تصلين اثنتين أو أربع وهي سنته القبلية وان شئت سلمت من كل ركعتين أو تجمعين الأربع كلها بتشهد واحد والسلام بعده ثم تقيمين الصلاة هكذا الله أكبر الله أكبر اشهد ان لا إله إلا الله اشهد أن محمداً رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، وتنوين في قلبك صلاة فرض الظهر ثم تقولين الله أكبر وهذه تكبيرة الاحرام وبعدها تقولين وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين . وهذا دعاء الاستفتاح ثم تقولين أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وتقرئين سورة الفاتحة وبعدها ما تيسر من القرآن ثم تركعين وتضمين بعضك الى بعض ولا ترفعى رأسك الى السماء ولا تنحدري كثيراً وضعى يديك على ركبتيك وقولي سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاث مرات وان شئت

زدت الى احدى عشر ثم ترفعين منتصبة قائلة سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعده ثم تسجدين مكبرة مقدمة للركبتين ثم اليدين ثم الجبهة والأنف ثم تلصقين بالأرض أطراف القدمين وتقولين سبحان ربي الأعلى وبحمده ثلاث مرات وإن شئت زدت والسجود من أفضل الأوقات لاستجابة الدعاء فاطلبي من الله ما تريدين وأعرضي عليه حاجتك لنفسك ولأهلك دنيوية أو أخروية ثم تجلسين مكبرة وتفترشين رجلك اليسرى واليمنى منصوبة وتقولين ربي اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني وعافني واعف عني وتسجدين مرة ثانية مثل الأولى وهذه ركعة تامة والأخرى مثلها ثم تقعدين للتشهد الأول وهو هكذا التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل على محمد وتقومين إلى الركعة الثالثة مكبرة ولا تقرئي بعد الفاتحة شيئاً آخر . ولكن تركعين وتمضين في بقية الصلاة كالركعتين الأوليين فاذا تمت الاربع جلست مرة ثانية للتشهد الأخير وهو مثل الأول إلا أنها تستحب الصلاة الابراهيمية والدعاء بعدها اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما اسررت وما أعلنت وما اسرفت وما أنت اعلم به مني انك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير ، اللهم اني أعوذ بك من فتنة المحيا والممات واعوذ بك من فتنة القبر وفتنة المسيح

الدجال وأعوذ بك من عذاب النار ثم تسلمين الى جهة اليمين وصدرك مستقبل القبلة وتقولين السلام عليكم ورحمة الله ثم الى جهة اليسار كذلك . والعصر والعشاء مثل ذلك والمغرب ثلاث ركعات كذلك والصبح ركعتين فقط . وبعد السلام تقولين اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتقرئين آية الكرسي ثم تسبحين الله وتحمدينه وتكبرينه ثلاثاً وثلاثين وتمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وبعد الصبح والمغرب تقولين اللهم أجرني من النار سبع مرات والأذكار غير هذا كثيرة جداً وأنت تأتين بما تيسر وتصلين بعد الظهر ركعتين أو أربع وهي سنته البعدية وامرها مثل القبلية وتستحب أربع ركعات نافلة قبل العصر ويحرم النفل بعد صلاة العصر والصبح وترفعين الصوت قليلا في القراءة فى الصبح وفي الركعتين الأوليين من المغرب والعشاء وتصلين بعد المغرب ركعتين وقبل العشاء وبعده ركعتين ركعتين ثم الوتر ثلاث ركعات تسلمين من ثنتين وتأتين بركعة ثالثة غير متصلة بشيء قبلها ولا بعدها والقنوت الذي يكون في الاعتدال من الركعة الأخيرة ألفاظه هكذا اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت ولك الحمد على ما قضيت استغفرك وأتوب اليك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . هذه كيفية الصلاة وما عليك إلا فهم هذا والعمل به والقبول بعد ذلك على الله وسأكون لك شاكراً حين تدعين لي بعد كل صلاة وأجر الجميع على الله (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة

إلا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) .

النافلة والتطوع

يقول الله تعالى فى الحديث القدسي (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتي أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التى يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه) والصلاة خير موضوع أكثر منها العبد أو أقل وهي مطلوبة فى كل وقت بالليل والنهار إلا بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر الى غروبها وعند الاستواء حتى تزول .

وقد عرفت الفريضة ورواتبها وكيف تصلين وهنا أعلمك ما تتقربين به الى ربك فى اليوم والليلة من الأعمال التي تثابين على فعلها ولا تعاقبين على تركها : فحين تستيقظين من النوم تمسحين وجهك بيديك وتذكرين الله قائلة (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور . اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نموت وبك نحيا واليك النشور) ثم تذهبين الى محل الطهارة وتسبغين الوضوء أو الغسل إن كانت له حاجة ثم تصلين ما كتب لك من النفل قبل طلوع الفجر وإذا دخل الوقت فلا صلاة إلا الفريضة وركعتين قبلها تقرئين فيهما الفاتحة وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد . ومن الأذكار المستحبة المطلوبة فى الصباح (اللهم اني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك

وملائكتك وجميع خلقك إنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وان سيدنا محمداً عبدك ورسولك) أربع مرات ، ومن قالها حين يصبح وحين يمسي أعتقه الله من النار .

وإذا طلعت الشمس وارتفع النهار وبدا لك أن تصلي الضحى فهى ثمان ركعات تسلمين من كل ركعتين وتقرئين فيها الفاتحة وما تيسر من القرآن وإذا تناولت طعام الفطور فتقولين بسم الله الرحمن الرحيم اللهم بارك لنـا فيما حصل وارزقنا عليه العافية واجعله عونـاً لنا على طاعتك ورضاك وبعد الفراغ تقولين : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ولا تقصري فى استعمال السواك وتنظيف الأسنان وغسل اليدين قبل الأكل وبعده وهكذا تفعلين وتقولين مع الغداء والعشاء وكلما أكلت شيئـاً ، ومع الشرب تقولين بسم الله فى أوله والحمد لله فى آخره ولا تظلي على السجادة ولا تشغلك العبادة عن الأمور المطلوبة منك لدنياك فى نفسك وأبنائك وزوجك والمنزل المبارك ولكن تقولين (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) . وإذا أقبل الليل وغربت الشمس وسمعت أصوات المؤذنين فقولي كما علـم النبي ﷺ زوجته أم سلمة أن تقول (اللهم ان هذا إقبـال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لي) وعند كل أذان تسمعينه تقولين مثلما يقول فقد روي عن النبي ﷺ أنه قام بين صفي الرجال والنساء فقال : (يا معشر النساء إذا سمعتم أذان هذا الحبشي وإقامته يعني بلال بن أبي رباح فقلن كما يقول فان لـكن بكل حرف ألف الف درجة) وللمساء أذكار وأوراد كثيرة ، والمهم أن يكون الله دائمـاً على قلبك ولسانك رطب من ذكر الله . وحسن جداً صلاة الأوابين بين العشاءين وقراءة

شيء من القرآن . ويكره النوم قبل صلاة العشاء والحديث بعدها إلا فى خير .

وتجنبي البدعة ولا تغرنك بهرجتها ولا تفعلي شيئاً فى المأثور من العبادة إلا ما يطابق التشريع وكفى برسول الله أسوة (ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) . ومن الأوراد المبتدعة فى القول والعمل ما لا يحبه الله فاتبعى ولا تبتدعي .

وإذا أخذت مضجعك فبعد أن تغلقي الأبواب وتطفئي المصابيح وتغطى الآنية وترقدي الصبية وتستعدي بما لا بد منه لمقابلة زوجك وأنت بذلك أعرف وتقولين باسمك اللهم ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين . ومن نام متطهراً كان فى حرز من الشيطان حتى يستيقظ ، وغالباً ما تكون رؤياه صالحة صادقة .

وبعض المأكولات الثقيلة والمنبهات الحادة تسبب فساداً فى المعدة وسوء الهضم والأحلام المزعجة المخيفة . وإذا رأيت ما تكرهين فانتصبي جالسة وتعوذي من الشيطان وانفثي الى جهة اليسار ثلاث مرات بغير ضوضاء ولا كلام كثير ثم تحولي الى الشق الآخر ولا تقصي رؤياك على أحد فانه لن يصيبك شرها إن شاء الله . وبهذه الأعمال والأذكار تدخلين فى قول الله عز وجل (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) .

الصوم وأحكامه

شرع الله للامم السابقة الصوم وأمرهم به وجعله كفارة للذنوب ومطهراً للقلوب ومهذباً للنفوس ورياضة مفيدة للاجسام والارواح ومذكراً للغني بحال الفقير .. وأوقاته مختلفة عند أهل الأديان باختلاف المناسبات التي يتعبدون فيها بالصوم ، وتقل أيامه عند البعض وتكثر عند الآخر ومنهم الممسك عن كل شيء والمتشدد فى كل شيء ، ومنهم المتساهل بفريضة الصوم والمتهاون بأحكامه المشروعة فى دينه . وحين جاء محمد ﷺ بشريعة الاسلام كان الصوم من العبادات الاختيارية حتى نزل قول الله تعالى : (يا أيها الذين كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) . وفرض على الناس صيام رمضان الشهر التاسع من السنة القمرية وجعله من قواعد الاسلام وأركانه التي لا يتحقق ولا يتم إلا بها . والحكمة فى تعيين هذا الشهر ان الله قد بعث فيه محمداً ﷺ وأنزل فيه القرآن ونصر المسلمين على المشركين يوم بدر وفتح لهم مكة فى رمضان ومن صامه إيماناً واحتساباً دخل الجنة وغفر الله له ذنبه وجعله كفارة لسيئاته حتى يأتي رمضان الآخر . وثبت ان الله يعتق فى كل ليلة منه مائة ألف عتيق من النار ، وفى الليلة الأخيرة يعتق الله مثلما أعتق فى الشهر كله . وفيه تسلسل الشياطين وتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار ويتجلى الله لعباده بالمغفرة والرحمة واستجابة الدعوات (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى

والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) .

والصوم واجب على كل بالغ عاقل صحيح مقيم طاهر عن الحيض والنفاس . وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ويلزم فيه ترك الأكل والشرب والنكاح ، ومن فعل شيئاً ناسياً فصومه صحيح ولا شيء عليه . والتقبيل والمباشرة بشهوة إذا وقع به الانزال يفطر الصائم وإلا فهو حرام وفاعله آثم فقط ، والكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور تحبط عمله ولا جزاء له إلا الجوع والعطش . وفى الحديث الشريف (الصوم جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق وان امرؤ سابه أو شاتمه فليقل اني صائم اني صائم) ومن تعمد القيء وبالغ فى المضمضة والاستنشاق ودخل الماء إلى جوفه بطل صومه وعليه القضاء والامساك ، وكذلك من تسحر ظاناً بقاء الليل أو أفطر ظاناً غروب الشمس وبان له خلاف ذلك . ويستحب تعجيل الفطور وتأخير السحور بحيث لا يقع معه الشك . وتفطر المرأة بالحيض ولو جاءها قبل غروب الشمس بلحظة واحدة ، ويحرم عليها الامساك لأنه عبادة فاسدة ويجب القضاء كما تقدم . وكثير من النساء من لا تبالى بقضاء الصوم وخصوصاً الفائت منه أيام النفاس ، وإذا أدركتها المنية وهي لم تقض ولم تكن عازمة على القضاء كان الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله والشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى برؤه إذا بلغ بهم الحال من الضعف إلى حد لا يستطاع معه الصوم جاز لهم الفطر وعليهم لكل يوم إطعام مسكين .

وقد عرفت حكم الحامل والمرضع ومتى يجوز لهما الفطر وأي شيء

يجب عليهما القضاء وحده إذا خافتا على نفسيهما ومع الكفارة إذا خافتا على الجنين والولد . ومن مات وعليه صوم صام عنه وليه أو كفر عنه أهله باطعام مسكين عن كل يوم .

والجماع فى نهار رمضان من أكبر الكبائر ولا يجوز للمرأة أن تمكن منه زوجها بل تفر منه وتعصيه ولا ترضى عليه بالسقوط فى النار ، ومن فعله عامداً عالماً مختاراً وجب عليه القضاء والامساك ويعزر فى الدنيا ويعاقبه الله يوم القيامة وعليه كفارة عظمى عتق رقبة مؤمنة وان لم يجد فصيام شهرين متتابعين وان لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً ، والرجل والمرأة فى ذلك على السواء إلا الكفارة فيختلف العلماء فى وجوبها ومنهم من يقول هي واجبة على الزوجين ومنهم من يقول بها على الزوج فقط . وغربلة الدقيق وغبار الطريق والذباب ونحوه إذا دخل الجوف لا يفطر وكذلك الحجامة ولا بأس بالدهن والطيب والاكتحال إلا انه مكروه أو خلاف الاولى . والغسل مباح للصائم وان أصبح جنباً وان كانت البلاد حارة وان كان فى أول النهار أو فى آخره ، ومثله السواك لكل وضوء ولكل صلاة وسيأتيك ما يتعلق بالمسافر والمريض من الأحكام .

وإذا تنفلت بالصوم فأفضله ست شوال ويوم عرفة وتاسوعاء وعاشوراء وفى شعبان والمحرم وثلاثة أيام من كل شهر وهي البيض الثالث والرابع والخامس عشر ، ومن الأسبوع الاثنين والخميس ، والشتاء ربيع المؤمن فنهاره قصير للصيام وليله طويل للقيام ، فان أحببت أكثر مما ذكرناه وقد انقطعت عن الدنيا وليست إليك حاجة ولا عليك مسئولية فمثل صيام مريم بنت عمران يا سيدتي وكانت تصوم يوماً وتفطر يومين وأحب الأعمال إلى الله أدومها وان قل ولا يمل الله حتى تملوا (يريد الله

بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هدا كم ولعلكم تشكرون) .

لماذا نصلى ونصوم ؟

ليس لله حاجة إلى خلقه ولا تزيد فى ملكه عبادة المتعبدين ، ولا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ، وكل شيء إليه محتاج وهو القائم بنفسه الغني عما سواه (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد . ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وما أوجب جل وعلا الطاعة على خلقه إلا ليثيبهم بفضله ، ولا حرم المعصية إلا ليعاقب عليها بعدله ، وبذلك يعرفون قوله تعالى (نبئ عبادي اني أنا الغفور الرحيم ، وان عذابي هو العذاب الأليم) وفى الحديث القدسي (يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكي شيئا ، يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد ذلك فلا يلومن إلا نفسه) .

والعبادات كثيرة وأنواع القرب لا تحصى ولكن أعظمها أجراً وأرفعها قدراً الصلاة التي يقف العبد فيها بين يدي ربه وقد انقطع عن الأغيار وطهر قلبه عن الأكدار وعظم الله بالتكبير وأثنى عليه ومجده

وخاطبه بلا واسطة وطلب منه الهداية إلى الحق وأن يجنبه الضلال وأعمال المغضوب عليهم الذين جهلوا الحق والذين أنكروه بعد معرفته . وفى الركوع والسجود يعظم الرب عبده وأمته ويسألون منه حاجاتهم الدينية والدنيوية . وما أجل موقفك يا سيدتي أمام الله وأنت خاشعة عاملة بمثل قوله تعالى لسيدة نساء العالمين (يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) وأنت في دعائك تمثلين آسية امرأة فرعون وهي تدعو وتتضرع (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) وبالصلاة تذكرين ما لله عليك فتؤدينه تماماً ، وكلما تلوث الانسان بالذنب تاب وأناب وقام إلى الصلاة فطهر نفسه من الأدناس والصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ولا يتكيف معنى هذه العبادة ويحس بلذتها إلا من انتهى منها وشعر براحة ضميره وبراءة ذمته واتصف بصفات (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) .

والصوم مثل الصلاة فريضة الله على الغني والفقير وهو أحد أركان الاسلام الخمسة يخفف من الانسان شهواته الحيوانية ويذكره بما أعده الله لأهل قوله تعالى (في جنة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) والحسنة بعشرة أمثالها إلا الصوم فجزاؤه عند الله لا يعلمه غيره ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه . وقد ذكر العلماء للصوم فوائد جمة وبينوا الحكمة التي شرع

لأجلها ومن ذلك ما ذكروه فى تفسير هــذه الآية (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيــام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) فهو يعود الانسان رجلا كان أو إمرأة الخشية من ربه في السر والعلن ، والصائم لا رقيب عليــه إلا الله ، وحينما يترك طعامه اللذيذ وشرابــه الطيب والمعاشرة الزوجية شهراً كاملا امتثالا لأمر ربه وخضوعاً لارشادات نبيه يتعود الحياء ومراقبــة الله في أمره ونهيه ومن كان فيه ذلك فهو لا يقدم على غش الناس ومخادعتهم وأكل أموالهم بالبــاطل ولا يجرأ على اقتراف المنكرات واجتراح السيئات . وإذ ألم بشيء منها تذكر مسرعاً التوبة والرجوع إلى الله . ومن فوائد الصوم انه يكسر حدة الشهوة ويجعل النفس مصرفة لشهواتها على حسب الشرع كما جاء في الحديث الشريف (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) والوجاء ما تخف به الشهوة وتضعف ، والصوم يعود الشفقة والرحمــة الداعيتين إلى البــذل والصدقة ، فالصائم عندما يجوع يتذكر من لا يجد قوتاً من أولئك البائسين يرق قلبه لهم ويشفق عليهم وفي ذلك تكافل للامة وشعور بالأخوة الدينية . وأنت أيتها الصائمة المتصدقة أكثر رحمة بالفقراء وعطفاً عليهم واحساناً إليهم من الرجــل الذي قد يؤدي الفريضة وهو لا يدرك سرها ويمر به المسكين الجائع فلا يرق له ولا يلتفت إليه .

وللصوم فائدة طبية محسوسة فانه يفني المواد الراسبة في البدن ولا سيما في أجسام المترفين والنهمين في الطعام والشراب ويجفف الرطوبات الضارة ويطهر الامعاء من السموم التي تحدثها البطنة ويذيب الشحم الذي

هو شديد الخطر على القلب ، وقد أثر عنه ﷺ انه قال (صوموا تصحوا) وقال بعض الافرنج (ان صيام شهر واحد في السنة يذهب الفضلات الميتة في البدن مدة سنة ، ومن يصم على هذا الوجه يكن راضياً مرضياً مطمئناً لا يجد في نفسه اضطراباً ولا قلقاً من مزعجات الحوادث ولا عظيم المصائب والكوارث ، نعم ان وجد شيء من هذا كان جثمانياً لا روحانيا) وهذا هو الصوم الصحيح الذي تظهر فائدته ويرتفع به الصائم إلى مقام الروحانيين يتقوى به على محاربة الشيطان ويتصبر به على المكاره ويصون به قلبه وسائر أعضائه عن التفكير في المعصية والاسترسال فيها ولو لا انه عظيم والجزاء عليه يكون عاجلا وآجلا لما تحمل الناس مشقته وتعبد به اليهودي والنصراني والوثني وأهل كل ملة ونحلة . وفي التوراة مدح الصوم والصائمين ، وثبت ان موسى عليه السلام صام أربعين يوماً والانجيل يعد الصوم من أفضل العبادات ، ومنه عند النصارى ما يسمونه بالصوم الكبير قبل عيد الفصح ، وقد صامه المسيح والحواريون كما صامه موسى من قبل ، وكان متعبداً به عند قدماء المصريين ، ومنهم انتقل إلى الرومان واليونان ولا يزال الهنود الوثنيون يصومون إلى الآن .

واذا عرفت المراد من الصوم وانه ليس مجرد الامساك عن المفطرات طيلة النهار فلا بد أن تبتغي به وجه الله أولا ، ولا تفعل معه شيئاً يذهب الأجر ويكسب الوزر (ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) وعندنا من اذا دخل شهر الصوم استعدت له بكل ما في وسعها من وسائل الترف ومختلف أنواع الطعام ، ولا تظل إلا تطبخ وتنفخ ولا تبات إلا تقرب هذا وترفع هذا

من الطعام والأدام والفاكهة وكأنها موكلة ببطون أسرتها لا تترك فيها فراغاً ولا تدع الفرصة بين الفطور والسحور لهضم الأكل وتصريف منافعه إلى الأجسام ، والذي لا يجوع قليلاً إلا ليشبع كثيراً لا يفيده الصوم حساً ولا معنى .

وما كتبت لك هذا لتقرئيه فحسب ولكن لتعملي به ونفسك مطمئنة راضية مرضية ، ولا أشك في إيمانك فأزين لك العبادة بذكر بعض فوائدها العاجلة الحسية كلا والله ولكن على حد قول الله تعالى لابراهيم عليه السلام (قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون)

وبفضل الصلاة والصوم تكونين ان شاء الله من اللواتي يصح فيهن قول الشاعر :

عرفت من النساء نساء قوم ... إذا جن الظلام يصرن حورا
وهن مع الرجال بنات حواء ... وجوف الليل تحسبهن نورا
كواعب ناهدات فى حلي ... وفي حلل بهيات حريرا
وهن المائسات يفحن طيبا ... منازلهن قد ملئت عبيرا
ولو لا انهن مخدرات ... لأخجلن الكواكب والبدورا
إذا ما قمن قمن إلى صلاة ... من التنزيل يقرأن الزبورا
فهن القانتات قنوت صدق ... ولا يعرفن بهتاناً وزورا
وهن الصائمات صيام حق ... وللايثار يتركن السحورا
وهن الآتيات بكل خير ... فيطعمن الفقيرة والفقيرا
نساء فى القصور مملكات ... وبالرحمات يدخلن القبورا

الحج وأحكامه

شرع الله للناس حج بيته الحرام على لسان ابراهيم عليه السلام وأمره بتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وقال له بعد ذلك (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وكان العرب يعظمون الكعبة ويزورونها للحج والعمرة وفى أعمالهم من الشرك بالله وعبادة الأصنام التي زين لهم الشيطان أن يضعوها حول الكعبة ما يستحقون عليه مقت الله وغضبه حتى جاء الاسلام بالتوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له فأزال معالم الشرك وفرض الحج فى السنة الخامسة من الهجرة (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) وقال النبي ﷺ بعد ذلك (بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان) ورغب فيه وحث عليه وقال (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، قيل وما بره ؟ قال اطعام الطعام وطيب الكلام) وقال تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة) وحذر من تركه والتساهل فى أمره بقوله ﷺ (من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً) ولهذا الحديث شاهد من كتاب الله تعالى ومن الأحاديث الكثيرة فى الترغيب والترهيب ، وبالجملة فانه (من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

وللحج أعمال كثيرة وأحكام مفصلة فى كتب الفقه وكلها مأخوذة من قوله ﷺ (خذوا عني مناسككم) وقد عرف الصحابة كيف عمل ﷺ فى حجة الوداع وكان معه نساؤه رضي الله عنهن فتعلمن منه كيفية الحج والعمرة وروي ذلك عنهن من حين خرجوا من المدينة الى حين عادوا اليها . فاذا يسر الله لك الخير وقدر لك الحج وأعطاك من فضله الرزق الحلال الطيب فعليك بالمبادرة باداء هذه الفريضة ولا تجب عليك إلا مع القدرة والاستطاعة التامة ولا بد أن يكون معك فى السفر الزوج أو أحد المحارم من الرجال أو جماعة النساء لا يخاف عليك من الفتنة معهن وتقصدين وجه الله وحسن الجزاء منه تعالى لا الترويح عن النفس وتغيير الهواء ومشاهدة المناظر الجميلة ولا ليقام لك المهرجان إذا رجعت ولا ليقال لك المتصدقة الصالحة ويلقبوك الحاجة ولكن للمشاركة فى قوله تعالى : (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح فى مكان سحيق ، ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) .

فاذا بلغت الميقات وهو المكان الذي يحرمون فيه بالنسك فأما أن تحرمي بحج وهو الافراد أو بعمرة وهو التمتع أو بهما جميعاً وهو القران ويستحب الغسل إذا تيسر وأن تخضبي يديك ورجليك بشيء من الحناء

أو غيره من الألوان التي يستعملها النساء فى مختلف الأزمان . وتلبسى ثيابك النظيفة البيضاء ، وتصلي ركعتين وهما سنة الاحرام وبعد الفراغ منهما تنوين الدخول فى هذه العبادة وتقولين لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وتكثرين من التلبية والأدعية مع خفض الصوت وتمضين فى شأنك وعليك من الجلال والوقار ما تدركين به سر هذه العبادة . ويحرم عليك تغطية الوجه والكفين وازالة الشعر والأظفار وكذلك التطيب والادهان والمباشرة بشهوة واذا وقع شيء مما ذكرناه وجبت عليك الفدية وهي شاه يجزي فى الأضحية أو اطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من قوت أهل مكة أو صيام ثلاثة أيام إلا الجماع فانه يفسد الحج ويوجب اتمامه وقضاؤه مع الكفارة وهي بدنة من الأبل فان لم تكن فبقرة فان لم تكن فسبع شياة والكل مما يجزي فى الاضحية ،.واذا لم توجد الغنم فالفدية هي الصدقة بقيمة البدنة ، أما الشعرة الواحدة والظفر الواحد فليس فيه إلا اطعام مسكين واحد . ولا بأس بقتل الحشرات والهوام المؤذية مثل البق والقمل ولا يضر خروج الدم من أي مكان فى البدن . وإذا دخلت مكة فكما يعمل الناس تعملين ، وليكن الطواف والسعى منك فى الاوقات المناسبة وحين يخف الازدحام ولا ترملي ولا تهرولي ولا تستلمى الحجر إلا إذا أمكن ولا مشقة وافضل الاذكار والأدعية المأثور منها تقرئينه من الكتاب أو تسمعينه من المطوف .

وأيام الحيض لا تدخلي المسجد ولا تعملي شيئاً مما يحرم على الحائض من الصلاة والطواف وغيرهما ولا يجب طواف الوداع على الحائض

ولها الاتيان بجميع مناسك الحج من الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ومنى ورمي الجمار والسعى بين الصفاء والمروة وعنـد التحلل لا بد من أخذ شيء من شعر الرأس ولو قليلا ويكره الحلق للنساء . وإذا ازدحم الناس حول الجمرات فلا بأس أن ينوب عنك أحد فى الرمي بعد أن يرمي عن نفسه . والذبح كله فى منى .والعمرة مثـل الحج إلا انه لا يجب لها الوقوف بعرفة . وإذا قدمت العمرة على الحج أو كنت محرمة بهما فعليك الهدي شاة واحدة وإن لم تجـدي فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعت الى بلدك وتلك عشرة أيام كاملة . واهل الحرم وجيرانه لا تلزمهم الفـدية للتمتع ولا للقران ولا تحرم التجارة فى الحج ولا اختـلاط النساء بالرجال والله لا تخفى عليه خافية . وهـذه الأيام والأمن سائد فى الحجاز وحدود الله تقام على المعتدي ولا يستطيع فاجر أن يحدث نفسه بانتهاك الحرم أو الفساد فى الأرض لما يعرف من تشدد الحكومة السعودية فى معاقبة الباغي والجاني أياً كان ولا يذهب الى تلك البقاع المطهرة ولا يدخل بيت الله غالباً إلا مؤمن بقوله تعالى : (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) .

وللحج آداب ومستحبات كثيرة كموالاة التلبية والجمع بين الليـل والنهار بعرفة والتكـبير عند رمي الجمـار والصلوات الخمس فى مسجد الخيف قبل الوقوف وتقـديم العصر مع الظهر فى مسجد نمرة وتـأخير المغرب الى العشاء عنـد النفر من عرفة والتضلع من ماء زمزم وأن تكثري من الدعاء لنفسك ولأهلك ولمن أوصاك بذلك ولا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله . وسواء كان هذا الحج عن نفسك أو عن غيرك إلا إنك تقولين عند الأحرام نويت

الحج عن فرض فلان أو فلانة وأحرمت به لله تعالى . وقالت إمرأة خثعمية (يا رسول الله ان أبي أدركته فريضة الله فى الحج شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره قال فحجى عنه) .

ومن مات وعليه فريضة الحج أخرج من رأس ماله قبل مؤن التجهيز وقضاء الديون وتنفيذ الوصايا ما يحج به عنه والقريب أولى من غيره بالحج عن وليه أجيراً أو متطوعاً . وإذا تشرفت بدخول المدينة المنورة والصلاة فى الحرم النبوي الشريف ثم بزيارة سيد الأولين والآخرين ﷺ فالتزمي الآداب واستحضري عظمة الاسلام وانه كان ثمة ينزل القرآن ويتردد جبريل بين السماء والأرض على محمد بن عبدالله بشريعته الحنيفية السمحة وحين تقفين أمام قبره المعظم تسلمين عليه وتذكرينه بما يستحق من المدح والثناء عليه غير مطرية ولا مؤذية له بما لا يحل من القول وبدعة التقبيل والتمسح بالجدران والسجود على الاعتاب واسألي من الله أن يشفع فيك نبيه يوم القيامة وأن يحفظ عليك دينه والعمل بسنته حتى تلقيه وهو عنك راض . ثم تزورين صاحبيه وأقرب الناس اليه حياً وميتاً الشيخين أبابكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما . ولا تستغيثى ولا نتوسلي ولا تدعي مع الله أحدا .

وزيارة أهل البقيع مستحبة وكذلك الصلاة فى المواضع التي كان يزورها ويصلي فيها النبي ﷺ كمسجد قباء ومسجد الغمامة وهو مصلى العيد وحين تزورين شهداء أحد وترين البقاع المقدسة فى الحرمين الشريفين تتذكرين ما كان هناك من العظمة والهيبة وكثرة الواقفين فيها والمارين بها منذ أول الاسلام الى اليوم وتحمدين الله الذي قدر

لك الوصول اليها وما يصل اليهـا إلا سعيد . وأى مكان فى الأرض هو أشرف من مكة المكرمة والمدينـة المنورة فالصلاة فى الحرم المكي بمئة الف صلاة فى غيره والصلاة فى الحرم المـدني بالف صلاة فى غيره . ومن حضر فيه أربعين صلاة مكتوبة كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار .

وحين تعودين فى سلامة الله إلى أهلك و بلادك تكونين على حالة أحسن من التي كنت عليها قبل الحج ولا تفاخري بعملك ولا تمني به على الله ولا تكلفى نفسك من النفقات والهدايا ما لا قـدرة لك عليه كما تفعل المرأة المسرفة التى تود لو تأخذ معها كل شيء فى الحجاز من الطيب الجميل الخفيف منـه والثقيل ولا أظنها تسلم من الرياء تلك الحاجة التى لا تضع المسبحة من يدها ولا تسير حافية ولا تلبس بعد الحج إلا الأبيض ولا تتحدث إلا عن سفرها وما ذا فعلت وما ذا تركت وكيف كانت تنفق وتتصدق (ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فالهكم إله واحد فـله اسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) .

المشقة تجلب التيسير

جميع التكاليف الشرعية الواجب والمندوب منها وكذلك الحرام والمكروه لا تخلو من الاتعاب والمشقة التي بها يعرف الطائع من العاصي ويميز الله بها الخبيث من الطيب وترضى بها النفوس الكريمـة المطمئنة

ويقول المؤمنون عندها (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) . وتضيق بها ذرعاً النفوس الشريرة وتعجز عن تحملها وتقول كما قال أصحاب موسى : (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئس ما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين) . وشريعتنا المحمدية بحمد الله خفيفة التكاليف لا تأمر إلا بما تيسر ولا تمنع إلا من الضار بالانسان في دينه أو بدنه أو عقله أو ماله . وفي الحديث الشريف : (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم) . الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع في الحرام .

والانسان في هذه الحياة عرضة للحوادث وتقلبات الاحوال فطورا صغير وطوراً كبير ، ويوماً غني ويوماً فقير ، وحينا صحيح وحينا مريض ، وتارة مسافر وتارة مقيم ، وقدرته على التكاليف وعجزه عنها يختلفان باختلاف حاله ، فالصغير لا يجب عليه شيء حتى يدرك وتكون له قوة على الفعل والترك رجلا كان او امرأة ولا تلقى عليه مسئولية العمل والاكتساب ولا يكتب عليه ذنب ولا يؤاخذ بالاساءة الا المتلفات فهي مضمونة عليه لقوة ذمته وضعف جسمه ، والمجنون مثله لضعف عقله والقلم مرفوع عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق ، ولا يجب عليه قضاء ما فاته فى الجنون والصغر تخفيفا عليه من الله ونظرا لعجزه عن الأداء والتحمل ، ويمرن الصغير على الخير قدر المستطاع وفى محاربة البغاة والكفار لا يقتل ، والفقير لا

زكاة ولا حج عليه واذا لزمته كفارة او فدية ولا مال له عمد الى الصوم كما تقدم ، والمديون المعسر يجب انظاره ، وللفقير فى نفقات اهله وزوجته وعلف دابته وتدبير عبيده وتجهيز ميته وبر والديه وتربية اولاده حالة غير حالة الغني فى جميع ذلك ، وقد فرض الله له فى مال الغني مايكفيه ، وشرع الزكاة والفدية والنذر والكفارة وصدقة التطوع والضحية والعقيقة والوقف والهبة والوصية والعارية وحسن الجوار والضيافة وكل ذلك للفقير وفى مصلحة الفقير . والمريض إذا عجز عن الوضوء والغسل تيمم بالتراب. ولا جمعة ولا جماعة ولا جهاد عليه وله أن يصلي الفرض قاعداً فان عجز فمضطجعاً على جنبه وان عجز فمستلقياً على ظهره ويباح له الفطر فى رمضان ولا شيء عليه إلا القضاء ويجوز له الخروج من المسجد فى الاعتكاف المنذور . وفي الحج لا بد له من مساعد وإذا ضعف عن المشي والركوب جاز له أن ينيب عنه غيره فى الحج ولا بأس عليه بالطواف والسعي راكباً أو محمولا ويجمع بين الصلاتين تقديماً وتأخيراً وعليه أن يصبر ويرضى بما قدر له وكتب عليه ويستحضر الطبيب ويأخذ الدواء ويوكل فى أعماله الدنيوية من يثق به ويعرف منه حسن التصرف ، وطلاقه نافذ عند الشافعية رجعياً كان أو بائناً . وتصرفاته المالية إذا مات من مرضه تكون كلها من الثلث الذى تصدق الله به على عباده يتقربون اليه منه بما يشاؤن .

والمسافر يقصر الصلاة الرباعية ويجمع بين العصرين والعشاءين تقديماً وتأخيراً ويفطر فى رمضان وان تيسر له الصوم وليس عليه إلا القضاء . وإذا لبس الخفين على طهارة كاملة مسح عليهما ثلاثة أيام بلياليها من حين الحدث ولا تلزمه الجمعة . وإذا سافر الرجل وله

زوجتان أو أكثر أقرع بينهن ومن خرج لها السهم أخذها معه ولا يجب القضاء لصواحبها إذا رجع . وفى المكان الذى لا يجد الماء فيه يتيمم ويصلي النفل راكباً وماشياً قبالة مقصده ، ولا يستقبل القبلة إلا فى تكبيرة الاحرام . والرجل والمرأة فيما ذكر كله على حد سواء ولا تسافر المرأة ولا تصوم التطوع إلا باذن زوجها . ولا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تسافر فوق ثلاث إلا مع زوج أو ذي محرم والمريضة لا يجب عليها التمكين من نفسها ولا تكلف بارضاع طفلها مع المشقة . وليس للمرأة الصحيحة الامتناع من بعلها خوف الحمل او خشية المرض ، ولا بأس بشرب الدواء واخذ الحقنة لمنع الحبل وتوقيفه الى أجل معلوم . وحرام عليها تعاطى الدواء الذي يقطع النسل ويقتل الشهوة وإن كان مقصدها فى ذلك حسن لأن فيه التشبه بالبغايا ومن لا خلاق لهن ولا يرضى به من زوجته إلا المفتون أو سيء الظن بربه . (وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) .

الزكاة وصدقة التطوع

يتقرب الانسان الى ربه تعالى بالعبادة البدنية والمالية كالصلاة والصوم والحج وتلاوة القرآن وترك المعصية وكلها لله ونفعها وأجرها مقصور على المتعبد غالباً زيادة فى ايمانه وطلباً للمعالي وترفعاً عن النقائص ورياضة بدنية وثواباً فى الآخرة . ومنها ما يكون نفعه متعدياً الى الغير كالجهاد فى سبيل الله وبر الوالدين وتربية الولد وصلة الرحم واغاثة

الملهوف ونصرة المظلوم ومعالجة المريض والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعليم الجاهل وتذكير الغافل واصلاح ذات البين وكالزكاة التي فرضها الله على الأغنياء للفقراء من المسلمين . وأصحاب هذه العبادة لا شك هم أهل قوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

والزكاة ركن من أركان الاسلام الخمسة وقلما تذكر الصلاة في الكتاب والسنة إلا والزكاة معها وهي من الشرائع القديمة وقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل عليها وقال جل ذكره : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وقال رجل لرسول الله ﷺ (اخبرنى بعمل يدخلنى الجنة قال تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم) . وروى أنه قال ﷺ فى حجة الوداع : (ان أولياء الله المصلون ومن يقيم الصلوات الخمس التي كتبهن الله عليه ويصوم رمضان ويحتسب صومه ويؤتي الزكاة محتسباً طيبة بها نفسه ، ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها فقال رجل من أصحابه يا رسول الله وكم الكبائر قال تسع أعظمهن الاشراك بالله وقتل المؤمن بغير حق والفرار من الزحف وقذف المحصنة والسحر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت العتيق الحرام قبلتكم أحياء وامواتا لا يموت رجل لم

يعمل هذه الكبائر ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة إلا رافق محمداً ﷺ في بحبوحة جنة أبوابها مصاريع الذهب) .

ومانع الزكاة في النار وعذابه شديد فى الدنيا يقاتل وتؤخذ منه قهراً وللامام أن يأخذ معها شطر ماله عقوبة عليه وزجراً لغيره . وفي الآخرة يكون من أهل قوله تعالى : (الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) . وفى الحديث الشريف : (من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك انا كنزك) . ثم تلا هذه الآية (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير) .

والزكاة نصيب مقدر مفروض للفقير في مال الغنى يسد به خلته ويستعين به على حاله ويأخذه من الابل والبقر والغنم والذهب والفضة والحبوب والثمار وعروض التجارة والركاز والمعدن ويدفعه الغنى بنفسه الى المستحقين أو يأخذه صاحب الدولة ويصرفه على أهل قوله تعالى : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) .

وللزكاة شروط وأركان وأحكام كثيرة مفصلة عند الفقهاء وليس علينا في هذا الكتاب إلا ارشاد المرأة المسلمة الى ما أوجب الله عليها

وحذرها منه فنشير اليه إجمالا ونرغبها في طلب العلم والتفقه في الدين حتى تعرف الحلال والحرام والواجب والمندوب ثم العلم بعد ذلك يدعو الى العمل ويجعله موافقاً لمراد الله في شريعته تعالى . وإذا رزقت يا سيدتي المال الكثير وهو النصاب الذي تجب فيه الزكاة فعجلي باخراجها وابتغي ما عند الله واعلمي أنه ما نقص مال من صدقة بل يزيد بل يزيد بل يزيد وما تلف مال في بر ولا بحر إلا وسببه منع الزكاة وقد روي (حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة) . وما أظنك تملكين من الماشية ما تجب فيه الصدقة . والركاز والمعدن إذا وجدا فهما للحكومات وسوف لا يكون لك منهما إلا ما تصدق به عليك واهدي اليك . وجل ما تملكه المرأة من الأموال هو الذهب والفضة وعروض التجارة والأشجار والزروع ولا شيء في الأعيان الموروثة قبل تمام الحول ولا ما دخل في الملك بغير معاوضة . ويجب على المسلم والمسلمة أن يخرجا من الذهب والفضة الموجودين عندهما ومن قيمة العروض ربع العشر فقط وهو من كل مائة اثنان ونصف سنوياً ولا شيء فيما دون عشرين ديناراً من الذهب ولا فيما دون مائتي درهم من الفضة خالصين مضروبين أو سبائك إلا الحلية المباحة ولو كانت للايجار عندنا . ومن أهل العلم من يوجب زكاة الحلي مطلقاً مباحة الاستعمال أو محرمة . أما الآنية من الذهب والفضة وكذلك ما دخله السرف من حلي النساء فتجب فيه الزكاة وعليه يحمل قول النبي ﷺ للمرأة التي جاءت اليه ومعها ابنة لها في يديها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها (أتعطين زكاة هذا قالت لا قال أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار فخلعتهما والقتهما الى النبي ﷺ وقالت

هما لله ولرسوله) وليس فيما دون خمسة أوسق من التمر والزبيب وسائر الحبوب كلها زكاة مفروضة وهي فيما سقته السماء العشر كاملا و نصفه فيما سقي بالمؤ نة . قال ابو العلاء المعري :

إذا وهب الله لي نعمة أفدت المساكين مما وهب
جعلت لهم عشر سقي الغمام واعطيتهم ربع عشر الذهب

والدين الذى لك على الموسر تجب زكاته كل سنة حتى المهر في ذمة الزوج إذا بلغ النصاب الى يوم تستلمينه وزكاة الفطر واجبة على الرجل يخرجها عن نفسه وعن الموجودين عند غروب شمس آخر يوم من رمضان ممن تلزمه نفقته من أبويه الفقيرين وأولاده الصغار وامرأته الممكنة من نفسها . والفقير لا يجب عليه شيء من الفطرة عن نفسه ولا عن غيره والسنة اخراجها قبل صلاة العيد والمرأة لا تجب عليها الفطرة من مالها ولو كانت تملك الألوف المؤلفة ما دامت مزوجة إلا أن تطوع . وإذا كنت ايما وانت غنية فعليك زكاة الفطر صاع من بر أو شعير أو ذرة أو أرز أو غير ذلك من قوت أهل البلد التي تعيشين فيها تخرجينه عن نفسك وعن أبويك الفقيرين العاجزين عن الاكتساب وعن أولادك الصغار والذين يجب الانفاق عليهم ، ولا تصح الزكاة لكافر وغني وعبد مملوك ولا للاصول والفروع المنفق عليهم ولا لأهل بيت رسول الله ﷺ . ولا يجوز نقلها عن البلد إلا إذا دعت الحاجة وكان الفقراء في البلد الآخر أكثر فاقة وأعظم حقاً على المزكي من الفقراء المواطنين فيجوز النقل على قول كثير من أهل العلم ، والقيمة عند الشافعية لا تجزىء وإن كانت هي الانفع للفقير . وفي المال حق معلوم للسائل والمحروم غير الزكاة الواجبة وهو كفارة اليمين والظهار والجماع

في نهار رمضان والفدية في الحج والصوم وما يتقرب به المسلم إلى ربه من الواجب والمستحب كالنذر والوقف والوصية والصدقات والهدايا ولو عرف الناس ما شرعه الله للفقراء في أموال الأغنياء من الحقوق الكثيرة وامتثلوا أمر الله فى ذلك لما ظهرت الفتنة بالشيوعية والاشتراكية ولما وقع التعدي على الاموال والاعراض والكرامات . والفقير المحتاج قد يكفر أو يفجر بالنهب والسرقة وشهادة الزور وأكل الربا والرشوة وقد يتفحش مقبلا ومدبرا . وليس لأحد من ماله إلا ما أكله فأفناه أو تصدق به فأبقاه وأفضل الصدقة ما كان منك وأنت صحيحة شحيحة تأملين الغنى وتخشين الفقر وتؤمنين بقول ربك (فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى) ، وهل المال إلا ظل زائل وهل جعله الله إلا قنطرة يسير عليها الناس اما إلى الجنة واما إلى النار وحلاله حساب وحرامه عقاب والسعيد من جعله الله غنياً شاكراً ومسارعاً فى الخير مبادراً يتمتع فى الدنيا بما أحل له من الطيبات ويتزود للآخرة بالصدقات الجارية والاحسان إلى كل إنسان . وفى الحديث عن النبي ﷺ (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره وولداً صالحاً تركه ومصحفاً ورثه ومسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته) ورحم الله شوقي وهو يقول فى مرثاته للأميرة فاطمة بنت الخديوي إسماعيل :

لا ينفع الميت سوى صالحة مدخرة
قد ترفع السوقة عنـ ـد الله فوق القيصرة
يا جزع العلم على سكينة الموقرة

أمسى بربع موحش منها ودار مقفرة
من ذا يؤاسي هذه الـ ـجامعة المستعبرة
لو عشت شدت مثلها للمرأة المحررة
بنيت ركنها كما يبني أبوك المأثرة
قرنت كل حجر في أسها بجوهرة
مفخرة لبيتكم كم قبلها من مفخرة

ولذي الرحم المحرم والجار الجنب والصاحب بالجنب حق عليك فيما أتاك الله والأقربون أولى بالمعروف والحسنة بعشرة أمثالها إلا الصدقة فهي بسبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وقد لا يكون المال متسعاً لكثرة الانفاق ولكنك ترغبين في اللحوق بالذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والقليل منك وأنت فقيرة هو عند الله أعظم أجراً وأثقل في الميزان من صدقات الأغنياء المياسير الذين يجودون بالكثير من الكثير ، وقد قال النبي ﷺ : (لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة) (يعني ظلفها) وقال لأبي ذر رضي الله عنه : (يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعهد جيرانك) ، (ومن كسى مؤمناً على عري كساه الله من حلل الجنة ، ومن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم) ، والمرأة الصالحة التي لا تجد ما تنفق في سبيل الله تعين زوجها على البر وتأمره بالاحسان وتخرج من ماله وهو عنها راض لوجه الله ما تصعد به إلى الدرجات العلى ،

وعن النبي ﷺ قال : (إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئاً) (ومن أعان على خير أو شر ولو بشطر كلمة كان شريكاً فيه) ، وأنت شريكة الرجل فى العبادات البدنية والقلبية والمالية ، وربما حصل منك خلل فى المطلوب أو تساهل بالمحذور ، وربما عجزت عن مجاراة الرجل لقوته وضعفك ، ولذلك كان النبي ﷺ يرغب فى الصدقة ويجعلها وقاية من النار ويقول للناس (اتقوا النار ولو بشق تمرة) وكثيراً ما يقع من المرأة الجاهلة المعاندة كفران العشير ومعصية الزوج فتستوجب عليه العذاب ولعل الله يوفقها إذا تصدقت بما تيسر أن تتوب من ذنبها فتستغفر ربها فيجيرها من النار ، وإذا كثر المال وجعله الله فى يدك فطرق الخير كثيرة ، وأعظم ما تنبغي فيه الصدقة المساجد والمدارس والمستشفيات وكفالة الأيتام والاحسان إلى الأرامل والمرضى وزوجك الفقير وأولاده منك أو من غيرك أحق بالصدقة عليه والاحسان إليه إذا قدرت وفى الصحيحين عن زينب الثقفية إمرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما (قالت قال رسول الله ﷺ : تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن قالت فرجعت إلى عبدالله بن مسعود فقلت : انك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فائته فسله فان كان ذلك يجزي وإلا صرفتها إلى غيركم ، فقال عبدالله : بل ائتيه أنت فانطلقت فاذا إمرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتها حاجتي وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة فخرج علينا بلال فقلنا له ائت رسول الله ﷺ فاخبره أن إمرأتين بالباب يسألانك أيجزئ الصدقة

عنهمـا على أزواجهما وعلى أيتـام فى حجورهما ولا تخبره من نحن قالت فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله فقال له رسول الله ﷺ من هما فقال إمرأة من الانصار وزينب فقال رسول الله ﷺ أي الزيانب قال إمرأة بن مسعود فقال لهما أجر القرابة وأجر الصدقة) ، والله سبحانه وتعالى يقول (يسألونك ما ذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) .

تبرعات النساء

عرف الناس ما جبل العربي عليه من الصفات الحميدة والخصال الشريفة ومكارم الأخلاق في الرجال والنساء من الصبر ، والشجاعة ، والحماسة ، والأخذ بالثأر ، والبر ، والصدق ، والصلة ، والجود ، والعفاف وحسن الجوار ، وفصاحة القول ، وسداد الرأي ، وبعد النظر ، وإكرام الضيف ، ونصرة الضعيف ، وطيب المعاشرة ، وصدق الوعد ، والوفاء بالعهد ، والانصاف ، والايثار ، وغير ذلك من عز ألفوه ، ومجد توارثوه فى عاداتهم الحسنة ، وتقاليدهم القومية ، وطبائعهم الكريمة ، والرجل والمرأة يستبقان إلى كل مكرمة ، ويريد كل منهم الفضل على الآخر وان يكون حظياً عندها وتكون حظية عنده ، والبطل المقاتل يقول فى الميدان

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

والجواد السخى يقول لها :

دعيني أنهب الأموال حتى أكف الأكرمين عن اللئام

والمفاخر يحتكم إليها بقوله :

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم   فليس سواء عالم وجهول

وهي تفتخر بعزة قومها وأنها معهم فى الحرب تحت الحديد وفي السلم رافلة فى الحرير :

نعف ونعرف حق القرى   ونتخذ الحمد ذخراً وكنزا

ونلبس في الحرب نسج الحديد   ونسحب في السلم خزاً وقزا

وتلك أخرى تحرض أهلها على الأخذ بالثأر فتقول :

فان كنتم قوما كراما فعجلوا   له جرأة من بأسكم ذات مصدق

فان لم تنالوا نيلكم بسيوفكم   فكونوا نساء في الملاء المخلق

ومن قصيدة عمرو بن كلثوم :

ضعائن من بني جشم ابن بكر   خلطن بميسم حسباً ودينا

يقتن خيولنا ويقلن لسن   بعولتنا إذا لم تلحقونا

وأشهر أوصاف العرب فى الجاهلية والاسلام الرجال منهم والنساء هو الكرم الذي اذهبوا فيه أموالهم وبددوا فيه ثروتهم وكان أحدهم يهب الشاء والبعير والدراهم والدنانير وما يملك من قليل أو كثير لشاعر مدحه أو طارق نزل به أو محتاج ذكر له حاجته ، وقد اشتهر منهم خلق لا يحصون بالسخاء والجود وكثرة الانفاق ومجاوزة الحد الأقصى فى البذل والعطاء كحاتم الطائي وكعب بن مامة فى الجاهلية ، ومثل ابن جعفر وابن عباس ومعن بن زائدة ونظرائهم في الاسلام ، ومن النساء كعتبة بنت عفيف التي كانت لا تبقى لنفسها شيئاً ولا تدخر من المال رغم كثرته إلا ما تواسي به المحتاج أو تغيث به الملهوف حتى حجر عليها واستولى على المال اخوتها ولما عرفوا منها الفاقة وانه قد أصابها الجوع

دفعوا إليها طائفة من ابلها وجاءت إليها إمرأة من هوازن تسألها وقالت لها دونك هذه الابل فخذيها وأنشدت تقول :

لعمرك قد ما عضني الدهر عضة　　فآليت ألا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائمي اليوم اعفني　　وان أنت لم تفعل فعض الأصابعا
وما ذا عساكم أن تقولوا لأختكم　　سوى عذلكم او عذل من كان مانعا
وما ذا ترون اليوم إلا طبيعة　　فكيف بتركي يا ابن أم الطبائعا

وكان حاتم الطائي يعطى ابنته سفانة الضريبة من الابل فتهبها للناس حتى قال يا بنيتي ان الكريمين إذا اجتمعا في المال أتلفاه فاما أن أعطى وتمسكي واما أن أمسك وتعطى فانه لا يبقى على هذا شيء فقالت له منك تعلمت مكارم الأخلاق .

وفى القرآن الكريم يمدح الله المتصدقين والمتصدقات ويذكر المرأة إلى جانب الرجل فى هذه المبرة الاسلامية والعادة القومية ويقول تعالى : (ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضاً حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم) كما يعد المصدقين والمصدقات في آية الأحزاب بالمغفرة والأجر العظيم ولعلك يا سيدتي قد عرفت الأحاديث الواردة في تصدق المرأة وحثها على الانفاق من مالها أو من مال زوجها غير مفسدة ولا مسرفة ومن ذلك قول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها يا رسول الله ليس لى مال أتصدق منه إلا ما أدخل علي الزبير بن العوام وهو زوجها رضي الله عنه فقال ﷺ (لا توكي فيوكا عليك ولا توعي فيوعى الله عليك) .

وقالت أم بجيد رضي الله عنها (يا رسول الله ان المسكين ليقوم على بابي فما أجد له شيئاً أعطيه إياه فقال لها رسول الله ﷺ ان لم تجدي إلا ظلفاً محرقاً فادفعيه إليه فى يده) والآيات والأحاديث العامة فى فضل

الصدقة وأجر المتصدقين لا تحصى وبذلك تأثر الأجواد وانفقوا فى سبيل الله الحلال الطيب الكثير فكانت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها من أشهر النساء فى الجود والكرم وحسبها أنها قد جعلت مالها كله تحت تصرف النبي صلى الله عليه وسلم ليفعل فيه ما يشاء فيأخذ أو يدع منه ما يشاء . وتصدقت عائشة بسبعين الف درهم وانها لترقع ثوبها بيدها رضي الله عنها . وبعث اليها ابن اختها عبدالله بن الزبير فى غرارتين بمئة الف درهم فتصدقت بها كلها يوماً واحداً وكانت صائمة ولم تبق لنفسها شيئاً وقالت لجاريتها عند المغرب يا أم ذرة هاتي فطرى فقالت الجارية أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه فقالت لا تعنفيني لو كنت اذكرتني لفعلت . ودخل المنكدر عليها يسألها شيئاً فقالت له لو كان عندي عشرة آلاف درهم لأعطيتكها وجاءها من يومها المبلغ المذكور فأرسلت اليه ودفعت له المال كله . واشترى بالف درهم جارية استولدها ثلاثة من عظماء الرجال محمد بن المنكدر واخويه أبابكر وعمر . وكانت زينب بنت جحش تكنى بأم المساكين لكثرة ما تنفق عليهم وكانت غنية من كسب يدها واليها أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (اسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً) . وكانت هي أول من توفى من أمهات المؤمنين وبعث اليها عمر بن الخطاب بقسمها من العطاء فلما أدخل عليها قالت غفر الله لعمر غيري من أخواتي امهات المؤمنين كان أقوى على قسم هذا مني قالوا هذا كله لك فاستترت منه بثوب وقالت صبوه وأطرحوا عليه ثوباً ثم قالت لبرزة بنت رافع ادخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي به الى بنى فلان وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها حتى بقيت بقية تحت الثوب فقالت لها برزة غفر الله

لك يا أم المؤمنين والله لقد كان لنا فى هذا حق فقالت فلكم ما تحت الثوب وكان عطاؤها المذكور اثني عشر الف درهم . ولما بلغ عمر ما فعلت زينب قال هذه امرأة يراد بها خير فوقف على بابها وارسل السلام وزادها الف درهم من عنده ولكنها سلكت بالألف سبيل الذي قبله .
ومن جود سكينة بنت الحسين انها كانت تجود بكل ما لديها وإذا لم تجد شيئاً نزعت من يدها دملجاً أو سواراً . وتصدقت عاتكة بنت يزيد امرأة عبدالملك بن مروان بمالها كله على آل أبي سفيان حتى غضب زوجها وكان يريد المال لاولاده منها . وحين حجت زبيدة بنت جعفر امرأة الخليفة هارون الرشيد ورأت ما يعانيه أهل مكة وحجاج بيت الله من الاتعاب فى طلب الماء حيث كان الغني يشتري قربة الماء بالدينار والدينارين ولم يكن للفقير إلا ما يحمله على ظهره أو يتصدق به عليه أحد المحسنين شق هذا عليها ورأت من الواجب ادخال الماء الى مكة من أي جهة وايصاله الى الحرم الشريف وحيث تقام شعائر الحج فقالت لخازنها ادع لي العرفاء والمهندسين وذكرت له ما فى نفسها فعظم عليه الأمر وقال انه يتطلب من النفقات مالاً كثيراً فقالت له أعمل ولو كلفتك ضربة فأس بدينار وانفقت فى مبرتها الخالدة ما يقارب مليونين من الدنانير وخلدت اسمها على صفحات التاريخ وشغلت به لسان كل معتمر وحاج والناس يدعون لها ما شربوا قطرة من تلكم العين الفياضة بالماء الزلال الطيب وقلما يكتب أحد عن مكة وآثارها إلا واثنى على السيدة زبيدة بما تستحق ويا لله من كبد حراء فى البلد المقدس لم تبل صداها إلا من عين زبيدة التي ما تزال تتدفق بالجود والاحسان من صاحبتها قبل الف ومئتي سنة الى آخر الزمان ان شاء الله .

ولكثير من بنات الاسلام فى مختلف الأقطار والقرى والأمصار من الصدقات الجارية والآثار الطيبة الباقيـة ما يشهد لهن بالخير ويكتبه التاريخ على صفحات الزمان ويسجله الكرام الحـافظون بأحرف من نور على صفحات هي أنقى عند الله من البلور ، وعندنا فى اليمن من الأوقاف الكثيرة والمبرات العظيمة للسيـدة اروى بنت أحمد الصليحية فى اب وجبـلة ما يدل على كرمها وسخائها . ولنساء بني الرسول فى تعز وزبيد وغيرهما من حواضر اليمن وبواديه المدارس التي كانت تعج بالعلماء والمتعلمين وتزخر بالمؤلفـات والمؤلفين لهن من ذلك الشيء الكثير قال الخزرجي في كتابه العقود اللؤلؤية من ترجمـة الملكة مريم زوجة الملك المظفر (وكانت من عقائل النساء طاهرة عاقلة لبيبة لها عدة مآثر جيدة منها المدرسة التي فى زبيد وهي التي تسمى السابقية وكثير من الناس يقولون مدرسة مريم وهي من أحسن المدارس وضعاً رتبت فيها اماما ومؤذناً وقيما ومعلماً وايتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً للفقه على مذهب الامام الشافعى رضي الله عنه ومعيداً وطلبة وأوقفت على الجميع وقفاً جيداً يقوم بكفايتهم وابتنت فى تعز مدرسة في المقربة في الناحية التي تسمى الحميراء ووقفت عليها وقفاً جيداً ولها مدرسة في ذي عقيب وهي التي دفنت فيها ودار مضيف) .

وقال في ترجمة السيدة نبيـلة بنت المظفر (وكانت امرأة صالحة تقية بارة بأهلها محسنة إلى من لاذ بها وابتنت مدرسة في مدينة تعز ومسجداً في جبل صبر وابتنت مدرسة في مدينـة زبيد وهي التي تسمى الأشرفية في جنوبي مسجد الميلين ووقفت على الجميـع أوقافاً تقوم بكفاية الكل) وذكر عن أم الملك المجاهد انه كان لها فى الدين آثار حسنة وكانت تحب

العلماء والصلحاء وتكرمهم وتجلهم وتعظمهم وكانت تدور بيوت الناس تتفقدهم بالعطايا الوافرة وقل أن يأتي الزمان بمثلها ، ومن مآثرها الدينية المدرسة المعروفة الكبيرة المشهورة بالصلاحية فى مدينة زبيد ورتبت فيها اماماً ومؤذناً وقيما ونازحاً للماء إلى المطاهر بها ومدرساً للشرع فى الحديث النبوي ومدرساً فى النحو وطلبة فى كل فن من الفنون المذكورة ومعلماً وايتاماً وأوقفت من خيار ما تملكه ما يقوم بكفاية الجميع وابتنت قبالة المدرسة المذكورة خانقة رتبت فيها شيخاً ونقيباً وفقراء وأوقفت عليهم وقفاً جيداً حسناً كافياً وابتنت مدرسة فى قرية المسلب من وادى زبيد وجعلت فيها اماماً ومؤذناً وقيما ونازحاً ومعلماً وايتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً على مذهب الامام الشافعى ومدرساً على مذهب الامام أبي حنيفة وطلبة فى المذهبين وسبيلا لشرب الدواب وغيرها ، وابتنت مسجداً فى قرية التربية من وادي زبيد ورتبت فيه اماماً ومؤذناً وقيما ومعلماً وايتاماً ودرسة يقرؤون القرآن وسبيلا لشرب الدواب وابتنت أيضاً فى قرية السلامة مدرسة وهي التي على يمين السالك إلى تعز ورتبت فيها اماماً وخطيباً ومؤذناً وقيما ونازحاً للماء إلى المطاهر وإلى السبيل هنالك ومعلماً وايتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً للفقه على مذهب الامام الشافعى ومدرساً للحديث النبوى وطلبة مع كل مدرس وأوقفت على الجميع أوقافاً جيدة نفيسة تقوم بكفايتهم وتزيد وابتنت مسجداً فى مدينة تعز فى ناحية المحلية أيضاً وأفعالها فى الخير كثيرة) .

وللمرأة المسلمة فى الحجاز والشام والعراق ومصر والمغربين والأندلس ما لا يؤتى عليه من الخير ولا يتيسر جمعه وحصره فى هذا المقام وتبارك الله ما أكثر العطاء وما أجود النساء فى تركيا والهند

والملايو وأندنوسيا وغيرهن من العربيات والعجميات وحين قام الناس بجمع التبرعات لقضية فلسطين فى عدن العزيزة ولحج المحروسة كان مبلغ ما تفضل به العدنيـات المحسنات ثلاثة وعشرين ألف وثلثمائة ربية ومن سيدات لحج والشيخ عثمان نحو سبعة آلاف ربية ، وساهمت الغنيات والفقيرات منهن فى المشروع كل بحسب استطاعتها وعلى قدر مالها ، وان لك يا بنيتي الكريمة وأختي السخية فيمن ذكرت لك الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة ، والسابق واللاحق فى هذا الشأن سواء ، وربما تقرئين هذا أو تسمعينه فتعملين على أمهاتك اللاتي خطبهن النبي صلى الله عليه وسلم وحثهن على الصدقة فجعلن ينزعن من حليهن الفتخ والقرطة والعقود والأطواق والخواتيم والخلاخيل ويلقينها فى ثوب بلال ، وإذا تصدقت بشيء فاجعليه مما تحبين ولا تعمدي إلى الخبيث وما لا نفع فيه من الطعام والثياب فتجعليه صدقة فان الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وهو القائل عز وجل (لن تنالوا البر حتى تنفقوا ممـا تحبون ، وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم) وحيث قد علمت ان الرجل والمرأة لا يستبقان إلى الجود والانفاق فى سبيل الله إلا وكانت المرأة أطول منه يداً ، وأكثر منه ندى ، تصدقاً وإهداء ، فلا تبطلي يا سيدتي الصدقة بالمن والأذى فانما يتقبل الله من المتقين ، وانما يمدح المحسنين بقوله تعالى : (الذين ينفقون أموالهم فى سبيـل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم) .

أموال النساء

للاسلام فى معاملة المرأة من جهة المـال وكيف تكسبه ويكون ملكا لها وتتصرف فيه كما تحب مستقلة القانون الذي لا تماثله الأوضاع البشرية فى الأمم الغابرة والمدنية الحاضرة . وقبل شريعة الاسلام كانت المرأة متاعاً للرجل يفعل فيه ما بدا له ويرثها ولا ترثه ويتحكم فى دمها ومالها وهي خاضعـة مستسلمة سواء العربي فى ذلك وغيره وفى جاهلية الأنصار كانوا إذا مات الرجل عمـد ابنه الأكبر من غيرها أو وليه القريب إلى امرأته فطرح ثوبه عليهـا وصار أحق بها من نفسها يتزوجها بصداق الميت أو يزوجها من شاء وله صداقها أو يمنعها من النكاح لتفادي نفسها منه بمـا يريد ونزل في ذلك قول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهـاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيـه خيراً كثيرا) وفي استطاعة المرأة أن تجمع المال بأسباب كثيرة كالاتجار والمشاركة والمضاربة والصناعة والعمل للغير فى المكتب والمزرعـة والمستشفى وبالخياطة والاستخدام فى البيوت ونحو ذلك وترث من أبيها وأمها واخوتها وزوجها وأبنائها وتكسب المال من صداقهـا وما يدفع الرجل إليها قبل النكاح وبعده من التحفة والنفقة ولا يجوز للرجل أن يضار عقيلته ويسيء عشرتها بضربها وهجرها وسبها والتقتير فى الانفاق عليهـا لتطلب الطلاق وتسامحه من مهرها وربما احتال عليها وتلطف لها فأكل مالها وماطلها في الحق الذي

لها عليه وقد نهى الله عن ذلك فى كتابه العزيز (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) وذكر فى سبب نزول هذه الآية ان جميلة بنت عبدالله ابن أبي اوفى كانت تحت ثابت بن قيس ابن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فأتت أباها تشكو إليه زوجها وقالت انه يسيء إلي ويضربني فقال ارجعي إلى زوجك فلما رأت ان أباها لا يشكيها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه زوجها وأرته آثاراً بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت فقال مالك ولأهلك فقال والذي بعثك بالحق نبياً ما على وجه الأرض أحب إلي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يا رسول الله ولكني خشيت أن يهلكني فأخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت أحدثك حديثاً ينزل عليك خلافه هو أكرم الناس حباً لزوجته ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو قال ثابت أعطيتها حديقة نخل فقل لها فلتردها علي وأخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين أمرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها ففعل) وملكت جميلة أمرها ، ولا فرق بين ما يدفعه الزوج إلى زوجته من الصداق وغيره مما يهب لها أو يهدي إليها ، وللمرأة أن تسامح زوجها ببعض حقها عليه أو كله (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) وإذا طلقت ولما يدخل بها الرجل وقد عين لها مهراً فانها تستحق عليه نصف المسمى إلا أن

يكمله لها أو تبريه من ذلك (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم) وأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يحدد المهور ويرد على الرجال بعض ما دفعوه من المال الكثير للنساء فقالت له امرأة وهو على المنبر يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنعنا وتلت قوله تعالى (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقاً غليظا) فقال رضي الله عنه كل الناس أفقه منك يا عمر .
وإذا كان هذا حال المرأة فى مالها مع زوجها وفيما يدفعه اليها فهي في سائر أموالها مع سائر الناس أكثر حرية وأنفذ تصرفاً ولها أن تبيع وتشتري وتؤجر وتعير وتشفع وتقارض وتحول وتوكل وتصالح عملاءها معاوضة وابراء . ومتى بلغت وهي رشيدة وجب دفع مالها اليها ولو كان فى يد ابيها أو زوجها مكتسباً كان أو موروثاً ولا يتعرض أحد عليها فيما تنفق أو تمسك ما دامت مصلحة لدينها ودنياها ، وبلوغها عندنا بالحيض أو الاحتلام أو تمام خمس عشرة سنة ولا تأخذ المال عند أبي حنيفة إلا إذا بلغت سبع عشرة سنة ولا يشترط كونها مزوجة . وقال الامام مالك (لا يدفع اليها المال إلا إذا تزوجت ولا تتصرف فيه إلا باذن زوجها ما لم تكبر وتجرب) وكذلك الامر فى القانون الافرنسي لا بد فى تصرفات المرأة من اجازة بعلها وقد اشتهر عدد كثير من المسلمات ذوات المال الجم والثروة الواسعة يصل اليهن بالميراث والتجارة الرابحة والصناعة النافعة ولا حرج على المسلمة فى مزاولة التجارة وما

يليق بها من الاعمال داخل البيت وخارجه مع الاحتشام وستر ما أمر الله بستره ولا بأس أن تكشف وجهها عند المعاملة بالبيع والشراء وليراها الوكيل والمستأجر والشاهد عليها . ومنذ زمن بعيد ونساء البادية يغشين الأسواق ويجلبن اليها السلع من الجلود والأصواف والألبان والسمن والجبن والأقط والحبال ويتقضين حوائجهن من المدن ويتعاملن بالاخذ والعطاء مع كل بر وفاجر وهن فى منتهى الحياء والعفة وطبيعياً يكون جلوس المرأة فى حاشية السوق وترددها فى الشارع غير جلوسها على كرسي مزخرف وطاولة فخمة والتي فى ثياب مهنتها لا تقاس بها التي فى ثياب زينتها وقد تكون سعيدة الحظ باقية فى البيت وزوجها الكريم وابناؤها البررة واخوتها الخيرة يعملون فى مالها كما تشاء ويجعلون كل شيء تحت تصرفها ومرتباتهم الشهرية ومداخيلهم المالية كلها فى يدها وكأنها هي صاحبة الحق لا يعترضون عليها فيما تفعل ولا يصدرون إلا عن سديد رأيها ، والمعروفة برجاحة العقل وبعد النظر وحسن التدبير تجمع شمل الأسرة وتربي لهم الثروة وتخبأ من قليل الدخل مالا كثيراً وعندها يجدون المعدوم بتصرفاتها الحكيمة يتزوج ابناؤها وعلى مواساتها للبنات وما تدفع اليهن من مساعدة مادية يثبتن فى بيوت الأزواج وقد يرغب الانسان فى نكاح ذات المال لما يعرف من قلة طلباتها وانها تعتمد فى معظم حاجاتها على الله ثم على مالها . وإياك والاسراف يا سيدتي البنية فى المأكل والمشرب واللباس والصدقة وما لا حاجة له من الحلي التي لا تلبس والاواني التي لا تستعمل والأثاث الذي لا ينتفع به واقامة الحفلات والولائم لمناسبة وغير مناسبة ولا تفاخري ولا تباهي ولا تستطيلي على الزوج والأقارب بفضل الله عليك

فربما زالت النعمة وربما تأذوا منك فاستاءوا منك وأساءوا اليك . والمال عماد الحياة وقوام المعاش وبه يتوصل الى مرضاة الله وقد يستعين به الشيطان على فتنة الانسان فالموفق لا يصرف نعمة الله عليه إلا فيما خلقت لأجله يطعم المساكين ويسد فاقة المعوزين ويكسب المجد وتلهج ألسنة الناس بالثناء عليه والحمد ، فاجعلي المال وسيلة الى هذه الغاية ولا تضعيه فى المعصية واعلمى ان الشرع يحجر على السفيه وينتزع ماله ولا يعطيه منه الا ما يكفيه لقول الله سبحانه وتعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) والسفيه هو المبذر الذي يصرف ماله فيما لا ينبغى من اللهو واللعب والمخاصمة فى غير حق وشراء ما لا ينتفع به ولا ربح فيه والسياحة من بلاد الى بلاد لغير حاجة ، ويحجر عندنا على المفسد لدينه كشارب الخمر والمقامر والمرابي ، والمرأة محتاجة فى المال الى تبصر فى الامساك والانفاق أكثر من الرجل ولا بد من تثبتها بالاشهاد فى المعاملة وضبط المحاسبات ومعرفة العميل والتوثق من الغريم لئلا تخدع وخير لها الاعتماد فى المعاملة على الرجال القادرين على الأسفار واستيفاء الديون وقبض الرهون ومحاكمة الجاحد ومناقشة الحاكم والمدعي والشاهد ، ومن المعاملات البيع بالنسيئة مع الزيادة فى الثمن وهي جائزة الا اذا غبن المشتري غبناً فاحشا كما تبيع الدلالة هنا ما قيمته الخمسة بعشرة أو خمس عشرة الى أجل وقد تموت قبل الاستيفاء أو يعجز أو يتمنع المشتري عن الايفاء ، وصاحبة العقار والأملاك المؤجرة لا بد أن تعرف أحكام الاجارة ما يجوز منها وما لا يجوز فلا تخالف الشريعة ولا تتعدى القانون فتطلب أو تأخذ ما لا حق لها فيه ، والعارية مضمونة وهي ما يؤخذ من الامتعة للانتفاع به

مدة معينة أو مطلقة ومن أتلف شيئاً فهو عليه ولو بغير قصد ولا تصدقي من يقول لك (الغرامة بغريم) وما لا ينقص منه شيء باستعماله كالقدر والقصعة والابريق وصحن الغسيل اذا استعارته جارتك وأنت غنية عنه فلا ترديها ولا تمنعيها وتعاونوا على البر والتقوى وخير الناس أنفعهم للناس والله تعالى يقول (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) .

سفر المرأة

وإذا بدا لك السفر إلى جهة ما وفي أي حاجة تعبدية أو مباحة كالحج والزيارة والتجارة والسياحة التي لا مانع منها شرعاً فانه لا بد من استئذان زوجك الذي تجب له الطاعة والوقوف عند أوامره ومساكنته حيثما كان ويشترط أن يكون هو معك أو أحد محارمك الذين يجوز لهم الاختلاء بك والنظر إليك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو محرم منها) وفي رواية (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم منها وفي رواية مسيرة يوم وفي أخرى مسيرة ليلة إلا ومعها رجل ذو محرم منها) وذلك ان السفر مظنة الأخطار وفيه من الأتعاب ما لا تتحمله المرأة إلا بمساعد ومعين وهي في حاجة إلى من يحضر لها الدابة ويراقب سيرها ويأتي إليها بالقوت والعلف ويطلب لها الماء ويسلك بها الطريق السهل ويحميها من الاعتداء على عرضها ومالها وفي

القطار والباخرة وعلى مقاعد السيارات والطيارات ينبغى لها المكان الصالح والمجلس المحتشم ويظللها من الشمس ويدفع عنها مشقة الازدحام وعبث الاختلاط ، وعند الطلوع والنزول يتخذ الاجراآت اللازمة من مقابلة الطبيب وتقديم جواز السفر ومراقبة الأمتعة فى الجماريك وعلى الموانئ وكل ذلك يا سيدتي صعب وشاق وان تيسرت الأسباب وتقدمت المدنية والخوف عليك حاصل من السفر بغير زوج ولا محرم ولو كنت مع الصالحين وأشباه الملائكة وأستغفر الله ، فان أنت خالفت أمر الله تعالى وعصيت رسوله صلى الله عليه وسلم كان السفر معصية لا يباح معه القصر ولا الجمع بين الصلاتين ولا الفطر فى رمضان ولا أي شيء من الرخص التي تكون للمسافر ويسقط حقك فى الحضانة وينتزع منك الولد وتعدين ناشزة لا نفقة ولا كسوة لك على الزوج ولن يقبل الله منك صلاة ولا صوماً ولا صرفاً ولا عدلا حتى تعودي إلى بيتك وطاعة زوجك وتحدثي لله توبة مما كان ، ومتى جاز لك السفر فلا بأس أن يكون إلى قريب أو بعيد ولك مزاولة اللائق بك من الأعمال فتبعثين الرسائل وتبرقين إلى من شئت وتستلمين ما يأتيك من طريق البريد وغيره وتتصلين بالعملاء والوكلاء وتفعلين ما لا بد منه للتصدير والتوريد ولو مع الكفار والأجانب ما دام ذلك فى حدود الدين ، وسياحة النساء اليوم فى مختلف المدن والعواصم للرياضة والنزهة وعلى حساب العلم لا تعود بخير عليك أيتها المسلمة الشرقية وذات العفاف والطهر والتقاليد المحترمة ، وهل دنس الشرف ولطخ وجه الكرامة فى بيوت الملوك والسادة إلا سفر بناتهم الى أوربا وأمريكا لغير حاجه صحيحة ولا غرض شريف ، وأنا لا حب لك الانضمام الى أية بعثة تذهب الى الخارج وان كان فى ذلك من

المصالح الشيء الكثير اللهم الا بشروط لا يمكن تحقيقها فى زمان فاسد وبيئة فاسدة والفتنة غير مأمونة وجنود ابليس منتشرون فى الأسواق والطرقات وعلى ابواب المدارس وفى صفحات الجرائد وعلى مسارح التمثيل وفى دور السينما والوازع ضعيف من الدين والأخلاق والقومية الصالحة وأشد ما تكون حاجتنا اليوم إلى دراسة المرأة للطب وهي غير متيسرة فى بلادنا لقلة العلم وتقصير الحكومات فى الواجب فاما تسافرين مع المحرم لهذه المهمة وملء ثيابك الطهر وحشو إهابك الايمان وعليك حائط منيع من عزة النفس وكرامة الاهل وشرف الأمة والله رقيب عليك بعد ذلك . وأما نحضر الطبيبات الامينات الى بلادنا وتلازميهن فى العيادة والمستشفى وتأخذين منهن ما تيسر من تشخيص المرض والعلاج الممكن ومساعدة المريض ولو بتخفيف آلامه أو تسكينها وأما نفوض الأمر الى الله ونتحمل ما بنا من الأمراض الحسية طلباً للسلامة وخوفاً من الاصابة القاتلة للشرف والكرامة . وإذا كتب الله لك الحج أو السفر الى أي جهة فلا تأخذي معك ما لا حاجة اليه ولا فائدة من حطه ونقله ولكن الفراش الخفيف وحقيبة الثياب وكل شيء امامك من الضروريات والكماليات ما دامت النقود موجودة والاسعار رخيصة وفى البلاد التى تصلين اليها لا تسكني إلا فى البيوت المحترمة ومع الاسر الكريمة أو فى الأتيل والفندق بعيدة عن الريبة ومواضع التهمة ولا تكوني على الرجل حملا ثقيلا تلقين عليه مسؤولية كل شيء وتريدين منه زوجاً وخادماً وحارساً فى آن واحد ولكن تكونين خفيفة الظل سريعة الحركة قليلة الطلبات صبارة على المشاق قوامة بما عليك فى غير طيش ولا ثقالة وخلاصة القول ان الجلوس في بيتك خير لك

وعنايتك بتربية الأبنـاء وشؤون المنزل يبرر موقفك عند الله والناس ولا يبقى عليك بعـد ذلك أية مسؤولية لأي انسان ولكن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه وخير الناس أنفعهم للناس وكيفما تكوني مع الله يكن معك الله (ولله ما في السماوات وما في الأرض وان تبـدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) .

الحرف والصنائع

أضر شيء على المرأة ترك العمل والاكتساب واعتمادهـا على نفقة الزوج والأقارب أو على المال الموجود عندها فاذا غاب زوجها أو رغب عنها أو طلقها أو افتقر المحسن اليها أو نفذ ما كان في يدهـا افتقرت واحتاجت ولها الويل ان كانت لا تجد حرفة ولا تحسن صنعة يملها أهلها ويتغيب عنها الذين كانوا يترددون عليها رغباً ورهباً والخـادم يعصيها وابنها يعقها وجاراتها يقاطعنها ويشتمنها بالسفه والعجز والكسل وانهـا لا تصلح لشيء غير الأكل والنوم وابواب الرزق مفتحـة وانواع الحرف كثيرة وللناس حاجات الى الخياطـة والتطريز والنقش والتلوين والغزل والنسج والخدمة والاشتغال بالطب والتعليم والتربيـة وأشياء أخرى لا بد للمسلمة العفيفـة التي لا تأكل الا من الحلال ولا ترضى على نفسها بذلة السؤال لا بد لها ان تحسن شيئاً من ذلك تعيش به وتجمع المال منه فأما التجارة وقد عرفت أساليبها وأما الصناعة اليدوية ولا عيب في شيء منها وانما العيب في البطالة والكسل . وقديماً كانت

المسلمات يحترفن الدباغة وغزل الصوف والشعر والقطن وينسجن البرود والعباء ويفتلن القلائد وينظمن العقود الثمينة ويطبين بأسو الجروح ومراخة الرضوض وتوليد النساء وما أنكر الاسلام شيئاً من عمل المرأة في الجاهلية إلا البغي والنياحة وما تنسب الرماح الردينية إلا إلى امرأة في البحرين يقال لها ردينة وكانت تثقفها وتقيم كعوبها . وأم المؤمنين سيدتنا زينب رضي الله عنها كانت امرأة دباغة والسيدة الزهراء فاطمة البتول عليها السلام كانت تغزل وتطحن حتى دمي ذراعها وطلبت خادماً من ابيها ﷺ ليساعدها على بعض أعمالها فأبى عليها ذلك وفى الحديث الطويل الذي أسوقه لك موعظة وعبرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة من أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين فقال علي رضي الله تعالى عنه لفاطمة رضى الله عنها ذات يوم والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه فقالت وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداي فأتت رسول الله ﷺ فقال ما جاء بك أي بنية قالت لأسلم عليك واستحيت أن تسأله ورجعت فقال علي ما فعلت قالت استحيت أن أسأله فأتيا جميعاً النبي ﷺ فقال علي يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقالت فاطمة قد طحنت حتى مجلت يداي وقد جاءك الله بسبي وسعة فاخدمنا فقال والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما انفق عليهم ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا فى قطيفتهما إذا غطت رؤسهما تكشفت أقدامهما وإذا غطت أقدامهما تكشفت رؤسهما فثارا فقال مكانكما ثم قال ألا أخبركما بخير

مما سألتماني قالا بلى قال كلمات علمنيهن جبرائيل فقال تسبحان الله فى دبر كل صلاة عشرا وتحمدان عشرا وتكبران عشرا فاذا آويتما الى فراشكما سبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا اربعاً وثلاثين قال علي فوالله ما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعتمدون فى طلب الرزق على الحرف أيا كانت . فلنوح وابراهيم وزكريا النجارة ، ولأخوة يوسف التجارة ، وسليمان بن داؤود كان خواصاً وفى أبيه يقول الله تعالى : (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) . وما من نبي إلا وقد رعى الغنم قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا كنت أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة . وكل حرفة تغنى عن السؤال وتكف يد صاحبها عن الطلب واستجداء الناس هي أفضل من الانقطاع للعبادة وانتظار الصدقة . والرجل إذا افتقر وأعوزته الحاجة قد يغصب وينهب ويسرق . أما المرأة المحتاجة التي لا صنعة لها فانما تعول على حسنات المتصدقين إن كانت عفيفة أو تعرض العفاف والشرف على الفساق كالمزاد العلني فى أخبث الاسواق . وإذا كنت صانعة فكوني متقنة أمينة فان الله كتب الاحسان على كل شيء . وبادرى بالعمل وكوني نشيطة مخلصة ولا تؤخرى عمل اليوم الى الغد ولا تطلبي من الأجرة ما ينفر عنك العميل وكوني سهلة سمحة متمتعة بحسن السمعة وثقة الناس بك واسمعي ما يقول علي بن ابي طالب رضي الله لخياط وقف عليه (صلب الخيط ، ودقق الدروز ، وقارب الغروز فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واجتنب الساقطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الأيادى

وتطلب المكافأة) .

وانني لفخور جداً بصبر النساء في هذه البلاد على الفقر والفاقة وهن يحترفن الخياطة والتذبيل وصنعة الكوافي والزنابيل ، ورب فتاة صغيرة السن قليلة المال كثيرة العيال مات زوجها وغفل الناس عن مساعدتها فاحتسبت عند الله شبابها وكفلت ايتامها تبعثهم إلى المدارس وتجمع لهم القوت والكسوة وما لا بد منه بأشرف الأعمال وأفضل الحرف تكتسب الحلال بالغسل والطحن والخبز وتحسن إليهم صغاراً وتزوجهم كباراً والخبثاء منهم لا يعرفون لها حقاً ولا يجازونها على حسن الصنيع إلا بالعقوق والتقصير في الحقوق .

الا انها سلمى تعيسة معشر | من الصيد أقوت دارهم فهى بلقع
وصارعهم بالموت حتى أبادهم | من الدهر جبار شديد مصرع
فحق لسلمى أن تنوح فانها | من العيش سماً ناقعاً تتجرع
فلا غرو من أمر اليتيم إذا غدت | ضحى العيد يبكيها اليتيم المضيع

ولا مانع شرعاً من احتراف النساء بأي شيء لا يمسهن في خلق ولا دين ، سواء كان ذلك في بيوتهن أو في بيوت أخرى ولكن الاختلاط في المصانع والمعامل والتكشف الذي يعرضها لافتراس السباع الضارية ويوقعها في خطر أشد عليها من الجوع والعرى هو الذي نخافه ونحذر المسلمات منه وقد اتسع الخرق على الراقع في أوربا وتعب المصلحون من كتاب الانكليز وغيرهم في معالجة هذا الداء ومحاربة الاختلاط في المعامل حتى قالت الكاتبة الانكليزية (اللادي كوك) من مقال لها طويل في إحدى جرائد لندن (يا أيها الوالدان لا يغرنكما بعض دريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا ، علموهن

الابتعاد عن الرجال أخبروهن بعاقبة الكيد الكامل لمن بالمرصاد لقد دلنا الاحصاء على ان البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال ألم تروا ان أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل والخادمات في البيوت وكثير من السيدات المعرضات للانظار ولو لا الأطباء الذين يعطون الأدوية للاسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن ، لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الامكان ، حتى أصبح رجال مقاطعات من بلادنا لا يقبلون البنت زوجة ما لم تكن مجربة أي عندها أولاد من الزنا ينتفع بشغلهم ، وهذا غاية الهبوط بالمدنية ، فكم قاست هذه المرأة من مرارة الحياة حتى قدرت على كفالتهم ، والذي علقت منه لا ينظر إلى أولئك الأطفال ولا يتعهدهم بشيء ويلاه من هذه الحالة التعسة ترى من كان معيناً لها في الوحم ودوراه والحمل وأثقاله ، والوضع وآلامه ، والفصال ومرارته) هذا وتعلمين يا سيدتي ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وانه لا بد من طلب الرزق والتماسه من أبواب حله بأية وسيلة شريفة ، وفي الحديث الشريف (لان يأخذ أحدكم أحبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه) وطلب المعاش فريضة بعد الفريضة ، وفي التوراة (حرك يديك افتح لك أبواب الرزق) وفي القرآن الكريم (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) .

الاستعداد للزواج

سعادة الانسان وتمام راحته وبركة حياتــه ومنتهى سروره وغاية ما يتمناه بعد العافية هو الزواج المبـارك الذي به تتم الصلة وتقوى به الرابطة بين الرجل والمرأة وتسكن نفس كل منهما إلى الآخر وبه يتعاون الزوجان على الخير ويشتركان في الحياة ومنهما يتكون الأهل فيأتي النسل ويعمر البيت وتكبر الأسرة وتكثر الأمة وهو من شرائع النبيين وسنن المرسلين والأعزب شيطان كيفما كان ، ومن استطاع القيام بالواجبات الزوجية وقدر على الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ولا رهبانية في الاسلام. والمرأة لا تصلح إلا في البيت العامر أو القبر الدائر وكل عظيم أو عظيمة يحتـاج من نوع جنسه الثاني إلى قرين يطمئن إليه قلبه وتسكن إليه نفسه إذا كانت النزعة واحدة والطباع متفقة والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ولا يستريح بالمرأة الطيبة الصالحة إلا رجل طيب ولا يميل الى الخبيثة الفـاجرة إلا مثلها خبيث فاجر ولذلك حرم الله النكاح بين الموحد والمشرك والمؤمن والفاسق فقال تعالى : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خـير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم أولئك يدعون الى النـار والله يدعوا الى الجنـة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) . وقال أيضاً : (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) .

وليس للمرأة إلا رجل واحد تعيش معه سعيدة الى أن تموت أو يطلقها ويغني الله كلا من سعته والصالحة للزواج السعيد هي البكر الودود الولود الحسيبة النسيبة المتجملة أو الجميلة . وفى استطاعتك يا بنيتي الطاهرة أن تجمعي هذه الأوصاف معظمها وإذا قضيت الحياة مع رجل واحد وتحببت اليه بما فى وسعك فأنت ولا شك بكر ودود ولود يخرج منك الكثير الطيب ان شاء الله وبحسن العشرة وجميل الصحبة وأن يجد الرجل فيك قرة عينه سيرضى بك وحدك ولن يضم اليك زوجة اخرى ولن يستبدل بك غيرك ابداً . وأى شيء يريد من السعادة غير ما يجده فيك من العفاف والنزاهة والحلم والصبر والقناعة وراحة القلب من نظافة الجسم والثوب والبيت وحسن ترتيبه ومعاونة الزوج بما لديك من المال والحرفة مع الاقتصاد فى المعيشة . وفى الحديث الشريف : (تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) . ومثل الجمال حسن التجمل الذى تدركين به هذه الغاية وكيف به إذا كان مع جمال الخلقة وحسن التقاطيع وتناسب الأعضاء فانه حينئذ يتنافس فيه عليك الرجال وإياك والادلال على الرجل بجمالك الفطري أو المصطنع فان ذلك يؤذيه ولا يستطيع معه العيش الهنيء إلا أن يكون خسيس الطبع صباراً على ما لا يطاق ولكثرة مال الفتاة وشرف حسبها قد يرغب فيها الكثيرون ويتزاحم الرجال على خطبتها وكل ذلك لا تدوم معه الصحبة ولا تتم به راحة الزوجين إلا إذا كان مع الدين الصحيح والذوق السليم والخلق المستقيم والقدرة والكفاءة التامة على مراعاة أحوال الرجل وتدبير أموره وتنظيم شؤونه ومشاركته فى العسر واليسر والغنى والفقر وأن تقبلي منه اليسير

وتشكريه على الكثير ، وإذا بلغت سن النكاح وصرت مستعدة للزواج أو انقضت العدة من زوجك المطلق فعليك بعد المحافظة على الدين والآداب أن تعرضي نفسك للخطاب وتتأهبي للمستقبل الباسم بالنظافة والجد فى أعمالك بالنشاط وقلة النوم وأن تعتني بنفسك العناية التامة ومع صواحبك وأترابك تدخلين وتخرجين لزيارة الجيران وحضور الحفلات منافسة فى الزي الحسن والصنعة المتقنة وطرفك الكحيل مغضوض وصوتك الجميل مخفوض والشرف الأصيل محفوظ ، وإذا علم الناس منك هذه الخصال وتحدثوا عنك بالجمال والكمال وطيب الحال كان السعيد من الرجال من أصبحت عنده أم العيال ، وإذا علمت ان راغباً فيك يحب رؤيتك والنظر إليك فلا تحولي بينه وبين ذلك ولا تمنعيه مما أذن الله فيه وقد سبق التنبيه على ذلك وما يترتب على الزواج قبل التعارف من الاضرار والمفاسد قال أبو بكر الدمشقي من فقهاء الشافعية فى كفاية الأخيار (وإذا أراد الرجل أن يتزوج امرأة ورغب فى نكاحها فلا شك فى جواز النظر اليها ، وهل يستحب لئلا يندم لأن النكاح يراد به الدوام أو يباح . الصحيح انه يستحب لقوله عليه الصلاة والسلام للمغيرة بن شعبة «أنظر فانه أحرى أن يؤدم بينكما») ثم قال (ويجوز تكرير النظر ليتبين له وسواء نظر باذنها أو بغير اذنها فان لم يتيسر له بعث امرأة تتأملها وتصفها له لأنه عليه الصلاة والسلام بعث ام سليم إلى امرأة وقال «أنظري إلى عرقوبها وشمي معاطفها» والمرأة أيضاً إذا رغبت فى نكاح رجل تنظر اليه فانه يعجبها منه ما يعجبه منها قاله عمر رضي الله عنه ثم المنظور اليه الوجه والكفان ظهراً وبطناً ولا ينظر إلى غير ذلك ، وفى وجه ينظر اليها كنظر الرجل إلى الرجل ، وهذا النظر مباح وان خافا فتنة

لغرض التزويج ووقت النظر بعد العزم على نكاحها وقبل الخطبة لئلا يتركها بعد الخطبة فيؤذيها هذا هو الصحيح ، وقيل ينظر حين يأذن فى عقد نكاحها ، وقيل عند ركون كل واحد إلى صاحبه وإذا نظر ولم تعجبه فليسكت ولا يقول انى لا أريدها لأنه ايذاء والله أعلم) .

والأصح فى مذهب الشافعية ان الخاطب لا ينظر من مخطوبته إلا الوجه والكفين لحصول الغرض من معرفتها بذلك . وقال كثير من أهل العلم انه ينظر منها إلى كل شيء يبدو من أطرافها كالساقين والساعدين وقد صوب النبي ﷺ النظر إلى امرأة جاءت اليه تهبه نفسها وذلك أثبت لدوام الزوجية وأسلم للجانبين من الوقوع فيما لا تحمد عاقبته . لكن المغازلة ودوام النظر وكثرة الكلام والسير مع المخطوبة فى الطرقات وتكرار الزيارة قبل العقد أمر لا يجوز ولا يحل للمرأة ان تمكن منه الرجل وان فعلت حال وليها بينها وبين ذلك . ومن العوائد القبيحة عندنا ان الرجل لا يتمكن من رؤية مخطوبته ولا يعرف منها شيئاً إلا ليلة أن تزف اليه ويعتمد فى هذا الاتصال على خبر أمه مثلا أو الماشطة وهي عندنا المكدية التي لا يهمها إلا المسحة وما تتحصل عليه من العروسين وأهلهما وكثيراً ما يندم الزوج ويتبرم بالحالة ويعيش مع زوجته مدة طويلة أو قصيرة فى أتعس حال وأبأس حياة . وكثرة التبرج والظهور على كل بر وفاجر لا يترتب عليه إلا الفساد ولا يراك به الناس إلا متاجرة بالشرف تعرضينه على كل فاضل وناقص ، وضياع الوقت فى التجمل والافراط فى التزين يجعلك ممقوتة محتقرة فلتكن عنايتك بالصفات الفاضلة والأخلاق الكريمة أشد من عنايتك بالمظاهر ومختلف الأزياء وكل شيء دون العلم والثقافة الصحيحة لا تبلغين به المراد ولا تصيرين به حظية فى زمان

يقدر أهله العلم ولا يساوونه بأية فضيلة أخرى فاجعليه وسيلة العز والسعادة فى الدنيا والآخرة ولا يغلبنك طيش الشباب على الاحتفاظ بالعادات الحسنة والتقاليد المحترمة فتميلى إلى رجل يعجبك مظهره ويسرك منظره وأنت لا تعرفين طبعه ولا تدرين عنه شيئاً وربما شغفك حباً وتظاهر لك بالعبقرية والنبوغ وانه القوي الكامل فى ذكورته ورجولته وهو صعلوك ضعيف أو ماكر خبيث يمضغ اللقمة فلا يسوغها ويقطف الثمرة قبل نضوجها ولا يستطيع النهوض بحمله ولا يعرف الفضل لأهله . وهذه الصفات فى كثير من شباب اليوم يهتكون أعراض الفتيات ويجنون على كرامة الأسر والعائلات وإذا بلغوا القصد وأخذوا من اللبن الزبد ولوا على أدبارهم نفورا وقالوا كما قال ابليس (اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين) فقدري لأبيك رأيه واحترمي عواطف أهلك واسألي عن الخاطب أمك ومن تثقين به سؤال حكمة ولباقة وفى تبصر وأناءة ولا عيب فى ذلك والرجال هم الذين يعرفون الرجال والوالد الناصح الحريص على سعادة أبنائه وبناته لا يريد لهم إلا الخير ولا يضعهم إلا فى الأماكن الطيبة ، والبيوت المحترمة ، وإلا فما هو المراد من اشتراط الكفاءة وحق الولاية لا لشيء الا لأنه قد يغرر بها ويملك عصمتها من لا يستحقها ولا يصلح لها خادماً فكيف به زوجاً وسيداً . وإذا جاءك الخاطب الراغب في نكاح ابنتك فلا يخدعك حسبه ونسبه ولا يطمعك ماله ونشبه ، فان الكبير والمريض والوضيع الذي لا تحب الفتاة مصاحبته ولا تستطيع معاشرته لا يحل سوقها إليه ولا يجوز أن تحبس عنده فى غير ذنب جنته وربما جرها إلى الفساد وعجز عن القيام بحقها ، وللمرأة فى الاسلام من الحرية والاختيار ما لا يخفى قال الشاعر :

زوجوها من غير ما هي ترضى من غلام غمر أخي سيئات
أنها تبدي رقة وهو يقسو ليس هذا الفتى لتلك الفتاة
الخبيثون للخبيثات فى الشر عة والطيبون للطيبات
أيها المسكتي عن القول ما أنت بذي قدرة على اسكاتي

وحين يتم العقد وتزف العروس إلى بعلها تزود من نصائح أمها ووصايا أبيها بما يثبت قدمها ويرفع فى البيت الجديد مكانتها ويحببها إلى زوجها وأفراد أسرته . قال حكيم لابنته من وصية طويلة (واعلمى يا بنيتي انه لا شيء أصعب على الوالدين من تقصير ابنتهما فى الواجبات المفروضة عليها لزوجها ولأولادها ومنزلها وكيف لا تخجل الوالدة المسكينة التي بعد أن تقضي جل حياتها فى تربية ابنتها ترى جهودها ذهبت أدراج الرياح لأن زوج ابنتها غير راض عنها ، والواجب على الزوجة يا ابنتي أن تحسن القيام بكل مايعهد اليها من الأمور المنزلية لتعيش في منزلها سعيدة متمتعة بالراحة والهناء والسرور والصفاء وانه ليندر وجود زوجة مدبرة لا يحبها زوجها مهما كانت حالته فاذا كان الزوج رديء الأخلاق سيء المعاملة فعليك أن تعتصى بالصبر وأن لا تعتبري نفسك وإياه في المنزل سواء ، ولا تقابلي الشر بالشر بل كوني أنت الزوجة الحكيمة المدبرة الأمينة ، إذ كل عذاب وشقاء يزول إلا توبيخ الضمير وتبكيت الوجدان فانهما لا يزولان ، فاحفظى يا ابنتي وصيتي هذه واعملي بها تنالي رضا ربك وحب زوجك ووالديك والناس أجمعين)
وقالت امرأة عصرية حكيمة لابنتها (واعلمى ان حلاوة الزوجية تنتهى بنهاية الشهر الأول الذي لا تزال فيه الحقائق والأوهام غالبة في تخيلات تلك الصبوة فاذا تمنيت مزيداً من الحلاوة في حياتك الزوجية فعليك

باتباع النصائح والارشادات الآتية :

أولا : اجتهدي أن تنمي فيك السجايا التي حببتك إلى زوجك وجعلتك عزيزة في عينه يوم كنت آنسة كنت جميلة مرتبة باشة مبتهجة مؤانسة غيورة لطيفة مسامحة محبة ، فظلي كذلك وأكثر ، لا تظني انك وقد صرت زوجة يجوز لك أن تغيري مظاهرك السابقة وأن تطمئني في مجلسك أذكري دائماً ان وظيفة الزوجة لا تبتدي وتنتهي في مخدعها .

ثانياً : لا تسلمي لأحد في دعواه انه يفهم زوجك أكثر منك حتى ولا لأمك ولا تصغي للذين ينتقدون زوجك بحجة النصح له والغيرة عليه فانهم أعداؤك .

ثالثاً : إذا عرفت خطأ لزوجك أوشعرت بقصور منه فاياك أن تؤنبيه أو تعظيه لئلا تعتدي على حق هو لأبويه أو لأخيه الأكبر ، واذكري ان سلاح المرأة قاطع وان يكن ضعيفاً وأما سلاح الرجل في يدك فجارح ومؤذ .

رابعاً : تيقني انك لا تقدرين على محاربة الرجل بسلاحه لأنه ثقيل في يدك النضيرة وانك تتعبين جد التعب من حمله ، فاذا كان زوجك مولعاً بالتردد إلى الأندية العمومية والحانات وأردت أن تستبقيه عندك فلا تؤذيه بهجر القول بل اجعلي بيتك الصغير نادياً رحباً له فيه كل ما يسره ويسليه واستنبطي كل يوم مسرة تجتذبينه بها وسيريك الزمان ان أسلحة المرأة الماضية هي الجمال والاستسلام والحلم واللطف والسكينة والاتكال والخجل والحنان والبكاء ولعلك تظنينها أسلحة ضعيفة ولكن أؤكد لك إنها إذا شحذتها الحمية والأمانة كانت ماضية جداً وكافية لأن تدمث الطباع الخشنة وتخفض من غلواء الرجل وتحط من كبريائه حتى

يجثو أمامك خاضعاً .

خامساً : برهني لزوجك بالفعل انك صاحبة النفوذ التام على الخدم وانك تراقبين شئون دارك مراقبة فعلية على وجه لا تبث فى العاقل روح العناد ولا تحمل على العبوسة ولا تضطر المسيطر عليه أن يحني رأسه عن رهبة أو خوف بل عن محبـة واحترام فمعاملتك لخدمك هي عنوان حقيقتك في عيون العالم .

سادساً : لا تعظمى المصائب فى بيتك ولا تستسلمى للحزن والأسف بعد وقوع النازلة يكفى زوجك جهاده خارج المنزل فعليك أن تخلقي التعزية والسرور له داخل البيت فبشي له على أي حال واستقبليه بكل ابتسامة تنبئ عن متسع الأمل وتحيي الرجاء فى النفس وتوقظ الحمية فى أعماق القلب .

سابعاً : تحاشي أن تستطلعى أسرار ماضي زوجك فان ماضيه انقضى ومضى وقد تناساه لأن وقوفك عليه ينغص عيشك ويجعل هناءك شقاء ولا تنسي ان زوجك انسان لا ملاك .

ثامناً : ارفقي بجيب زوجك فلا تستنفدي نقوده لاقتنـاء الحلي والحلل وعليك أن تكتفي بمـا تمس الحاجة إليه من ذلك ، أما ما زاد عنه فيعد اسرافاً لا مسوغ له ، والكساء البسيط بهندام حسن يدل على سلامة ذوق السيدة ونبلها .

تاسعاً : احترمي عواطف بعلك وتلمسي مواضع حاجاته وبادري إلى قضائها قبل أن يطالبك بها ، حببي إلى نفسك خرفته فاذا كان من أهل الآدب مثـلا فرتبي أوراقه ومكتبه ونظفي أقلامه وأدواته ، وإذا كان طبيباً فافعلي ما يرضيه من ذلك وتولي هذا العمل بنفسك لأن الخدم

لم يكافئوا حب سيدهم .

عاشراً : اعتني باختيار صديقاتك فبالنظر اليهن يحكم العالم على مكانتك ولا تطلعي صديقة لك على شيء من دخائل منزلك لا سيما ما يتعلق منها بعيب أو نكبة .

حادي عشر : حينما تجلسين إلى المائدة اجتهدي أن تكوني في أوضح مظاهر البهجة والسرور لأن الوجه العابس يعوق الهضم ويفسده وفساده داع إلى اعتلال الصحة .

ثاني عشر : كوني للزوجات نموذجاً صالحاً فأحبي وشجعي وعزي واحتملي وسامحي واحترمي تري نفسك في السبيل الذي يفضي بالزوجة إلى السعادة والهناء في ظلال الراحة والرخاء) .

وقالت إمرأة تزف ابنتها إلى الملك الحارث بن عمرو الكندي : أي بنية ان الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أو مكرمة نسب لتركت ذلك معك ولكنها تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل . أي بنية لو استغنت ابنة عن زوج لغنى أبويها لكنت أغنى الناس عنه ولكنا خلقنا للرجال كما خلق الرجال لنا . أي بنية إنك فارقت الوطن الذي منه خرجت والعش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه أصبح بملكه إياك ملكا عليك ، فكوني له أمة يكون لك عبداً ، واحفظي له خصالا عشراً يكن لك ذخراً ، أما الأولى والثانية فالصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة فان في القناعة راحة القلب وفي المعاشرة بحسن السمع والطاعة رضا الرب ، وأما الثالثة والرابعة فالتعهد لموضع عينه والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك إلا أطيب ريح ، واعلمي ان الكحل أحسن الحسن الموجود وان الماء أطيب

الطيب المفقود ، وأما الخامسة والسادسة فالتعهد لوقت طعامـه والهدوء عند منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة ، وأما السابعة والثامنة فالاحتفاظ ببيته وماله والرعاية لحشمه وعياله فان حفظ المال من حسن التقدير والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير ، وأما التاسعة والعاشرة فألا تفشي له سراً ولا تعصي له أمراً فانك ان أفشيت له سره لم تأمني غدره وان عصيت أمره أوغرت صدره ، فان الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير ، وأشد ما تكوني له اعظاماً أشد ما يكون لك اكراماً ، وأكثر ما تكونين له موافقة أحسن ما يكون لك مرافقة واعلمي انك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثري هواه على هواك ورضاه على رضاك فيما أحببت أو كرهت ، وأحسن من قال :

دبري البيت وكوني زوجة   تحسن العشرة للزوج الأمين
واحذرى الاسراف في العيش فما   اتخـذ الاسراف غير الغافلين
زوجـة المرء إذا ما اقتصدت   تمنع الزوج سبيـل المسرفين
أدبي الطفل فيغـدو رجلا   وطنيـاً صادق العزم رزين
انمـا المنزل والأم بـه   بين زوج وبنـات وبنين
دولة صغرى ومن أمثالها   يرفع الملك على أسس متين
فاذا ما فسدت دولتهـا   فسد الملك برغم المصلحين

الزواج وعاداته فى مختلف الامم

لا تزال فى الناس جماعات متوحشة تشارك الحيوانات فى المعاملات الجنسية مع عـدم المبالاة ومع فرط الغيرة وأنه لا نظام لهم يتبعونه فى

الزواج والطلاق والاجتماع والافتراق ، وهم فى الحماس والغيرة كالقرود والفيلة ومنهم الذي لا يبالي بما صنعت إمرأته ولا تغضب هي من زوجها إذا أتى غيرهـا مخادنة أو نكاحاً أولئك كالخنـازير فى الخسة والدياثة ، ولكن الدين والمدنية يهذبان الشعوب ويرتقيان بالأمم إلى منتهى الحضارة وغايـة السعادة ، وبالشرائع والقوانين تحفظ الحقوق وتنظم الحيـاة ويظهر الفرق بين الانسان وسائر الحيوانات وحيث لا حياة إلا مع الفوضى أو الصدف المواتية تجد الشبه قوياً بالحياة البهيمية ، فموارد الرزق محدودة والضعيف طعمة للقوي ولا حيـاء ولا إيثار ولا صبر ولا إحتمال . ولا يستطيع الرجل إلا كفالة إمرأة واحدة لقلة ماله وعجزه عن تعدد الزوجات اللاتي لا يقمن عنده إلا فقيرات محتاجات وليس فى وسعه الانفاق عليهن وكسوتهن وقد يكون بعضهم قوياً بنفسه وعشيرته وللنساء فيه رغبة وله من النفوذ والغلبة ما يجمع به العـدد الكثير من الزوجات فيتمتع بهن ويسخرهن فى الأعمال وجمع المال وليس عليه إلا مقارعة الأبطال والاستعداد فى كل وقت للغارة والقتال . . ومن الذين يكتفون بالزوجة الواحدة لصعوبة المعيشة ، القبائل المتوحشة فى البرازيل من أمريكا الجنوبية وكذلك (البوشمان) فى أفريقية يكتفون بالزوجة الواحدة وان كان فى شريعتهم التعدد للعـلة نفسها . وحيث لا مهر للزوجة ولا شيء تأخذه من الزوج فانما تكون للرجل امرأة واحـدة يأخذها بالقوة وفى ذلك من المشقة ما يرضيه ويكون سعيداً إذا حظى بها وتوصل اليها ولو بالخطف والسرقة . وفى قبائل أمريكا على خليج (هودوسون) من لا تكون له المرأة إلا إذا كان صائداً ماهراً قويا مقداماً وإلا فانه يعيش أعزب ولا كرامة له ولا قرة عين . ولما قوي

الدفاع عن المرأة وصارت القبيلة كلها تتعاون مع الواحد منها على الاحتفاظ بحقه والدفاع عن زوجته وحين كانت تباع بالدراهم والدنانير أو يفرض لها المهر مالا يقدمه الرجل أو خدمة يؤديها لقرينته أو لاهلها حينئذ كانت المرأة عزيزة عليه لا يطلقها بحال ولا يفارقها وان حصل منها ما حصل لصعوبة الحصول على غيرها . وهناك أسباب تمنع تعدد الزوجات غير ما ذكرنا وهي طلب النسل وكثرة الأولاد . والمرأة الواحدة للرجل الواحد تنجب فى المجموع من البنين والبنات أكثر مما تنجب النساء المتعددات لرجل واحد . ومنها إذا تساوى الرجال والنساء فان الذي تكون له الزوجات الثلاث أو الأربع مثلا يفرض العزوبة على ثلاثة أو أربعة من الرجال غيره وذلك العدد محسود ممقوت مبغوض فى امته وبين أقرانه وزملائه ويرونه مستأثراً بالمصلحة ومتفضلا على سواه لا لشيء غير القوة والمال . وقد يكون غيره قوياً يقهره وموسراً يستطيع أن يجمع من الزوجات والسبايا عدد أكبر ونساء أكثر من أي انسان غيره . وقد يكون من الأسباب أيضاً الرحمة بالمرأة والاشفاق عليها من منافسة الضرة وشر العداوة الطبيعية بين المتنازعين على المنفعة المشتركة . والمسيحية لا تنص على شيء فى تعدد الزوجات وليس فى الانجيل ما يدل على منعه ولا الاذن فيه إلا أنهم شرعوا لأنفسهم منع التعدد لما كان عند اليهود من الافراط فى ذلك ومنعوا الطلاق لتساهل اليهود فيه وانه يكون عندهم لأتفه سبب وأقل شيء يكرهه الرجل من امرأته فى خلقها أو خلقها . وعند الكلام على المرأة فى مختلف الأمم لعلك قد علمت احتقارها عند المسيحيين وما يجب عليها للرجل وكيف تعامل داخل الكنيسة وخارجها . ولما كان

فى تلاميذ المسيح من الزهد والانقطاع للعبادة كانوا يرون العزوبة والترهب خيراً من اقتران الرجال بالنساء لأنه يشغلهم بالدنيا ويعوقهم عن اللحوق بكلمة الله المسيح بن مريم ولذلك لم يبيحوا للرجل اذا خاف على نفسه العنت إلا امرأة واحدة . قال ولس البطريرك ما معناه : (ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا بغير زواج ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا) ويحرم عندهم الطلاق لما فيه من القطيعة والتفريق بين الزوجين وقد خلقا روحاً واحدة في جسدين اثنين . وسئل عيسى عليه السلام هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ؟ فأجاب وقال لهم بما ذا أوصاكم موسى ؟ فقالوا موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق فتطلق ، فأجاب يسوع وقال لهم (من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما الله من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً إذن ليس يعدان اثنين بل جسداً واحداً فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان) وفي البيت سأله تلاميذه أيضاً عن ذلك فقال لهم (من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني ، وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني) .

واليهودية لا تجعل حداً لتعدد الزوجات والسرارى ولا ترى بأساً أن يكون للواحد المائة والمائتان من النساء وذلك لتكثير النسل وتنمية شعب اسرائيل المضطهدين من آل فرعون بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم . وقد كان لداود وسليمان عليهما السلام من الزوجات عدد كثير فلسليمان ثلثمائة زوجة وسبعمائة سرية وفي الحديث الشريف انه طاف ذات ليلة على مائة امرأة من نسائه لابتغاء

الولد وكان لأبيه قريب من ذلك وإذا صح تفسير النعجة بالمرأة في قوله تعالى (ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب) .

علمت يا سيدتي انه كان لداود تسع وتسعون زوجة ، والحروب التي كانت بين بني اسرائيل والأمم الأخرى وفيها يقل الرجال وتكثر النساء تجعل شريعتهم الموسوية مبيحة للتعدد وأن يجمع الرجل لنفسه ما شاء من النساء ، أما الطلاق ففيما دونوه من شريعتهم وعليه العمل عندهم ان الطلاق يباح للرجل بغير عذر كرغبته في التزوج بأجمل من إمرأته الا أنه لا يحسن بدون عذر والأعذار عندهم راجعة الى سوء خلق في المرأة أو خلق ، فمن الأول : العمش والعور والعرج والحدب والبخر والعقم ، ومن الثاني : الوقاحة والثرثرة والوساخة والشكاسة والعناد والاسراف والنهم والتهمة بالزنا ولو بمجرد الاشاعة . ويقول شيخ المفسرين في زمانه السيد رشيد رضا رحمة الله عليه في ندائه إلى الجنس اللطيف ما نصه : (يقول الباحثون في طبائع البشر وتواريخ البدو والحضر ان تعدد الزوجات في الأقطار الكثيرة التي اعتاده أهلها هو أثر ما كان من استرقاق النساء واتخاذ الأقوياء والأغنياء العدد الكثير منهن للاستمتاع والخدمة والعظمة ، ولذلك كان خاصاً بالملوك والأمراء والرؤساء والأغنياء وكان يكثر في البلاد الحارة التي يفتن أهلها بشهوة الاستمتاع وكثرة التنقل بين الحسان وصغار السن من النساء وكان عند بعضهم استرقاقاً محضاً وثم وجد الجمع بين نكاح الحرائر والاستمتاع بالجواري المملوكات فقدماء اليونان الأثينيين كانوا يبيعون النساء في الأسواق ويبيحون تعدد الزوجات بغير حساب ، وقد أباح الاسبرطيون تعدد الأزواج للمرأة

الواحدة كأهل التبت دون تعدد الزوجات للرجل ، وكان التعدد فاشياً في أوروبا عند «الغولو» في زمن «سيزار» ومعروفاً عند الجرمانيين في زمن «تاسيت» ، وقد فشا في الرومان فعلا لا قانوناً حتى حظره «جوستبان» في قوانينه ولكنه ظل فاشياً بالفعل ، وأباحه بعض البابوات لبعض الملوك بعد الاسلام كشرلمان ملك فرنسا الذي كان معاصراً للخليفتين المهدي والرشيد من العباسيين وقد اختلفت عادات الناس فيه بين الأمم في جميع القارات والجزائر الجنوبية وما شذ عن ذلك إلا أهل أوروبا في القرون الأخيرة ولكنهم استبدلوا بتعدد الزوجات الشرعيات السفاح واتخاذ الأخدان) .

وقال فريد وجدي في دائرة المعارف بعد أن ذكر الأمم التي تقول بتعدد الزوجات وتراه أمراً ضرورياً للاحتفاظ بمصالحها الدينية أو الدنيوية ما نصه :

(وبالاختصار فان تعدد الزوجات أمر شائع عام في كل قارات العالم وعدد المعددين للزوجات يفوق بكثير عدد الموحدين للزوجة وكان هذا يصير لا شك أعم مما هو الآن لو لا ان الأحوال القسرية تحول دونه ودليل ذلك انه توجد أمم كثيرة تحترم مبدأ تعديد الزوجات ولكن يندر فيهم المعدد لفقرهم المدقع كما هو شأن البوشيمان في افريقيا ، ولدى قبائل الجوندس قل أن تجد معدداً للزوجات فان ثمن المرأة لديهم مرتفع جداً وكذلك الحال عند قبائل «الأوستياك والفيداه» بالهند وقد شوهد ان هذا الفقر ليس بمانع للاستراليين والفويجيين من تعديد الزوجات والسبب في ذلك ان المرأة يمكنها هناك أن تغذي نفسها باجتهادها) .

وكيفية الزواج وما يحصل فيه ومعه من العادات والتقاليد الدينية

والقومية في كثير من البلدان والأمم هكذا : خطبة الاكليل عند المسيحيين يقول الكاهن : (اللهم يا من لا تحده الأوهام والألسنة ، ولا يغيره شهر ولا سنة ، ولا يأخذه نوم ولا سنة ، يا من لا يحصر نعمته حاصر ، وكل شاكر عليها قاصر ، أسبغ رحمتك ورضاك على هذين الساجدين أمامك ، المتوسلين برحمتك والطالبين انعامك ، واربطهما برابطة الزواج التي لا تحل ، وانزع من فؤادهما كل شر وغل ، واجعلهما يعيشان طول عمرهما معاً عيشة مرضية هنية ، وأن يكون اتكالهما عليك في كل الأمور ، بعيدين عن الخطيئة والشرور ، ووفق بينهما واحسن إليهما يا أرحم الراحمين . اعلما يا عزيزي انكما قد صرتما واحداً بدل اثنين أو روحاً في جسدين وجمعتكما هذه الزيجة المباركة والاكليل الشريف ، فعلى هذا الرسم وهذه السنة هكذا اتخذ سائر الآباء امرأة واحدة بطهر وعفاف لطلب الذرية وايجاد الخلف فيجب عليكما أن يعرف كل منكما حق الآخر له وعليه ، ويخضع كل منكما لصاحبه) .

وعند اليهود ينعقد الزواج بتسليم الورقة المشتملة على صيغة الزوجية إلى يد الزوجة ولا تتوقف صحة الانعقاد على حصول العقد في محل مخصوص ولا في الأعياد ، وكذلك لا يتوقف على حضور أحد رؤساء الدين الأرباب ويكفي لانعقاد الزواج حضور شاهدين فقط ، ويفرض الحاكم العبري على الزوج أن يدفع المهر لزوجته . وجاء في المادة ٤٠٤ من الأحكام العبرية : يجب على الرجل الذي يطلب الزواج أن يفرض على نفسه للمرأة التي يريد التزوج بها مبلغ مائتي زوزو إذا كانت بكراً أو مائة زوزو إذا كانت ثيباً يؤدى لها إذا مات قبلها أو طلقها ويطلق على هذا الفرض نحلة الزوجية (صداق) والزواج الموافق لشريعتهم هو

المعقود بنية فرض أوجبه الله على الانسان فمن تزوج بغير هذه النية كان كأنه لم يتزوج . ولأهل أوروبا في زواجهم القديم والحديث قوانين مختلفة فمن الناس من يتزوج بلا مال وهم القليلون ، ومنهم من ينظر إلى مال النساء وهم القسم الأعظم ، ثم انهم يشترطون في عقد الزواج كيفية سير الزوجين وتصرفاتهما في مال الزوجة فبعضهم يقبل شرط عدم التدخل في شئونها وبعضهم يشترط اختلاط ماله بمال الزوجة وبعضهم يشترط أو لا يشترط أموراً أخرى . ففي فرنسا وأغلب البلاد الأوروبية ان أموال الزوجين تختلط وان لم يشترطوا ذلك وللزوجة حق إدارة شئونها مع بقاء الأعيان رصداً للزوجية وإذا لم تقبل جعلت أموالها رصداً للزوجية ، فلا حق للزوج في إدارتها وانما عليها استئذانه في تصرفاتها وعليها دفع ثلث دخل أموالها في غلته والربع في النفقات التي ينفقها الزوج علي الأسرة . أما العرب قبل الاسلام فكان النكاح عندهم على سبعة أضرب ومنها الأربعة التي رواها البخارى عن عائشة رضي الله عنها كان النكاح على أربعة أنحاء فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو إبنته فيصدقها ثم ينكحها ، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه فاذا تبين حملها أصابها زوجها إذ أحب وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح يسمى نكاح الاستبضاع ، ونكاح آخر يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم فيصيبونها فاذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم قد عرفتم الذى كان

من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان فتسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل ، ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا ينصبن على أبوابهن الرايات وتكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت جمعوا لها ودعوا لها القافة ثم الحقوا ولدها بالذى يرون فالتاط به ودعي اينه لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم) .

وهناك المخادنة وهي أن تدعو المرأة إلى نفسها الرجال وتستعد لمن أراد منها شيء وهم يقولون ما استتر من ذلك فلا بأس به وما ظهر منه فهو اللوم ، وقد نهى الله عن ذلك بقوله تعالى (ولا متخذات أخدان) وكان لا يفعل هذا كثيراً إلا الاماء ومن لا حسب ولا نسب شريفاً لها وأولئك هن البغايا . والبدل وهو ان ينزل كل من الرجلين عن امرأته للآخر . والمتعة وهي استئجار المرأة للنكاح مدة معلومة بأجر معلوم وكل ذلك باطل في الاسلام . والمتدينون من العرب كانوا يعيبون الجمع بين الأختين وأن يتزوج الرجل بامرأة أبيه ويعدون الظهار طلاقاً ويغتسلون من الجنابة . وإذا حصل النكاح الشريف وخطبت المرأة إلى أبيها ووقع العقد أقاموا الولائم والحفلات ومن عاداتهم يوم الاملاك وهو يوم الخطبة والعقد أن يأخذ أهل الفتاة زينتهم ويجمعون قاصيتهم وينشدون في ساحة دارهم أو ندى عشيرتهم وفي صدورهم ولي صاحبتهم مرتدياً بردي حبرة متألقاً بالخلوق وهنالك يقدم رجال الفتى فيهبطون من أكفائهم ونظرائهم مهبطاً كريماً حتى إذا اطمأن بالقوم المكان أنشأ ولي الزوج يخطب خطبة ريقة مؤنقة يكشف فيها عما تناجوا به وقدموا له ويقدر

فيها المهر عاجله وآجله ثم يجيبهم ولي مخطوبتهم بمثلها يضمنها الرضا بالقوم أخداناً وبصاحبهم صهراً حتى إذا انتهيا نحرت الجزر ومدت المطاعم وسمع الغناء من مجالس النساء وتسمى وليمة ذلك اليوم (بالنقيعة). وإذا دخل العريس بامرأته أقام ليلة الزفاف مهرجاناً عظيما وأولم صبيحة الدخول وليمة كبيرة ودعا اليها الخاصة والعامة فتذبح الذبائح وتمد الموائد ويشربون الخمر ويتبارى الحاضرون فى اللهو واللعب بالميسر وهو القمار ويتسابقون على الخيل ويترامون بالسهام ويرقصون على الآلات المعروفة يومئذ الطبل والمزمار ويشترك فى اللعب الرجال والنساء أحياناً وأحياناً يستقل كل من الجنسين بلعبة دون الآخر (أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) .

الزواج فى الاسلام

ما كتبت لك يا سيدتي الفصل الأول إلا لتعرفي معه عظمة الاسلام ومتانة أحكامه وحسن تعاليمه وكيف يحفظ لكل من الزوج والزوجة الحق الذي له على الآخر وما عليك إلا المقابلة بين هذا وبين ما تقدم وستعلمين انك فى الاسلام عزيزة الجانب وذات حرية وسيادة والحمد لله على نعمة الاسلام وكفى بها من نعمة ، فشريعتنا ترغب فى الزواج وتحث عليه وقد وضعت له الأحكام الكثيرة ومكنت قواعده التي يقوم عليها وجعلت له الأركان والشروط والمستحبات وفرضت على الزوجين حقوقاً مؤكدة إذا قام بها كل منهما كانت الحياة سعيدة والراحة تامة فللرجل البحث قبل كل شيء عن الزوجة الصالحة الملائمة لحاله ديناً وخلقاً وعلماً

ونسباً ومالاً وجمالاً وأن يستعد للقيام بما يجب عليه من النفقة والكسوة والسكن وحسن العشرة والعدل بين زوجاته مع الصبر على مراعاة أحوال النساء وحوائج البيت وأعباء الرئاسة التي تسند إليه ويسأل عنها أمام الله والناس . وإذا رغب فى نكاح إمرأة تعرف إليها وبحث عنها وخطبها إلى نفسها أو إلى وليها وتحرم خطبة الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك ، وكذلك فى عدة المخطوبة المطلقة رجعية كانت أو بائناً ولا بأس بالتعريض للبائن وأن يقول لها ما يدل على رغبته فيها بدون تصريح كأنت جميلة ، ورب راغب فيك ، وإذا خرجت من العدة فاخبريني ، وحكم الجواب كحكم الخطبة فى الجواز وعدمه ، وللمرأة أن تقبل الخاطب أو ترده ولا بأس فى عرض نفسها على من تحب الاتصال به لما عرفته من رجولته وأوصافه الحميدة كما فعلت السيدة خديجة رضي الله عنها وإذا كان أهلها موجودين فلتراعي عواطفهم ولا تخرج عن تقاليدهم المرعية إلا لحاجة شريفة ، والرجل الصالح يعرف حال موليته وأنها محتاجة إلى النكاح فيلتمس لها الكفؤ الكريم ويعرضها على من يثق بدينه وأمانته وحسن قبوله وجميل رده ، وقد عرض الفاروق عمر ابن الخطاب ابنته حفصة بعد مقتل زوجها يوم بدر على أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان رضي الله عنهم وشاء الله أن تكون زوجة لرسوله محمداً ﷺ وإحدى أمهات المؤمنين ، وإذا حضر الخاطب المرضي فى دينه وخلقه فاقبليه لنفسك وكوني جزاك الله خيراً المرأة التي لا تريد إلا صلاح مستقبل بناتها ولا تلتمس لهن إلا الأزواج القادرين على كفالتهن والقائمين بشئونهن على ما أمر الله به من امساك بمعروف أو تسريح باحسان ، ولا تعيني على نفسك الشيطان برد الخاطب الراغب والاعراض

عنه لدناءة حرفته أو لقلة ذات يده فان النبي ﷺ يقول (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الارض وفساد عريض)

وبعض الرجال لا يقوم بالدنيا ولا تساويه زينتها ورب رجل أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره ، ولا يكون الزوج إلا مسلماً حلالا مختاراً والزوجة معلومة معينة أو مسماة ، فالكافر لا تكون تحته المسلمة كتابياً كان أو مشركا ، ولو أسلمت وتأخر زوجها حتى تنقضي عدتها خرجت من عصمته ولا ولاية له عليها ولا بأس أن يتزوج المسلم بالكتابية اليهودية أو النصرانية لأنها ربما دخلت معه فى دينه ، والمحرم بالحج أو العمرة لا يصح منه عقد النكاح لنفسه ولا لغيره لا زوجاً ولا ولياً ، ونكاح المحرمات بالنسب والرضاع والمصاهرة باطل بالاجماع لقوله تعالى : (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا ، حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي فى حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ان الله كان غفوراً رحيما) ومن كانت عنده امرأة حرم عليه نكاح عمتها وخالتها وبنت أخيها وبنت أختها لما فى ذلك من القطيعة وايجاد العداوة بين الأقارب والأرحام ، وفى الحديث عن النبي ﷺ (لا تنكح المرأة على عمتها ولا العمة على بنت أخيها ولا المرأة على خالتها ولا الخالة على بنت أختها لا الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى انكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامهن) وحتى المطلقة الرجعية لا يحل نكاح

أختها للمطلق إلا بانقضاء عدتها وكذلك من كانت له أربع زوجات وطلق احداهن لا تحل له الخامسة إلا بانقضاء عدة المطلقة ، وإذا علمت بشيء من الرضاع بينك وبين أحد ولا تدرين ما يترتب على ذلك من الأحكام فلا يحل نكاحه حتى تتيقني حل ذلك ولا بد في العقد من صيغة الايجاب والقبول فيقول الولي زوجتك مخطوبتك فلانة بنت فلان على ما أمر الله بـه من امساك بمعروف أو تسريح باحسان ويستحب ذكر المهر وكونه حالا أو مؤجلا ، ويقول الزوج قبلت زواجهـا لنفسي على ما ذكر وبما ذكر ويدعو الحاضرون لهم بالبركة والخير الدائم ، ويستحب أن يقول الزوج أو المأذون الذي يعقـد النكاح بينهما قبل ذلك : بسم الله والحمد لله نحمده ونستعينه ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هـادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله ، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً) ، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ، (يا أيهـا الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) ، أقول قولي هـذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه . ويصح جعل المهر كثيراً أو قليـلا ولا ينبغي أن يزيد على خمسمائة درهم وان سكتوا عنه حال العقد لزم للمرأة مهر أمثالها من نساء عصبتها وان لم تكن لها عصبة فكأمها وخالاتها ولهـا المطالبة به وحبس نفسها قبل الدخول إلا إذا شرطوه مؤجلا ، ولو طلقها قبل أن يبني بها ويدخل عليها استحقت عليه نصف المهر المسمى وإلا فلها المتعـة لقوله

تعالى (لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن) «الآية» وبمجرد العقد تتم الزوجية ويرث كل منهما صاحبه إذا مات ولها عليه المهر كاملا وتلزمه النفقة بالتمكين من نفسها ولا نكاح الا بولي وشاهدين وأيما امرأة نكحت نفسها فهي زانية ، وعند أبي حنيفة رحمه الله لا بأس أن تلي المرأة نكاح نفسها وعليه جماعة من أهل العلم ، والولي الذي هو عندنا من أركان النكاح لا بد فيه من الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورة والعدالة ويعتبر هـذا فى الشهود أيضاً وولي الحرة أبوها ثم جدها ثم عصباتها الوارثون الأخ الشقيق ثم الأخ لأب ثم ابن الأخ الشقيق ثم ابن الأخ لأب ثم العم الشقيق ثم العم لأب ثم ابن العم الشقيق ثم ابن العم لأب ثم الحاكم ولي من لا ولي لها وتنتقل الولاية إلى الأبعد ان كان القريب كافراً أو فاسقاً أو صبياً أو مجنوناً أو رقيقاً وإلى الحاكم إذا فقد الولي أو انعدم أو امتنع بغير حق عن النكاح أو كان محرماً بنسك أو مسافراً أو محبوساً لا يسمح له بالخروج ولا يحل للولي أن يأخذ شيئاً لنفسه من صداق المرأة أو الدفع الذي يجيء به الزوج قبل العقد إلا ما طابت به النفس له من الزوج أو الزوجة وللأب والجد أن يجبر البكر الصغيرة بالاجماع على النكاح من الكفؤ الموسر بصداقها من نقد البلد إذا لم تكن بينها وبينه عداوة ظاهرة ولا باطنة ، والثيب الصغيرة لا تنكح إلا بعد بلوغها واستئذانها وقال جماعة من العلماء بجواز ذلك فى حق اليتيمة المحتاجة إلى من يقوم بأمرها والانفاق عليها ، أما البالغة الثيب فيجب استئذانها مطلقاً والبكر الكبيرة عندنا تجبر كالصغيرة بشروط الاجبار المذكورة والمراد بالثيب من زالت بكارتها بوطء حلال أو حرام قال رسول الله ﷺ (الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن فى نفسها

وأذنها صماتها) وفى رواية (والبكر يستأمرها أبوهـا) وفى رواية أخرى (واليتيمة تستأذن فى نفسها) وقال عبدالله بن بريدة الصحابي رضي الله عنه جاءت فتـاة إلى رسول الله ﷺ فقالت ان أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خبيثته قال فجعل الأمر إليهـا فقالت قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء :

فلينظر الآبـاء كيـ ـف يكون تزويج البنات
يستأذنون البكر فى التز ويج مثـل الثيبات
حتى يعشن مـع الرجا ل منعمـات راضيات
طعم الحيـاة مع السجو ن أمر من طعم الممـات

والسفيه المحجور عليه لا يصح نكاحه إلا باذن وليه والصبي الصغير الذي لا يميز لا يزوجه أبوه ولا غيره فان كان مميزاً وله حاجة إلى المرأة زوجه أبوه وجده فقط وإياك وما يقع كثيراً بين الأهل والذين لا يقدرون العواقب فيزوجون أولادهم صغاراً فانه لا يعود غالبـاً على الزوجين بخير ولئن أباحه الشارع فلعلة شريفة لا لمجرد العبث أو الاغراض السيئة ، وكم رأينا من صبي زوجه أبوه وساءت الحالة بين المتصاهرين فتعذر الطلاق وأجلوه إلى ما بعد البلوغ ، والصغيرة التي لا تطيق النكاح ولا تحتمل الوطء يكون أبوها جانياً عليها إذا دفعها إلى رجل يعبث بها ويكلفها ما لا تحتمـل ، وكثيراً ما تصاب المنكوحة صغيرة بانفضاض الرحم واسقاط الأجنة وبأشياء أخرى يعرفهـا النساء من النساء ولذلك تمنع بعض الحكومات الاسلاميـة نكاح البنت إلا فى السادسة عشر من عمرها ، وكره بعض الناس أن تنكح المرأة فى أقاربها لقـلة ميل الرجل إلى ابنة عمه أو خاله وذكروا ان الولد بينهما يكون ضعيف البنية ونحيف

الجسم والله أعلم . والحقيقة انه لا بأس به إذا كانت الرغبة موجودة وسلامة العاقبة مضمونة أو مظنونة ، إلا انه ويا للأسف إذا دعت الحاجة إلى الطلاق وقع فى الأسرة ما لا يخفى من الاختلاق والشقاق ، وربما سبب ذلك الهجر والقطيعة فى عائلة لا تعرف أسرار الشريعة ولا حكمة الاجتماع والافتراق ، وليس من الشروط تسجيل العقد عند القاضي المأذون أو فى دفاتر الحكومة إلا انه يحسن لما فيه من الفوائد ودرء المفاسد ، وبالجملة فقد ذكر الفقهاء من أحكام النكاح في المبسوط والمختصر من مؤلفاتهم ما لا يؤتي عليه ولا يمكن في كتابك «أستاذ المرأة» جمعه كله ولا جله ، ولعلك مما ذكرته لك بالايجاز والاختصار قد عرفت الأهم من الأحكام المرعية قبل العقد وفيه وبعده ، وتستحب وليمة العرس صبيحة الدخول بما تيسر لقوله ﷺ (أولم ولو بشاة) ومن قدر على خير من ذلك فليفعل ولا يقصد إلا السنة وإدخال السرور على الأهل والجيران والأصدقاء . والفخر والمباهاة لا يحلان شرعاً ولا يعودان على الناس إلا بالويل والثبور ، وشر الطعام طعام الولائم يدعى اليه الأغنياء ويرد عنه الفقراء ومن دعي فليجب واذا اجتمع داعيان أو أكثر فالحق للأول ، ومن عجز عن الكثير أولم باليسير لأن النبي ﷺ ما أولم على صفية بنت حيي الا بالتمر والسويق والأقط وربما أولم على بعض نسائه بمدين من شعير وقد ذكرت فى كتابي «اصلاح المجتمع» كثيراً من العادات المنكرة وما يقع فى الزواج والمخادر من الأمور التي لا تحل بين الرجال والنساء وتقدم في المآتم والأعراس من هذا الكتاب ما فيه غنية وكفاية .

والحر من خرق العادات منتهجاً نهج الصواب ولو ضد الجماعات

ومن اذا خذل الناس الحقيقة عن ... جهل أقام لها فى الناس رايات
ولم يخف فى اتباع الحق لائمة ... ولو أتته بحد المشرفيات
وعامل الناس بالانصاف مدرعاً ... ثوب الأخوة من نسج المساواة
أغبى البرية أرقاهم لعادته ... وأعقل النـاس خراق لعادات

وإذا تزوجت أنت فبالبركة وبالرفاء والبنين ولا يصرفنك السرور عن طاعة الله واقام الصلاة أيام العرس كما هي العـادة عندنا بل انه يسن ليلة الزفاف أن تصلي ركعتين وإذا منعك الحياء من التلفظ فسراً تقولين أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، واسألي من الله أن يديم عليـك النعمة وأن يجعل الزواج سعيداً والزوج طيباً صالحاً ، وما يقدم إليك حينئذ فهو لك وليس من الصداق إلا أن تكون جرت به العادة فى أهلك وبلادك ومثله المأخوذ من أمك وأبيك وما يهدى إليك قبل الزفاف ويوم الصبحية من الزوج أو من غيره .

وإليك ما يجب لك وعليـك بعد الزواج من المعاشرة والمباشرة والقسمة والتسوية فى الطاعة ومع النشوز والله تعالى يقول : (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذات أخـدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

واجبات الزوجين

أباح الله للحر أن يجمع بين أربع زوجات في عصمة نكاحه وقال تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) والغرض من ذلك تكثير النسل وعفة الرجل الذي قد تشيخ عنده المرأة الواحدة أو تمرض وتصبح غير صالحة للوطء والجماع وتقل رغبته فيها وتحرم مباشرتها في الحيض والنفاس ، والحامل والمرضع غالباً ما تتضرر بالمعاملة الجنسية ، وعند الحروب وتفشي الأمراض وحين يقل الرجال وتكثر النساء لا ينبغي الاقتصار على واحدة مع القدرة على كفالة غيرها والنساء المحتاجات إلى النكاح من الثيبات والأبكار لا ينتظر منهن إلا البغاء وفساد الأخلاق إذا لم يكن تحت الرجال للاحصان والانفاق عليهن وربما وجد الأعزب فيهن ما يغنيه عن الزواج ويريحه من تكاليفه الشاقة ولذلك أذن الله في تعدد الزوجات ، ولحكمة إلهية أذن فيما دون الخمس وعلله الباحثون عن أسرار الشريعة بعلل مسلمة وغير مسلمة ، ومن كانت له زوجتان فأكثر وجب عليه القسم بينهن بالسوية لا يفضل واحدة على الأخرى في طعام ولا شراب ولا لباس ولا مسكن ولا غير ذلك مما يقدر عليه في العرف والعادة ، والحب والرغبة وميل النفس إلى بعضهن في المباشرة لا يحرم ولا يأثم به الرجل ولكنه يتكتم به ويخفيه حتى لا يغضب به الأخرى ويثير به حفيظتها (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان

تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيما) وقال بعض علماء أوروبا ان تعدد الزوجات من جملة أسباب انتشار الاسلام فى افريقيا وغيرها وكثرة المسلمين ، ومهما يكن من ضرر تعدد الزوجات فهو لا يبلغ ضرر قلة النسل الذي منيت به فرنسا بانتشار الزنا وقلة الزواج والحروب التي طحنت رجالها طحناً وجعلت من نسائها البغايا والخادمات في البيوت والمعامل والمستشفيات ولو لا العلاج الطبي لاسقاط الأجنة وما حدث أخيراً في الملاجيء داخل الكنائس وخارجها لتربية اللقطاء وأبناء الزنا لكانت أوروبا بأسرها تعاني حالة هي أتعس وأشقى من حالتها اليوم ، ومع ان الزواج واجب أو مستحب فى هذه الشريعة فقد جعلت له حداً ولم تأذن فيه للناس كما يريدون بل جعلت له شروطاً تلتزم وحدوداً لا تتعدى . وحيث كان للنساء حقوق كثيرة لا يعترف بها لهن دين ولا قانون كالاسلام ، فانه لا يبيح التعدد وأن يجمع الرجل بين أربع زوجات فى عقد واحد إلا مع العدل والتسوية بينهن فى النفقة والكسوة والمسكن والمبيت . ويحذر من تفضيل زوجة على أخرى فى شيء من ذلك . ويحرم أن يجمع الرجل بين زوجتين فأكثر إذا كان عاجزاً عن العدل بينهن وكان النبي ﷺ يعدل بين نسائه فى كل شيء ولا يغضب من غيرة بعضهن على بعض وحبه لعائشة أكثر وإذا قسم قال اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك . وشدد فى عدم المساواة بين النساء فقال : (من كانت له امرأتان يميل لاحداهما على الاخرى جاء يوم القيامة يجر أحد شقيه ساقطاً أو مائلا) ولو تزوج رجل بجديدة خصها بسبع ليال ان كانت بكراً أو بثلاث ليال ان كانت ثيباً لايناسها وتمرينها على معاشرته . ولو سافر وله زوجتان لم يأخذ احداهما

معه إلا بالقرعة . ولا يدخل نهاراً ولا ليلا على غير المقسوم لها إلا إذا دعته الى ذلك ضرورة مرض أو أمر حادث ولا تجوز له مغاضبة امرأة من نسائه لاسقاط حقها واتخاذ ذلك ذريعة الى هجرها والاعراض عنها. وبما أن الزواج رباط وثيق بين الرجل والمرأة والشريعة تريد به الدوام والبقاء ولا يتيسر ذلك الدوام إلا بقيام كل واحد من الزوجين بحقوق الآخر قياماً يكفل دوام الألفة واستتباب الطمأنينة وشمول المحبة . وقد نظمت هذه الشريعة علاقة الزوجين نظاماً دقيقاً وبينت ما يجب على كل واحد منهما للآخر فلا بد من أن نجمل القول فى بيان ذلك .

فللرجل على زوجته السمع والطاعة وان تحفظه فى نفسها وبيته وماله إذا غاب عنها ، وأن تبذل قصارى جهدها فى ارضائه وادخال السرور عليه إذا كان حاضراً ، وتربي له الابناء وتخدمه خدمة نساء الصحابة والسلف الأول لأزواجهن وذلك يختلف باختلاف الزمان والمكان والعادات والتقاليد ، ولا تخرج من بيته إلا باذنه ولا توطىء فراشه أحداً إلا باذنه ولا ترفع صوتها عليه استخفافاً به وتطاولا عليه ، ولا تكلفه من الثياب والمصاغ ما لا طاقة له به ولا تفتخر بشيء من نعم الله عليها كالمال أو الجمال أو عزة الآباء والعشيرة فانه يؤذيه كما قدمنا .

ولا يجب على الرجل مراعاة زوجته فى كل حال ولا أن يكون عند ارادتها فى كل شيء فانه يعلم ما لا تعلم ويدرك ما لا تدرك . والنساء ناقصات عقل ودين غالباً ، والنادر لا حكم له ، ولها عليه جميل العناية وحسن الرعاية . وان لا يتخذها متاعاً ينتفع به ثم ينبذه متى بلي أو استغنى عنه وينفق عليها نفقة تتناسب مع حاله إيساراً وإعساراً فيطعمها مما يطعم ويلبسها مما يلبس امثالها فى الشتاء والصيف . ولا يمنعها الخروج

لزيارة أهلها وأقاربها على تفصيل فى ذلك . فلو مرض أبوها كان لهـا الحق فى زيارته كل أسبوع . ولو مرض أحد محارمها فلها زيارته فى كل شهر وليس لها المبيت عندهم إلا باذن زوجها . ولو مرض أحد أبويها وليس له من يقوم بشأنه غيرها كان لها البقاء عنده وتمريضه حتى يموت أو يشفى رضي بذلك زوجهـا أم لم يرض . ولا يجب عليها البقـاء فى دار زوجها إلا اذا كانت الدار صالحة للسكنى مستكملة لجميع ما تحتاج اليه فى معيشتها وبشرط أن يكون زوجها مأموناً عليهـا . ولا تجب عليها الطاعة لزوجها إلا أن كانت أوامره شرعية وان يكون قائماً بما عليه من الحقوق لها . ومتى كان تقصير من المرأة فيما عليهـا فهى ناشزة تخوف بالله وتذكر بالآيات والأحاديث الدالة على وجوب طاعتها لزوجها فان انتهت فذاك وإلا هجرت فى فراشها حتى تعاود الطاعة فان أصرت جاز ضربها للتأديب فى غير وجهها مع ضمان ما يحـدث من أثر الضرب . وتسقط نفقتهـا بعد ذلك وجميع حقوقها الزوجيـة ما دامت مصرة على النشوز (واللاتي تخـافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيـلا) ولو قصر الرجل فيما عليه خوف بالله وذكر بقوله تعالى : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) . وقوله تعالى : (ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) . فان أصر على عناده وظلم امرأته أدبه الحاكم بالحبس أو التعزير او الخسارة المالية وأحيـاناً يفرق بينهما ويحمل الرجل على الطلاق أو يطلق عنه الحاكم كما في الايلاء . قال الله تعالى : (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم ، وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم) . واذا توترت العـلاقات بين الزوجين وخيف

من اضرار احدهما بالآخر وجب العمل بقول الله تعالى : (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليماً خبيرا) .

وان لم يجد ذلك شيئاً فقد جعل الله من ذلك فرجاً ومخرجا بالطلاق الذي لو لاه لما عاش بعض النساء الضعيفات مع الرجال الظالمة إلا عيشة المحكوم عليه بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة ولعاش بعض الرجال مع زوجته الموجاء عيشة من تستعمر بلاده وعليه أن يدفع نفقات الاحتلال .

أحكام النفقة

ولئلا تطالبي يا سيدتي بأكثر مما يجب لك في النفقة وتوابعها أبين لك الواجب شرعاً على الزوج موسراً ومعسراً ومتوسطاً وذلك في الطعام والادام والكسوة والمسكن والفراش والخادم والدهن وما يتنظف به وما لا بد منه للطحن والطبخ من الأجرة والحطب وغير ذلك فالموسر يجب عليه لزوجته الطائمة الممكنة من نفسها لكل يوم مدان من غالب قوت البلد وعلى المعسر نصف ذلك ، والمتوسط بين ذلك ، وحيث تعددت أنواع القوت فبحسب حاله ولا عبرة بشرف المرأة وخستها ولا بما كانت تأكله في بيت أهلها وليس له أن يكلفها بالأكل معه إلا إذا رضيت به ويسقط حقها المعين ولها أن تأخذ النفقة دقيقاً وخبزاً وحباً ودراهم وهي لكل يوم بطلوع شمسه وما تأخر منها فهو في ذمته ولا تطالب المرأة بنفقة المستقبل ولو كان في الأمر ما كان ، والأدم من الموجود في البلد لحماً وسمكاً وسمناً وزيتاً وخلا وجبناً وغيره ويختلف باختلاف الفصول

وأحوال الآكلين والصواب أن يحكم العرف بتقديره في الكم والكيف وتجب الفاكهة في أيامها مع الخضروات والبهارات اللازمة لاصلاح الأدام من البصل والفلفل والبطاطس والطماطيس ونحو ذلك ، والكسوة بقدر الكفاية ومع العادة المتبعة في أمثالها ، وبحسب الحر والبرد وما تحتاج اليه الطويلة والقصيرة والسمينة والنحيفة من القمص والسراويلات والأحذية والأزر والخمر من الحرير والكتان والصوف والقطن مع أجرة الخياطة ، وليس عليه لها البرقع والجلباب إلا ان اشترط أو جرت به العادة ، ومثل الكسوة الفراش من السجاد والمشمع والملبد والجلود والحصير وما يكون للنوم وما يخصص منه للجلوس عليه فوق الأسرة وعلى الأرض وحتى الوسائد والأغطية المحتاج إليها خفيفة وغليظة محشوة بالليف والقطن والديباج ، والدهن وآلة التنظيف كذلك وما تغسل به الثياب من الصابون ونحوه وما يغسل به الرأس من السدر والطين والرجوع فى المقدار إلى العادة ولها المشط ومن الدهن ما يعتاد من السمسم والنارجيل والأدهان المعروفة اليوم مطيبة وغير مطيبة والكحل والخضاب والأدوية لا تجب على الزوج إلا أن يأتي بها فيجب إستعمالها ، والمسكن يكون لائقاً بها مملوكاً أو مستأجراً أو مستعاراً ولا يجب عليها البقاء مع ضرتها فى بيت واحد إلا إذا تعددت مرافقه وأفردت كل واحدة بجانب ، وإذا رضى النسوة بمكان واحد يسكن فيه جميعاً فلا بأس ولكنه لا ينبغى لما فيه من المشقة ولما يقع من الرجل مع بعضهن من المعاشرة التي تغضب الأخريات وتنقلب الجنة معه جحيماً مستعرة ، والتي لا تخدم نفسها تجب لها الخادمة حرة أو أمة مع الانفاق على خادمتها وليس للمرتفع قدرها فى بيت الزوج خادمة ولا خادم إلا ان

أعتادته فى بيت أبيها وإن كان زوجها معسراً أو مملوكاً ، ولو قالت أنا أخدم نفسي وأريد أجرة الخادمـة ونفقتها لم يلزمه ذلك ، ولو قال أنا أخدمها بنفسي وأقوم لها بما يلزم فليس عليها إجابته والرضا بخدمته ، وعليه مع جميع ما تقدم آلة الطبخ والأكل والشرب كالكوز والجرة والقدر والمغرفة والقصعة ونحوها ويكفي من خشب أو حجر أو خزف ويلزمه المـاء للشرب والطبخ ومؤنة الحمل إليهـا والحطب والفحم فى البلاد الباردة التي لا يستغنى فيها بالثياب عن الوقود والتدفئة ، وحيث يعتادون إستعمال الغاز فى الوقود يجب لها ذلك .

ولو قترت المرأة على نفسها فى الانفـاق وقـد أخذت ما يجب لهـا وتضررت بالتقتير ، فللزوج منعها وله الحق أن يمنعها من التصدق بنفقتها والتصرف فيهـا ما دام وهي محتاجة إليها سواء أرادت بذلك وجه الله أو النكاية بزوجها . والصغيرة التى لا تحتمل الوطء والممتنعة من التمكين مع القدرة عليه ، والناشزة الخارجة عن الطاعة ولو بعض النهار لا يجب لها شيء مما ذكر لفوات الحق الذي يريده الزوج منهـا ، ومن أعسر بالنفقة أمهل إلى ثلاث أيام فان جاء بما عليه وإلا فان لها الرفع إلى الحاكم والحاكم يفسخ النكاح .

فاتقي الله يا سيدتي وتأملي هـذه الواجبات الكثيرة التي جعلها الله لك على الرجل فانها كثيرة ومرهقة ولا يقوم بها ويؤديها إلا من وفقه الله ، واعلمي بأن الذي عليك من حقوق الزوجية كثيراً لا تستطيعين القيام به إلا مع الالفة وحسن العشرة ومسامحـة كل منكما لصاحبه فيما عجز عنه أو قصر فيه .

واليـك من الأحاديث النبوية ما تعرفين به الحقوق المشتركة بين

الزوجين قال رسول الله ﷺ : (لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقاً رضي منها آخر) . وقال ﷺ : (أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم) . وقال ﷺ : (استوصوا بالنساء خيراً فانما هن عندكم عوان ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان لكم من نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً . فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون . ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن) . وقال رجل يا رسول الله ما حق المرأة على زوجها . قال : (تطعمها إذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت) . وقال ﷺ : (أنفق على عيالك من طولك ولا ترفع عنهم عصاك أدباً وأخفهم في الله) . وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح) . وقال أيضاً : (لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها) . وقال أيضاً : (أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة) . والله تعالى يقول : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ان الله كان علياً كبيرا) .

الفرقة والطلاق

إذا لزم الحال أن يفرق بين الرجل والمرأة المنكوحة قبل الدخول بها أو بعده جاز ذلك بالفسخ أو الطلاق ويكون العقد باطلا إذا اختل فيه شرط أو ركن ولو مع الجهل به . ومن تزوج بامرأة لا تحل له من النسب أو الرضاع أو المصاهرة فالعقد باطل ولها عليه مهر المثل ان كان قد دخل بها . وإذا أسلم أحد الزوجين وتأخر الآخر أو ارتد أحدهما وانقضت العدة فرق بينهما . ومن وطأ زوجة أبيه أو زوجة ابنه والعياذ بالله بطل النكاح ولو كان الوطء بشبهة كأن ظنها زوجته وبان خلاف ذلك ، وعليه لزوج المرأة المهر كاملا لابطال حقه وتفويته لمنفعته التي لا تحل مع شيء من ذلك . ولا فرق بين الزنا وغيره فى تحريم زوجات الأصول والفروع إلا عند الشافعية . وقال السادة الحنفية من باشر بشهوة موطوءة أبيه أو ابنه بطل نكاحها ولو بالمعانقة أو التقبيل وفى جميع ما ذكرناه لا يحتاج إلى الحاكم فى فسخ النكاح .

أما الفسخ بالايلاء ومع الاعسار بالنفقة أو الكسوة أو المهر فلا بد من صدوره عن الحاكم ، وكذلك عند الفسخ بالعيب الذي يرد به كل من الزوجين وهو الجنون والجذام والبرص فيهما والجب والعنة فى الرجل والرتق والقرن فى المرأة سواء كان قبل العقد أو بعده .

ويفرق بين الفسخ والطلاق من حيث انه لا يحسب فيه العدد ولا يشترط بعده أن تنكح المرأة زوجاً آخر وان تكرر مراراً ، ومن فارق قبل الوطء بالفسخ فلا شيء عليه وبالطلاق تلزمه المتعة أو نصف المسمى

ومع الطلاق الرجعي تجب النفقة للمرأة حتى تنتهي من العدة ولا شيء لها مع الفسخ وان كانت حاملا ، ولو ظهر العيب بعد الوطء وطلق الرجل لزمه المهر المسمى وان فسخ فلا شيء عليه للمرأة إلا مهر أمثالها ، وإذا زوج الولي الشرعي صغيراً أو صغيرة واختار بعد البلوغ الفسخ أجيب إلى ذلك عند الحنفية وكذلك لو زوجت المرأة نفسها من غير كفؤ وطلب وليها فسخ النكاح فله ذلك من طريق الحاكم فى المسألتين .

أما الطلاق وهو أبغض الحلال إلى الله تعالى فانه جائز فى الاسلام لأنه خير حل لمشكلة الزوجية المنغصة وقطع دابر النزاع بينهما وسوء التفاهم بين قبيلتيهما (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيما) ولا ينبغى الافراط فيه والمسارعة إليه إلا لحاجة وقد عابه علي ابن أبي طالب على ولده الحسن رضي الله عنهما وقال يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فانه رجل مطلاق .

وفى التوراة مشروعية الطلاق معللة ببعض الشرور التي تقتضيه ، وعند اليهود انه يباح للرجل بغير عذر كرغبته فى التزوج بأجمل من امرأته إلا انه لا يحسن بدون عذر ، ومن نوى منهم الطلاق وقع عليه وان لم يتلفظ به ويجب عندهم طلاق من مكثت عشر سنين تحت رجل لا تحمل له .

ولا طلاق عند المسيحيين إلا لمن ظهر منها الزنا وهو مشروع فى كثير من الأديان والقوانين السماوية والبشرية وهو فى الاسلام لا يكون إلا بيد الرجل وليس للمرأة فيه شيء لحرصه على عصمة النكاح واستبقاء ما دفعه فى سبيل التزوج بها وهو أكثر منها تحملا للضيم وأشد اعصاباً منها عند الغضب ولو كان بيدها شيء من ذلك لعمدت إليه عند كل

مخاصمة ولأتفه الأسباب وقـد حذرها النبي ﷺ أن تطلب الطلاق فى غير حاجة بقوله (أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة) .

وقد أفرط الأوربيون فى جعله من حقوق المرأة والرجل وفتحوا على المحاكم القانونية أبواباً من الشر لا يغلقها إلا الأخذ بالقوانين الاسلامية التي فصلت أحكام الطلاق وجعلته من خير ما تحفظ به الحقوق وتصلح به الأحوال الشخصيـة . وأعجب ما يروى فى ذلك ان امرأة طلقت زوجها بحجة استبقائه لحيته بعـد الزواج لأنه رآها من مكملات الرجولة واستقذرتها امرأته وقد حكم لها بذلك ، وأخرى بحجة ان زوجها لا يخصص بدلة للسهرة غير بدلاته العادية .

فشريعتنا التي تبيح الطلاق مع كراهته قد حددت له حدوداً وجعلت له أحكاما كثيرة فهو لا يكون إلا بألفاظ مخصوصة : الطلاق ، والسراح والمفارقة ، والخلع ، والمفاداة . وكل لفظ احتمل الطلاق ، ومعنى آخر فهو كناية ولا يقع إلا بنية الرجل وكما قصد من المعـاني المختلفة : كأنت خارجة ، واذهبي حيث تريدين ، والحقي بأهلك ، وأمرك فى يدك ، وحبلك على غاربك ، ونحو ذلك .

ولا يقع الطلاق من صبي ولا مجنون ولا مكره عليه بعقوبة قتل أو ضرب أو حبس أو غيره مع العجز عن الدفع أو التخلص بأيـة وسيلة ويحرم فى الحيض وفى طهر جامعها فيه ، وهو نافذ عندنا مع اثم المطلق ويملك الحر على زوجته ثلاث تطليقات والعبـد طلقتان . وتقع عندنا الثلاث مفرقة أو مجتمعة على السواء . وكثير من العلماء لا يوقع الثلاث إلا مفرقة ، وفى المسألة خلاف بين الفقهاء والمحدثين . ولا تحل المطلقة

ثلاثاً إلا بعد أن تنقضي عدتها وينكحها زوج آخر ويدخل بها ويطلقها وتنقضي منه عدتها ، وحينئذ فللأول أن ينكحها بعقد جديد وصداق جديد . قال الله تعالى (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) . أما المطلقة بواحدة أو اثنتين فتجوز مراجعتها في العدة بدون شيء ، وبعد العدة لا بد من عقد جديد

وفي الاشهاد على الطلاق والمراجعة خلاف معروف ، وللرجعية النفقة والسكنى وليس للبائن شيء إلا السكنى عند الشافعية ما لم تكن حاملا . ويصح تعليق الطلاق بجائز الوقوع كدخول الدار ومجيء الشهر ومن حلف بالطلاق فلا شيء عليه ولا يقع اليمين إلا بالله ، أما الذي يقول ان فعلت هذا أو تركت هذا فسلي الطلاق فيصح قوله ويكون طلاقه معلقاً بفعله وتركه . ومسائل الطلاق أكثر من أن تجمع في مكان واحد من هذا الكتاب . ولا يهمني معك يا سيدتي المسلمة إلا وصيتي لك بالصبر والاحتمال وألا تكوني المرأة الذواقة أو الشريرة التي لا يصبر عليها الرجال ولا يطيقون معاشرتها ، ولك الويل ان طلقت من أبي العيال وهم صغار وأنت فقيرة ولا يحكم لك بالحضانة إلا ما دمت أيما وقادرة على التربية الحسنة والكفالة التامة ، فاصبري وصابري ورابطي واتقي الله لعلك تفلحين . ولله در امرأة طلقها زوجها فدعته وقالت له : بالله عليك ما ذا كان مني ولأي شيء جنيت علي وأبحت للناس أن يتهموني معك بسوء العشرة ؟.. فبكى الرجل وخرج يقول (سبق السيف العذل) ولا قوة إلا بالله ، وأنا والله أعرف الاثنين وحاضر على ما كان بينهما

فظلت وهي باكية تنادي   بصوت منه ترتجف القلوب

لما ذا يا نجيب صرمت حبلي ... وهل أذنبت عنـدك يا نجيب
وما لك قد جفوت جفاء قال ... وصرت إذا دعوتك لا تجيب
أين ذنبي إلي فـدتك نفسي ... فاني عنـه بعدئذ أتوب
أما عاهدتني بالله أن لا ... يفرق بيننـا إلا شعوب
لئن فـارقتني وصددت عني ... فقلبي لا يفـارقه الوجيب
فأطرق رأسه خجلا وأغضى ... وقال ودمع عينيـه سكوب
نجيبـة اقصري عني فاني ... كفاني من لظى الندم اللهيب
وما والله هجرك باختيـاري ... ولكن هكذا جرت الخطوب
فليس يزول حبك من فؤادي ... وليس العيش دونك لي يطيب
ولا أسلو هواك وكيف أسلو ... هوى كالروح في له دبيب

ويا قاتل الله الذي يمسك امرأته ضراراً ليعتدي عليهـا وما له بها حاجة أو يهجرها لغير شيء ويسافر إلى بلاد بعيدة يتزوج فيها ويقيم بها وقـد نسي من وراءه وضيع أهله (وكفى بالمرء اثماً أن يضيع من يعول) وموجز القول يا سيدتي انك حمل ثقيل على ظهر الرجل والحق الذي لك عظيم وأنت مسئولة بين يدي الله عما عليك وليس بقليـل ما عليك والحياة كلها معركة هجوم ودفاع والناس فيها غالب ومغلوب فكوني أمة الله المظلومة وأجرك على الله ولا تكوني الظالمة (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

العدة والاحداد

إذا طلقت المرأة طلاقاً بائناً أو رجعياً أو فسخ النكاح بعد الدخول

بها وجبت عليها العدة لبراءة رحمها وامتثالا لأمر الله الذي شرع العدة، ولا يعلم المراد منها بتفصيل أحكامها إلا هو تعالى . قال العلماء وتعتد المطلقة الموطوءة فى ذلك العقد وان كان زوجها صبياً أو غائباً منذ عهد بعيد ، والزانية لا تعتد عند الشافعية مطلقاً ، ومن تزوج بامرأة وطلقها قبل المسيس فلا عدة له عليها لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) «الآية» . والموطوءة بشبهة أو غلطاً تعتد ولا يباشرها زوجها الحقيقى إلا بعد نهاية العدة وهي فى حق من تحيض ثلاثة أطهار أو ثلاث حيضات للحرة وتعتد الأمة بقرئين لقوله تعالى : (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) «الآية» وفى الشبهة تقع براءة الرحم بحيضة واحدة وإذا انقطع حيضها قبل الطلاق أو بعده وهي فى أول العمر فانها تنتظر حتى تكون آيسة ثم تعتد بثلاثة أشهر . وقال كثير من أهل العلم تعتد بسنة واحدة فقط وعليه الأمر هذه الأيام فى المحاكم المصرية واختاروه تخفيفاً على المرأة من طول التربص ورحمة بالمطلق أن ينفق عليها السنين الطويلة وقد انقطعت بينهما العلاقات الزوجية . أما الصغيرة التي لم تكن قد حاضت والتي يئست من الحيض لتقدمها فى السن فعدتها ثلاثة أشهر من حين الطلاق لقوله تعالى (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن) والحامل تعتد بوضع الحمل مطلقة أو متوفى عنها لقوله تعالى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ومن مات عنها زوجها وهي غير حامل ولو قبل الدخول بها تعتد بأربعة أشهر وعشرة أيام لقوله تعالى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً

يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير) .

ومن كانت له امرأة فطلقها وأراد أن ينكح أختها أو كانت له أربع نسوة فطلق احداهن وأراد غيرها فانها لا تحل له حتى تنقضي عدة المطلقة الرجعية منه . وللمعتدة عند الشافعية السكنى كما تقدم مطلقة أو مفارقة بالفسخ رجعياً كان الطلاق أو بائناً ، ولو طلقها ناشزة فلا سكنى لها ، وللرجعية والحامل النفقة مطلقاً . ويجب على المعتدة ملازمة المسكن إلا إذا خافت على نفسها أو مالها من هدم أو حرق أو لصوص أو فسقة هناك أو تأذت من الجيران أو من أقارب زوجها واحتاجت إلى شراء شيء أو بيعه ولا نائب لها ولا خادم ولا بأس بخروجها ليلا لزيارة الأهل والجيران وللحديث معهم إذا أمنت الفتنة ولا يجوز المبيت عندهم ولا أن تخرج فى تجارة أو زراعة ما دام عندها ما يكفيها ولا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ولو كان من أقرب الناس إليها إلا الزوج فانها تترك بعده الزينة والتجمل حتى تنقضي المدة المضروبة لها فى كتاب لله . فعن أم عطية رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال (لا تحد المرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب ولا تكتحل ولا تمس طيباً إلا إذا طهرت نبذة من قسط أو أظفار) ، وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال (المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا تكتحل ولا تختضب) وعن أم حكيم بنت اسيد عن أمها ان زوجها توفى وكانت تشتكي عينها فتكتحل بالجلاء وهو الاثمد فأرسلت مولاة لها إلى أم سلمة رضي الله عنها فسألتها عن كحل الجلاء

فقالت (لا تكتحل به إلا من أمر لا بد منه يشتد عليها فتكتحلين بالليل وتمسحينه بالنهار) واستدلت بأن النبي ﷺ قد دخل عليها حين توفى زوجها أبو سلمة رضي الله عنه وقد جعلت عليها صبراً فقال (ما هذا يا أم سلمة فقالت هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشيب الوجه فلا تجعليه إلا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب قالت قلت بأي شيء امتشط يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به رأسك) والاحداد هو ترك الزينة وان تمكث المرأة زمناً طويلا أو قصيراً متشعثة حزناً على الميت ووفاء بحقه وقد شرعه الله للنساء بعد وفاة الازواج احتفاظاً بالجميل وطلباً لبراءة الرحم وجبراً لخواطر أبنائها وأهل زوجها . وحرام على المرأة ما تفعله من أعمال الجاهلية من تخصيص الملابس واتخاذ مكاناً معيناً من البيت تقعد فيه كأنها عفريت أو تمثال مجسم من الآلام والاحزان . وأنت يا سيدتي أكرم على الله من ذلك ولا حرج أن تسير المحدة حافية أو منتعلة ولها أن تأكل وتشرب ما شاءت من الطعام والشراب ولا يحرم عليها الاغتسال والتنظيف كيفما كان في بدنها وثوبها ولكنها تتجنب الدهن والطيب والصابون المعطر وقد ذكرت فى كتابي «إصلاح المجتمع» من العادات السيئة الموجودة عندنا فى النساء الجاهلات بعد وفاة الازواج والاقارب شيئاً كثيراً ،

ولقوة الصلة بين الزوجين فان كلا منهما يرث الآخر إذا مات ولها عليه من أصل التركة الدين المستقر لها فى ذمته من المهر وغيره ويقدم ذلك على الوصية وعلى الميراث بالفرض والتعصيب . ويستحب أن تكون هي الوصية على الاطفال الصغار وحفظ المال ووفاء الحقوق واستيفائها إذا كانت أمينة عاقلة رشيدة وسأبين النصيب المفروض لك من تركة الزوج

الذي مات وأنت في عصمته أو معتدة منه فيما سيأتي ، وإليك التفصيل . وعلى الله قصد السبيل .

توريث المرأة وميراثها

قبل أن نذكر ما جاء به الاسلام فيما يكون للمرأة من تركة الميت الموروث وكيف يوزع ما خلفته من الأعيان والمنافع على الورثة الشرعيين لها نذكر طرفاً من أحكام المواريث في مختلف الأمم والأديان . فعند قدماء الرومان يعين للميت خلف من أولاده وأقاربه أو غيرهم ليقوم مقامه إذا مات في حفظ ماله والقيام بشأن أسرته ويكون له وتحت تصرفه المال كله وعليه أن يسد مسد الهالك فى الواجبات القومية حرباً وسلماً وغنما وغرما ولا بد أن ترتضيه القبيلة وله الحق فيما ذكر من حين الوصية . ولما شق ذلك عليهم جعلوه بعد مدة طويلة للوصي بعد وفاة الموصي . وقبيل ظهور الاسلام كانوا يورثون بالقرابة مثل الأمم الشرقية ويرث الميت فروعه ثم أصوله ثم أخوته الأشقاء ونسلهم ثم أخواته الأشقاء ونسلهن ثم أخوته من الأب ونسلهم ثم أخواته من الأب ونسلهن ثم أخوانه من الأم ونسلهم ثم أخواته من الأم ونسلهن . وإذا ترك الميت أولاداً ذكوراً واناثاً ورثوه بالتساوي ويدخل معهم أولاد أخيهم المتوفي فى حياة المورث فيأخذون ما كان يأخذه أبوهم لو كان حياً ويحلون فى هذا محله . وإذا لم يكن للميت ولد ورثه أصوله وأخوته الأشقاء جميعاً . والنساء فى ذلك مثل الرجال . وغير الأشقاء لا يشاركون الأصول فى الميراث والأخوة

والأخوات والأجداد والجدات يشتركون كذلك ويحل محل الأخوة والأخوات أبناؤهم إذا كانوا ميتين والأقرب يحجب الأبعد. ومن ترك أولاد أولاده وأولاد بناته ورثوه كلهم ونزل كل منهم منزلة أبيه وأمه الأناث والذكور فى جميع ما تقدم على السواء . وإذا لم يكن للميت وارث ورثه بيت المال . ولا شيء للزوجة من زوجها . وشرط الوراثة أن يكون الحى والميت نصرانيين كاثوليكيين .

واليونان فى ذلك كالرومان إلا فى مسائل قليلة كقبول المرافعة ثم القضاء في صحة الوصية وبطلانها ولكل إنسان الطعن فى الحكم بصحة الوصية إذا ظهر أن فيها ما يضر بمصلحة الوطن أو الأسرة . والوصي يحل محل الميت في ماله وشؤون أسرته ويزوج النساء أو يمنعهن كما يشاء وكيفما يريد .

أما الكلدانيون والفينيقيون والسوريون والطورانيون ومن لف لفهم فكانوا ينظرون بعد الميت الى أسرته غير ملتفتين الى حكومة ولا بيت مال ولا سائلين عما يتعلق بالفرد من مصالح الأمة والوطن . فكانوا يجعلون بكر الأولاد محل أبيه فى كل شيء فان لم يكن بكراً فالأرشد من الأولاد ثم الأخوة ثم الأعمام وهكذا الى أن يدخل الأصهار وسائر العشيرة وهم يحرمون النساء والأطفال من الميراث ويعطونه كله لعميد الأسرة المسؤول عما لها وما عليها .

والمصريون كانوا يحلون أرشد الأولاد محل أبيه فى زراعة الأرض والأموال المنقولة فقط لأن الأرض لا تكون ملكا إلا للفراعنة وهو رئيس للاسرة رئاسة شرف ووصاية ولا يمتاز عليهم بشيء فى الميراث بل الذكور والاناث على السواء وربما تنازلت احدى الاخوات عن حقها.

لأخيها الأكبر أو الأرشد وهم لا يزوجون إلا بمهر لا يقل عن حصتها فى التركة التي وهبتها لأخيها الأكبر بمحض اختيارها ويدخل عندهم فى الميراث الأم والزوجة والأخوة والأعمام والأخوال الذكور والاناث على السواء .

وفى التوراة أي رجل مات وليس له ابن ينقل ملكه إلى ابنته ثم اخوته ثم اخوة أبيه فان لم يكن لأبيه اخوة فماله لنسيبه الأقرب إليه من من عشيرته . والمقرر عند اليهود ان أول من يرث الميت ولده الذكر فان تعدد الذكور من الأولاد كان للبكر نصيب اثنين من اخوته ولا فرق فى الولد بين أن يكون من نكاح صحيح أو غير صحيح . أما البنات فمن لم تبلغ الثانية عشر فلها النفقة والتربية حتى تبلغ هذه السن وإذا لم يكن للميت ولد ذكر فميراثه لابن ابنه وإذا لم يكن له ابن ابن فميراثه لبنته وإذا لم يكن له بنت فميراثه لأولاد بنته وإذا لم يكن له حفدة فميراثه لأولاد الحفدة الذكور ثم الاناث وهكذا ، وإذا لم يكن للميت أولاد ولا حفدة فميراثه لأصوله وأحقهم الأب وله كل التركة فاذا لم يكن له أب فجده ثم أصوله من أبيه ، وإذا كانت أصوله من أبيه معدومين انتقل الميراث إلى درجات الأقارب الفرعية ويقدم أقارب الدرجة الأولى على الثانية والثانية على الثالثة وهكذا إلى الدرجة الخامسة ثم تتساوى الدرجات ويرث الجميع بدون تمييز فى الأنصبة فاذا لم يكن للميت وارث من أصول أو فروع أو حواشي كانت أمواله مباحة يتملكها أسبق الناس إلى حيازتها إلا انها تكون وديعة فى يده ثلاث سنين فاذا لم يظهر للميت وارث فيها كانت ملكا له . وحقوق الميراث تنتقل للولد الذكر عقب وفاة أبيه ولو كان حملا فى بطن أمه أما غيره فلا يستحق الميراث فى

هذه الحالة .

والوثني الذي يتهود يرث أقاربه الوثنيين ولا يرثونه والبهودي المرتد لا يرث اليهود ، والولد الذي يضرب أباه أو أمه ضرباً مدمياً لا يرث فى أبويه ولا فى أقاربه .

والعرب قبل الاسلام كانوا لا يورثون النساء جميعهن الأمهات والأخوات والبنات والزوجات وانما يورثون من الميت أخاه الكبير أو ابن عمه أو ولده البالغ القادر على حماية الذمار وحراسة الدار والصغير والضعيف الذي لا يحمل السلاح لا ميراث له ولا شيء عليه من نفقات الحرب وتحمل الديات والصالح منهم كان يتكفل ايتام الميت ويحسن اليهم بقدر ما يستطيع ولا يزال كثير من الاعراب وسكان البادية متمسكين بهذه العادة ومخالفين لأحكام الشريعة فى توريث النساء وربما جعلوا التركة وقفاً على الاولاد الذكور دون الاناث ، وربما نذر الميت فى آخر حياته بجميع ممتلكاته لمن شاء من أقاربه الرجال تخلصاً وفراراً من قضاء الله عليه بايصال الحقوق إلى مستحقيها .

وعند الافرنسيين فى قانونهم الحديث ان الذي يرث الميت هم أولاده الشرعيون من نكاح صحيح ثم أولاده من النكاح الفاسد والتسري ثم الزوج والزوجة ثم بيت المال ولا يرث أحد من المذكورين إلا إذا فقد الذي قبله . والأولاد الشرعيون يرثون عقب وفاة المورث ولا يتدخل القضاء فى ذلك . وأهل الدرجات الثلاث بعدهم لا يرثون إلا بعد القضاء لهم بالميراث والفروع يرثون من الآباء والأمهات والأجداد والجدات على المساواة بين الذكر والأنثى ، والأصول من جهة الأم ، والأقرب منهم قبل الأبعد ، والأبوان تقسم التركة بينهم وبين الاخوة والاخوات أو

نسلهم إلى قسمين أحدهما للاب والام على السواء ، والآخر للاخوة والأخوات ، والموجود من الابوين يأخذ ربع التركة والباقي لاخوة الميت ، ويمنع الميراث عند اختلاف الدارين وقتل المورث والشروع فى قتله ورميه بتهمة باطلة من شأنها أن تقضي عليه لو صحت ، وعدم التبليغ عن قاتله عند علمه به .

والشيوعيون وبعض الاشتراكيين لا يورثون بقرابة ولا نكاح ولا يبيحون لاحد أن يحوز تركة أبيه وأمه لاسباب عندهم مخالفة للشرائع والعقول السليمة اللهم إلا أن تكون تركة الانسان لاولاده مدة معينة محدودة كالامتيازات فى التأليف والاختراع والاكتشاف ثم تعود بعد ذلك إلى الدولة أو تكون مشتركة للامة أو مباحة لمن يسبق إليها ويتغلب عليها وكذلك زين لكل أمة عملها ، والحمد لله على نعمة الاسلام

ومسائل الميراث فيما جاء به محمد بن عبدالله ﷺ أكثر من أن يحاط بها فى فصل واحد أو فصول كثيرة من أى كتاب . ولكنني سأذكر لك يا سيدتي النصيب الذى تحوزه المرأة من مال زوجها أو أحد أقاربها الشرعيين بعد وفاته ومن هم الذين يرثونها بالنسب والنكاح والولاء اذا ماتت . فأقول : الوارثات من النساء سبع الام والجدة وبنت الصلب وبنت الابن والاخت والزوجة والسيدة المعتقة . فترث الأم ثلث ما يخلفه ابنها وبنتها بشرط أن لا يكون للميت فرع وارث ولا عدد من الأخوة والاخوات فان اختل شرط كان لها السدس لا غير . قال الله تعالى : (ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين « الآية ») .

والذي يموت ويترك زوجته وأبويه أو تترك هي زوجها وأبويها فليس للام إلا السدس أو الربع وهو ثلث الباقي من التركة بعد فرض الزوج أو الزوجة . وللجدة من جهة الام أو من جهة الأب السدس وهو للجدتين أو الجدات اذا اجتمعن لا يحجبهن منه إلا الأم . ولبنت الصلب نصف ما خلف أبوها ان لم يكن لها معصب من اخوانها الذكور ولا مماثلة من أخواتها النساء . وإذا اجتمعت بنتان أو أكثر فلهن الثلثان ومن خلف أولاداً ذكوراً واناثاً قسمت التركة بينهم للذكر مثل حظ الانثيين بعد أن يأخذ أحد الزوجين نصيبه من التركة ولبنت الابن نصف ما خلف جدها بشرط أن لا يكون لها معصب ولا مماثل وان لا يكون لجدها ولد من صلبه ، وهي مع أخوتها وأخواتها مثل بنت الصلب ولا شيء لها من الجد ان كان لها أب أو عم ذكر ، ولها مع العمة الواحدة السدس ولا شيء لها مع العمتين فصاعداً ، وللاخت الشقيقة النصف أيضاً بشرط أن لا يكون لها معصب ولا مماثل ، وليس للميت فرع وارث ، ولا شيء لها مع الأب مطلقاً ولها الثلثان مع من يماثلها من الأخوات . وهي مع الأخوة الذكور عصبة للذكر مثل حظ الانثيين وهي مع بنات الميت عصبة ولا شيء لها مع أولاده الذكور وكذلك الأخت للاب إلا أنه يحجبها الأخ الشقيق ولها مع الأخت الشقيقة السدس ولا شيء مع الأختين الشقيقتين فصاعداً . أما الأخت من جهة الأم فلها السدس بشرط أن لا يكون للميت أصل ذكر ولا فرع وارث ولا شيء لها مع من ذكر . والأخوة والأخوات من جهة الأم لهم الثلث بالشرط المتقدم وهم فيه سواء الذكر كالانثى ، وللزوجة والزوجات الربع ان لم يكن للميت فرع وارث ، ولهن مع الفرع الثمن

يتقاسمنه على السواء لا فرق بين أم الاولاد وغيرهـا . ومن أعتقت عبـداً أو جارية وا كتسب العتيق مالا ثم مات ولا وارث له فجميع ما خلف يكون لسيدته المعتقة . ولا شيء للعمات وبنات الأخوة وبنات الأعمام لا فرضاً ولا تعصيباً لقول رسول الله ﷺ (ألحقوا الفرائض بأهلها وما بقي فهو لأقرب رجل ذكر) ويرث المرأة إذا ماتت ابناؤها الذكور والاناث على ما فى الآية : (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساءاً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلهـا النصف « الآية ») . ثم لكل واحـد من أبويها السدس . وحيث لم يكن لها فرع وارث فلزوجهـا النصف وله الربع مع الأولاد ولأمها السدس ولأبيها الثلث وهو بقية التركة . والاخوة والأخوات كما تقدم لا فرق بين أن يكون الميت رجلا أو امرأة . وينزل الجد منزلة الأب عند فقده ولكنه مع الأخوة والأخوات يأخذ بعد ذوى الفروض سدس جميع المال أو ثلث الباقي أو يقـاسم أولاد ولده وللذكر مثل حظ الانثيين . وحيث لم يكن وارث بالفرض فللجد المقاسمة مع الأخوة والأخوات وان شاء فـله سدس جميع المال . والتى تكون عتيقة ولا وارث لهـا يكون ما خلفته كله لسيدها المعتق . وإذا فقد الوارثون بالفرض والتعصيب كانت التركة لبيت المـال فان لم يكن بيت مال فهى لارحام الميت ، الجد من جهة الأم وكل جد وجدة ساقطين .وأولاد البنـات وبنـات الاخوة وبنـات الاخوات وبنو الاخوة من جهة الام والعم من جهة الام والعمات وبنات العم والاخوال والخالات وابناؤهم .

وإذا عرفت يا سيدتي جميع ما تقدم كنت قانعة بما كتب الله لك

وغير آسفة على ما ليس لك وتستريحين مع العلم من تعب المحاكمة والمخاصمة فأما تكونين قد فهمت ما لخصته لك فهماً لا تحتاجين معه الى أحد وأما تسألين عن المشكل وتطبقين ما يقوله لك المفتي على ما تجدين فى كتابك (أستاذ المرأة) فتقر عينك وينشرح صدرك بالحق ان شاء الله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) .

الاوهام المخيفة

يصاب النساء غالباً حيث يقل العلم ويكثر الجهل ويتحكم الشيطان وتضعف الثقة بالله ، يصبن بالاوهام والتخيلات ويتصورن ما لا يكون انه قد كان ، فاضغاث أحلام فى اليقظة والمنام تراها العقول المريضة وتمليها على النفوس الضعيفة الأدمغة الفاسدة والبطون المصابة بالتخمة الضارة والجوع المهلك ، فهذه تشاهد الجن من كل باب ونافذة وتسمع أصوات العفاريت من الدهاليز والسلالم والسقوف والمطاهير ومن كل مكان . وفى النوم يتمثل لها عدواً من الجمال الهائجة والثعابين المتمردة ، واحياناً يكون عاشقاً وسارقاً وشيطاناً مسلح يحاول قتل زوجها أو يتهددها بذبح ولدها وهدم البيت على رأسها وربما حصلت هذه المناميات للمرأة الحائض والنفساء وفى الشهر الرابع من أشهر الحمل وللتي تتعاطى من المخدرات والمكيفات ما يبيت به الكابوس جاثماً على صدرها وذاهباً بها كل مذهب ، وقد تكون على حالة من القذارة

والنجاسة لا تصعد معهـا نفس النائم إلا إلى أفق الأوهام والاضاليل ، وإذا استيقظت من النوم قامت تصيح وتولول خائفة منزعجة ومسرعة إلى الشيخ المعبر الذي تقص عليه رؤياهـا وتطلب منه تفسير أحلامها بالمستحيل والجائز لانه يعرف كل شيء من الكتاب ولانه صديق الجن والاشبـاح الروحانية ومنهم يستمد تعبير الرؤيا وما أشار إليه المعري بقوله :

أزرى بكم يا ذوي الاحلام أربعة ينهبن أحلامكم نهب الجهالات
ود الصديق وعلم الكيميا مع علم النجوم وتفسير المنـامات

ومرض الزار وعملية الرزع وتعاطي السحر بكتابة الطلاسم ودفن العظام المكسرة من الذبائح للجن وخطوط الدم والرماد على الجدران والطرقات كل ذلك لا يؤثر ولا يضر باذن الله إلا أولئك الرجال والنساء الذين لا إيمان لهم ولا صلة لهم بالخير ولا يعرفون من القرآن والاذكار ما يصرف عنهم الشياطين ويحول بينهم وبين عبث الدجالين والمشعوذين

والمرأة الجاهلة يخيفها كل شيء وتحسب ان عجلة هذا الوجود ومحوره الذي يدور عليـه بأيدي السحرة والكهان والمنجمين ومجاذيب الصالحين فهم الذين يخلقون ويرزقون ويهبون الأولاد ويقتلون القرين ويبطلون السحر ويردون عين العـائن عليه ، والواقع الصحيح ان كل شيء بيد الله وانه المتصرف فى خلقه بما يشاء وكيفما يشاء (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئـاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا) .

والتي تطلب من المخلوق ما لا يقدر عليـه إلا الله تقدم للأولياء الصالحين من أهل القبور الهدايا وتبعث إليهم بكسوة الضريح والبيرق

وسراج القبة من الشموع والزيوت وغير ذلك مما يقدم للسدنة والحجبة والمجاورين وبهم تستغيث وتحلف ولهم تنذر وتذبح وتعتقد أنهم إذا غضبوا عليها بعثوا بخدامهم من الجن إليها يخنقونها نائمة ويضرونها في نفسها وأهلها ومالها ، ونعوذ بالله ونستغفره لذنوبنا وسيئات أعمالنا .

وحين تصاب من هؤلاء احداهن بأي شيء لا تتداوى ولا تتطبب إلا بالحروز والتمائم والمر والشذاب والحلتيت والأبخرة الخبيثة والروائح المنتنة ولا تثق إلا بقول سيدها فلان الذي يعرف السيفي والثلاثي وشمس المعارف وقرعة الأنبياء ومؤلفات أبي معشر الفلكي وكل طبيب غيره لا يعد شيئاً ولا بعض شيء ، وتقدم في الطب وطبيبة البيت ما فيه كفاية .

والمرأة كثيراً ما تصاب بالتشاؤم والتطير فيخيفها شهر صفر ويوم الأربعاء وصوت الغراب واختلاف الرياح ورؤية الأعرج والأعور وأصحاب العاهات وتظن شراً بزوجة ولدها وزوج ابنتها والمصاغ الذي اتخذته والبيت الذي سكنته وفي الحديث الشريف (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) .

وقد أبطل الاسلام التشاؤم وعده من الشرك وأخبر بالشؤم المتوهم في المرأة والدار والدابة انه لا شيء إلا سوء أخلاق المرأة وعقم رحمها وضيق مرافق البيت وصعوبة الدابة التي لا تركب وبطء سيرها إذا اتخذت حمولة أو ركوبا .

ويؤسفنا ان هذه الأوهام والتخيلات والعقائد الباطلة والأعمال الفاسدة لا توجد إلا في نساء المسلمين وهن الأحق من غيرهن بالبعد عن الباطل ومساعدة الشيطان على الانسان بالغواية والضلال ، وجهل المرأة

بالدين وعدم إختلاطها بالعلماء المصلحين هو السبب الوحيد فى ضعف عقلها ودينها والكمال المطلق لله وحده لا شريك له . وأنت يا سيدتي أعز وأكرم على الله من الكتابيات والمشركات اللواتي إذا لعب الشيطان بعقولهن وتسلط عليهن بالأوهام فلولايته عليهن واستجابتهن له إذا دعاهن إلى قوله لربه (لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) .

فلا تخافى إلا من الله ولا تطمعى إلا فيما عنده . والعظم والودعة والخرزة لا ترد العين ولا تدفع كيد الشيطان .

كلا ولست معلقاً لتميمة أو حلقة أو ودعة أو ناب
لرجاء نفع أو لدفع بلية فالله ينفعني ويدفع ما بي

وهو سبحانه وتعالى ، الضار النافع المعطى المانع القابض الباسط الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً وفى الحديث الشريف عنه ﷺ (واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) . وأيما شيء أرابك فافزعى منه إلى الله واعتصمى بحبله وتوكلى عليه فانه من توكل على الله كفاه وقولي حفظك الله (رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) . (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) .

أحكام النساء فى الكتاب والسنة

إذا قرأت ياسيدتي المسلمة كتاب الله عز وجل واطلعت على كثير من الأحاديث النبوية فى الصحيحين وغيرهما وجدت من الأحكام المتعلقة بالمرأة فى دينها ودنياها ما لا يحصى كثرة ولا يؤتى عليه فى زمن قصير وقد حاولت جمع ذلك كله فى فصل واحد يقف الخصم عنده حيران ويعلم غير المسلم إذا اطلع عليه مزيد العناية بالمرأة فى القرآن والحديث ، وكبر علي أن أفتش الكتب عن الأدلة ورأيت فى ذلك من الصعوبة ما لا يستطيع مثلي تحمله فاخترت لهذه الغاية أن أتصرف فى إثبات (فهرسة كتـاب الأسوة فيما جاء عن الله ورسوله فى النسوة) مع الحذف والزيادة .

القرآن العظيم ، اسكان الأبوين آدم وحواء فى الجنـة وتفاصيل القصة ، ذبح الأبناء واستحياء النساء من آل فرعون فى بني إسرائيل ، الاحسان إلى الوالدين ، تفريق السحرة بين المرء وزوجه ، الانثى والقصاص ، مباشرة النساء فى ليالي الصوم ، منع ذلك فى الاعتكاف ، أجر النفقة على الوالدين ، نكاح المشركات وحرمـة ذلك ، مباشرة الحائض والمنع من ذلك حتى تغتسل ، من أين تؤتى المرأة ، حكم من حلف أن لا يأتي إمرأته ، عدة المطلقات ، للرجال درجة على النساء ، الطلاق والخلع وعدد الطلقات ، تحليل المطلقة ثلاثاً ، إذا رغب الزوجان أن يتراجعا بعد العدة ، عضل الاولياء لمولياتهم عن النكاح ، مضارة الزوجة بالامساك عدواناً ، إرضاع الامهات أولادهن وأحكام

الفصال ، عدة المتوفي عنها زوجها وتعرضها للخطاب ، الخطبة فى العدة ما يجوز منها وما لا يجوز ، المطلقة قبل المسيس وما يجب لها سمى المهر أو لم يسم ، نفقة المتوفي عنها قبل آيات المواريث ، متعة المطلقات ، شهادة النساء ، حب الشهوات من النساء ، امرأة عمران وابنتها مريم ، اصطفاء مريم وأمرها بالعبادة وبشارتها بعيسى ، دعوة النساء فى المباهلة ، ان الله لا يضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، المرأة جزء من الرجل خلقاً وحكما ، تعدد الزوجات ، إباحة التسري بملك اليمين بلا حصر ، نصيب النساء من تركة الوالدين ، مواريث النساء العامة ، فرض كل من الزوجين فى تركة الآخر ، ما جاء فى الزواني قبل الحدود ، منع الرجال من التحكم فى أموال النساء ، نكاح المحارم وبيانهن ، تحريم ذوات الأزواج ، حد الأمة إذا زنت وحكم نكاح المملوكة ، الرجال قوامون على النساء ومدح الصالحات منهن ، نشوز المرأة وخروجها عن طاعة الزوج ، بعث الحكمين للاصلاح بين الزوجين ، وجوب التطهر من لمس النساء ، الجهاد عن النساء وعدهن من المستضعفين ، الهجرة لا تجب على المرأة الضعيفة ، يتامى النساء وكيف كان يعاملهن أقاربهن ، المرأة تتنازل عن حقها لزوجها ومصالحتها له عند نشوزه ، العدل بين الزوجات فيما يمكن من القسم والنفقة ، ميراث الكلالة وهو من لا اصل ولا فرع له موجود ، نكاح المحصنات من أهل الكتاب ، السارق والسارقة فى الحد سواء ، وصف الله لمريم بنت عمران انها صديقة ، ليس لله صاحبة ولا ولد ، تحريم أهل الجاهلية لما فى بطون الانعام على النساء ، شرك المرأة بالله تعالى إذا حملت أو وضعت ، تعذيب المشركات والمنافقات ، توبة الله على .

وأمهاتهم ، أمر بلقيس اليمنية ومملكتها ، ذكر جوابها على سليمان ، ثباتها وتأنيها في المخاطبة والمكاتبة ، إلهام المرأة وما صنعته أم موسى حين خافت على ولدها ، تلطف آسية إمرأة فرعون بزوجها ، تبني المرأة لولد غيرها ، دهاء المرأة في تتبع الاخبار واقتصاص الآثار ، بنات شعيب وأمر السقيا ، إشارة المرأة على أبيها وقبول مشورتها ، خطبة الرجل الصالح لتزويجه ، جعل المهر عيناً ومنفعة ، ما جعل الله بين الزوج والزوجة من المودة والرحمة ، الاحسان إلى الامهات ومصاحبتهن بالمعروف ، أمر الحمل والولادة ، أزواج النبي أمهات المؤمنين ، تخيير المرأة في استبقائها وطلاقها ، فضل أزواج النبي على سائر النساء ، ليست المتعلمة كالجاهلة ، الرجل والمرأة في العبادة عند الله بمنزلة واحدة ، وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، أمر زيد ابن حارثة وزينب بنت جحش ، كيف تزوج النبي ﷺ بمطلقة زيد ، لا عدة في الطلاق قبل المسيس ، تصرف النبي ﷺ في النساء بالارجاء والايواء ، حجاب النساء وسبب نزوله ، ايذاء المؤمنات بالكذب عليهن ، تستر النساء بالجلابيب ، تمييز ما بين الحرة والامة ، جمع الظالمين وأزواجهم في المحشر ، حلف أيوب ليضربن امرأته ، علم الله بما في بطون الاناث ووضع الاجنة ، منة الله على خلقه بالاولاد ذكوراً وإناثاً ، عجز المرأة عن المخاصمة وإقامة الحجة ، مدة الحمل والرضاع وحث الولد على مكافأة أمه ، إساءة الانسان إلى والديه ، إستغفار النبي ﷺ للمؤمنين والمؤمنات ، لا يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء ، أكرم الناس عند الله أتقاهم رجلا كان أو إمرأة ، سعى النور يوم القيامة بين أيدي المؤمنين والمؤمنات ، أمر المتصدقين والمتصدقات ، إمرأة تجادل

النبي ﷺ في زوجها ، أحكام الظهار ، امتحان المؤمنات المهاجرات ونكاحهن ، بيعة النساء وعلى أي شيء كانت ، ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ، إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وجوب السكنى للزوجة والمطلقة ، الاشهاد على الطلاق ، حسن المعاملة بين الزوجين ، عدة اليائسة والصغيرة وأولات الاحمال ، للحامل والمرضع النفقة والاجرة ، الرجل يحرم على نفسه إمرأته ، إفشاء المرأة لسر زوجها ، وجوب الامر على الزوجة باقامة الصلاة ووقايتها من النار ، مثل عظيم يضربه الله بأربع نسوة كافرتين ومؤمنتين ، دعاء المؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعض ، ذكر الخلق والتكوين من نطفة إذا تمنى ، سؤال الله يوم القيامة عن المؤودة وبأي ذنب قتلت ، ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ، المرأة النمامة وذكر عقابها ، الاستعاذة بالله من شر السواحر النفاثات في العقد .

السنة النبوية

اسلام النساء وايمانهن وعتق الجارية المؤمنة ، بيعة النساء وكيف كان رسول الله ﷺ يبايعهن ، وصيته للرجال بالنساء ، اقتصاد النساء فى العبادة والأمر بنكاحهن ، امرأة المؤلي تنتظره أربعة أشهر ، ما يكون بين الزوج والزوجة من المخاصمة فى البيت ، تكنية النساء بابنائهن وأبناء اخواتهن ، العقيقة عن الغلام والجارية ، استعمال آنية النساء الكافرات ، بر الأم وتقديمها فى الاحسان ، بر الأخوات

وسائر الأقارب من النساء ، الاحسان الى البنات والعناية بشأنهن
وفضل تربية البنات والأخوات ، شفاعة المرأة الى الحاكم ومن فى
معناه ، أمهات الأولاد وأحكامهن ، الأتجار بالقينات المغنيات ،
شراء الرجل من امرأته ، نكاح البكر خير من نكاح الثيب ،
المخطوبة للنكاح لا تخطب حتى ينكح الأول أو يترك ، الخطبة فى العدة
حرام والتعريض بها جائز ، لا يفرق بين الجارية وولدها الصغير ببيع ولا
هبة ، فدية الصوم عن الشيخ والشيخة العاجزين عنه ، الحامل
والمرضع تفطران ان خافتا على النفس أو الولد ، معاشرة النساء فى ليالي
الصوم ، الطلاق وأحكامه بائناً ورجعياً وخلعاً وفى الطهر والحيض
ومسائل أخرى ، ما جاء فى المتوفي عنها زوجها وكيف تعتد وكم عدتها ،
نذر المقلات اللواتي لا يعيش أولادهن ، المرأة تهاجر بدينها من بلاد
الى بلاد ، جهاد المرأة فى سبيل الله ، نكاح اليتيمات والقسط لهن فى
المهر وغيره ، ميراث البنات وسائر النساء ، حد الزانية البكر
والثيب ، المرأة تهب نوبتها لضرتها ، ما يشوق الرجال للنساء من
الطعام والشراب ، طواف العريانة فى الجاهلية ، الزوجة الصالحة خير
ما يكنز من الدنيا ، كفارة من باشر اجنبية لا تحل له بما دون الزنا ،
سؤال النساء عن المشكل من الآيات والاحاديث ، الزانية لا ينكحها
إلا زان أو مشرك ، قرعة المسافر بين نسائه ليأخذ بعضهن ، ما جاء
فى براءة السيدة عائشة رضي الله عنها ، حب رسول الله ﷺ لها على
سائر نسائه ، خديجة بنت خويلد وفضلها ، صفية بنت حيي وما جاء
فى عتقها وتزوج النبي ﷺ بها ، نكاح زينب بنت جحش ، عمر
ابن الخطاب يعرض حفصة على الرجال ، جويرية بنت الحارث وكيف

بالجذام ونحوه لا تغشى المعابد والمجتمعات ، المرأة تنوب عن غيرها في الحج والعمرة ، الرجل ينظر الى المرأة وتنظر اليه في المناسك ، الفدية والضحية عن النساء ، المرأة تعترف بالزنا فيقام عليها الحد ، جلد القاذفة بالزنا ، استواء الرجال والنساء فى الحدود ، المرأة أحق بحضانة ولدها ، الخالة فى الحضانة بمنزلة الأم ، لا تسافر المرأة المطلقة بولدها ، خير الرجال خيرهم لاهله ، المرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، وعد المرأة بالعطاء سواء الزوجة وغيرها ، لا تكذب المرأة على ولدها الصغير ، امتناع النساء من الاكل فى بيت الوليمة وعند الضيافة ، ما يكون بين الزوج وزوجته من المطايبة ، للمرأة لبس الحرير والتحلي بالذهب ، يستحب لها خضب يديها ورجليها بالحناء ، صلاة النبى ﷺ على المؤمنين والمؤمنات ودعاؤه للمرأة وزوجها ، تعليمه للنساء بعض الأدعية ، تعليمه لهن كيف يسبحن ويذكرن الله ، دية المرأة نصف دية الرجل ، قتل الحامل ودية ما فى بطنها ، ذبائح النساء وحل أكلها ، التحذير من فتنة النساء وزينة الحياة الدنيا ، رحمة النساء بالحيوانات وتوبة الله على مومسة تسقي الكلب ، نكاح الشغار وأنكحة الجاهلية ، هل تجب الزكاة فى حلي النساء ، زكاة الفطر واجبة على الرجل والمرأة ، هدية النساء بعضهن لبعض ، المرأة ترقع ثوبها وترغيبها في الزهد وحثها على حب المساكين ، تخويف النساء من النار وتحذيرهن من سوء العشرة وبذاءة اللسان ، تحلية البنات وتزيينهن ، تشبه النساء بالرجال وما فيه من الوعيد الشديد ، نهى المرأة أن تحلق رأسها ، أحسن ما تتطيب به المرأة ما خفى ريحه وظهر لونه ، ذكر ما جاء فى زينة النساء ما يحل منها وما لا

يحل ، غضب الرجل من بعض صنيع امرأته ، لا تسافر المرأة إلا ومعها زوج أو محرم ، لا يطرق المسافر أهله ليلا ، تبرك المرأة بآثار الصالحين ، انشاد الشعر بين يدي النساء ، لا بد من الخمار لصحة الصلاة ، المرأة إذا نابها شيء فى الصلاة تصفق ، اعتراض المرأة فى قبلة المصلى ، حمل البنت في الصلاة ، تخفيف النبي ﷺ للصلاة إذا سمع بكاء الطفل شفقة على امه ، مكث الرجال فى المسجد حتى ينصرف النساء ، صفوف النساء من وراء الرجال والصبيان ، اشتراك النساء في المشاريع الخيرية وأعمال المساجد ، الجمعة لا تجب على المرأة ، وعيهن لما يقول الخطيب ، حديث الرجل إلى أهله من آخر الليل وإيقاظ كل منهما لصاحبه ، حضور العيد للنساء ، جنازة المرأة والصلاة عليها وكيف تغسل وتكفن بعد الموت ، دفن المرأة ومن يدخل فى قبرها والصلاة عليها بعد الدفن ، قبلة الصائم ومباشرته المرأة ، مواقعة الزوجة فى نهار رمضان ، صوم النساء ومسائل تتعلق به فريضة ونافلة وأداء وقضاء ، صبر المرأة عند المصيبة ، بكاؤها على ولدها ، بشارة النبي ﷺ بالجنة لمرأة كان يصيبها الصرع ، ما جاء فى طاعة المرأة لزوجها ، كثرة النساء فى آخر الزمان وطاعتهن للدجال ، توكل المرأة على الله وطرح الحروز والتمائم ، صدقة الرجل على زوجته ، الصدقة على الزانية ، انفاق المرأة من بيت زوجها ، الصدقة عن الأم بعد موتها حق الزوج على زوجته من الجماع وغيره ، حق المرأة على زوجها ، نقص المرأة فى عقلها ودينها وأسباب ذلك ، كيف تغاضب الصالحة زوجها ، أمر المرأة لولدها بحفظ السر ، تسليم الرجال على النساء ، كيف تباشر المرأة أضيافها ، شتم الضرة لضرتها بما ليس فيها ومعاقبة الزوج على ذلك

المرضع ، ذم الكاسيات العاريات والمتشبهات منهن بالرجال ، ما جاء فى استمتاع النساء بالنساء وكسب المرأة من فرجها ، استئذان الزوج فى صوم التطوع والخروج الى الصلاة والصدقة من ماله ، مشاركة الطباخة للمتصدق فى أجر الصدقة ، عتق النساء والحث عليه ، نظر الرجل الى المرأة والخلوة بها ما يحل من ذلك وما لا يحل ، تحذير المرأة من الافراط فى الأكل ، ما جاء فى تفضيل النساء على الحور العين .

وهذا ما تيسرت الاشارة اليه من أحكام النساء وما يتعلق بهن فى الكتاب والسنة وتركت أشياء كثيرة للعلم بها مما تقدم ولأنها متفرعة من الأدلة المشار اليها . أما المسائل الفقهية وما تشتمل عليه كتب الشريعة من المتون والشروح والحواشي والتعليقات فهو نصف العلم بالأحكام الدينية والنساء شقائق الرجال والعلم بحر لا ساحل له . فلتعرف المرأة مكانتها فى الاسلام ومنزلتها عند الله وليخرس أولئك المتشدقون والخائضون فى الباطل المتقولون على الله ما لا علم لهم به والملصقون بالدين من التهم الباطلة ما هو بريء منه . ولا يزعمن أحد انه المحرر للمرأة إلا إذا أراد تحريرها من التكاليف وإعفاءها من المسئولية الانسانية فان الله هو الرحيم بخلقه والمحسن الى عبيده الرجال منهم والنساء ولم يأت فى دين ولا شريعة عشر معشار ما ذكرته لك يا سيدتي فى هذا الفصل . ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشدا .

أنت والرجل

كررت عليك يابنيتي المسلمة انه لا فرق عند الله بينك وبين الرجل فى العبادات والحدود والمعاملات والملك والالتزام والمعاوضة والابراء والمطالبة والمرافعة والمدافعة والرواية والتعلم والتعليم والسياسة والمشاركة فى الأمر والاستقلال به وغير ذلك وقلبت لك الكتب ودواوين الاسلام فما رأيتك إلا إنساناً كاملا عند الله فى كل شيء حتى الدين والعقل لست والله بناقصة فيهما إلا نقصاً لا يرجع عليك اللوم فيه ولكنه نقص فى العمل والادراك لأمور فطرية جبلية الحيض والنفاس واشتغال القلب بالحقوق الكثيرة عليك لله وللزوج والآباء والبنين وبتدبير المنزل واقتصاديات العائلة . ولا فضل للرجل عليك إلا بقوته البدنية وبخبرته وتجاربه التي يستفيدها من مخالطة الناس ومزاولة أعماله الكثيرة فى الداخل والخارج . وان الله قد جعل للرجال درجة على النساء وهي الرعاية والقيام بشئونهن فى مقابل ما يدفعون من النفقة عليهن ولكفايتهن فيما لا يليق بهن من الأعمال الشاقة وإقامة الشعائر المحتاجة الى الأسفار والمزاحمة والنفقة التي لا يجدها غالب النساء وللاحتفاظ بنعومة الشباب ولطافة الأنوثة وتخفيفاً عن الحاملات والوالدات والمربيات أوجب الله على الرجال كفايتهن ولهم بذلك التقدمة عليهن ورئاسة البيوت والحكومات .

وإذا تتبعت أحكام الشريعة لم تجدي فيها عليك شيئاً واحداً هو أكبر من الواجب الذي على الرجل وإنما هو مثله أو دونه بل وعليه

وحده الجهاد ودية العاقلة . ومن أهل الكتاب تؤخذ الجزية كل حول على الرجال منهم دون النساء . وعلى الزوج كفارة الظهار والجماع فى نهار رمضان أو فى الحج قبل التحلل الأول . وعليه الصداق لامرأته ولو كانت هي الخاطبة وهو المخطوب ولذلك كان الطلاق بيده لحرصه على بقاء حقه ولعجزه عن الاقتران بامرأة أخرى لا يجد مهرها أو لا تسمح نفسه باصداق واحدة بعد واحدة من ماله العزيز عليه . ولو كانت الزوجة قادرة على الطلاق والتخلص من بعلها بدون عوض وبغير سبب لفسد المجتمع ولعمد الجاهلات الى تطليق أزواجهن عند أي نزاع ومع أقل مخاصمة كما أسلفناه وليتنقلن من بيت الى آخر وليجمعن المال من المهور والجهزة والصبحية والله أعلم بمصالح عباده .

وما أراك دون الرجل أو على النصف منه إلا فى الميراث والدية والشهادة والعتق والعقيقة . وذلك ان الله قد جعل للذكر مثل حظ الأنثيين فى تركة الآباء والأمهات والبنين والبنات والأخوة والأخوات والأزواج من أجل انك يا سيدتي ستكونين عند رجل أجنبي ينفق عليك ويطالب بجميع ما تحتاجين اليه لنفسك وعيالك أما أخوك الذي يأخذ ضعف ما تأخذين فانه الذى سيضم الى نفسه امرأة يكفلها وينفق عليها . ومن الذي سيعولك فقيرة محتاجة بوازع طبيعي وبحكم العادة المتبعة إلا أخوك الكثيرة واجباته المحتاج الى المال فى بر والده الموجود وصلة أرحامه وتربية أولاده وبناء بيته وتأثيثه واكرام ضيفه ومساهمته في المشروعات الدينية والوطنية وهو الذي يحتاج الى شراء السلاح والدواب للركوب والحمل والحرث والسقي عليها ولا أشك في أنك قانعة بالربع أو الثمن المفروض لك من مخلفات زوجك المنتقل الى رحمة الله

لانك إما أن تكوني أم أولاده ويصير بعد ذلك الحق كله مشتركا وإما أن يكون له أولاد من غيرك ويكبر عليهم ما تأخذين من تركة أبيهم ثم تذهبين به إلى أهلك أو إلى بيت زوجك الجديد . أما النصف أو الربع الذي يأخذه الرجل من تركة امرأته فانه لأولاده من بعده ولما فاته من الانتفاع بها أيام حياتها السعيدة معه من المتعة الزوجية وحسن التدبير ومشاركته السراء والضراء ، وإذا كان قد احتفظ لك بحسن الصحبة ولم يتزوج عليك فهو جدير بالمكافأة وأن يكون له من ميراثك ما يعينه على النكاح بعد وفاتك .

أما دية المرأة إذا قتلت عمداً أو خطأ فهى خمسون من الابل أو قيمتها مغلظة ومخففة ترغيباً لأهلها فى طلب القصاص من القاتل ولو كان سيداً مطاعاً أو جباراً عنيداً ، ولو كانت الدية كاملة مائة من الابل أو قيمتها لطمع فيها الوارث الفقير وتساهل بها القاتل الغني وحسما لمادة الشر ولصون النفوس عن القتل كان للمرأة نصف الدية أو القصاص (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) .

وما كانت شهادة المرأتين بشهادة رجل واحد إلا لقوله تعالى (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر احداهما الأخرى) قال بعض المفسرين (لأن الغالب على طباع النساء النسيان فأقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما تذكرها الأخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فتحصل بذلك الذكرى) وقال أحد المعاصرين فى تفسير الآية (وخلاصة هذا أنه لما كان كل منهما عرضة للخطأ والضلال أي الضياع وعدم الاهتداء إلى ما كان قد وقع بالضبط احتيج إلى إقامة الثنتين مقام

الرجل الواحد حتى إذا تركت إحداهما شيئاً من الشهادة كأن نسيته أو ضل عنها تذكرها الأخرى وتتم شهادتها . وعلى القاضي أن يسأل احداهما بحضور الأخرى ويعتد بجزء الشهادة من احداهما وبباقيها من الأخرى . وكثير من القضاة لا يعملون بهذا جهلا منهم بما ينبغي أن يتبع في نحو هذا .

أما العقيقة فشاة واحدة عن الجارية وشاتان عن الغلام والسرور لا بد منه عند حصول الولد ولا ينبغي أن يكون مقصوراً على الوالدين فقط بل يشترك فيه الأقارب والجيران ويقدم للفقراء ما يذكرهم بالدعاء للمولود المبارك بالمستقبل السعيد وأن يكون باراً بوالديه . ولما كان طبيعياً الفرح بالمولود الذكر كانت العقيقة عنه شاتين والرجل الذي كان يكره البنات ويدفنهن قبل الموت حتى أذهب الاسلام عنه نخوة الجاهلية وشفاه من مرض العادات الشيطانية لا يطالب بالمساواة بين الذكر والأنثى في الأمور البسيطة ولا سيما في صغر الأولاد وقبل أن يتأثروا من تفضيل بعضهم على بعض وباب الخير مفتوح ومن شاء فليعق عن أولاده بما شاء (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) .

وبقي الكلام في ان عتق المرأتين يعدل عتق رجل واحد لقول النبي ﷺ (أيما امرئ مسلم أعتق امرءاً مسلماً كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضواً . وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزي كل عضو منهما عضواً منه) وهل تدرين ما سر ذلك يا سيدتي وأخاف أن تفهمي غلطاً في المقصود فأقول لك إن الله عز وجل رحيم بعباده والمرأة ضعيفة والسيد يستمتع من امته بخدمتها وبضعها وبالتصرف فيها كيف شاء والشارع دائماً يتشوف إلى فك

الرقاب ويحرص كثيراً على عتق النساء لمتابعة الأولاد أمهاتهم فى الرق والحرية وليخلص المسكينة من مسؤوليتها وتحكم الملاك فيها وانما جعل عتق المرأتين بعتق رجل واحد فى التبرعات وابتغاء الثواب من عند الله وأن يفك رقبته من النار . ولا ينال المعتق ذلك إلا بفك امرأتين من ذل العبودية . وقد تقدم ان النساء إذا أسرن فى الحرب فلا يقتلن ولا يمثل بهن ولكنهن يسترققن بمجرد السبي. فاحتيج إلى المن عليهن بالعتق لا سيما بنات الأشراف وأفضل الرقاب عند الله أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً .

وأنا أحب من هذا المكان أن أودعك وداع أب رحيم لبناته الصالحات فى ليالي زفافهن إلى أزواجهن الأكرمين . وان شئت فهو وداع أستاذ أمين لتلميذته الفائزة بنيل الشهادة العالية من مدرسته العلمية فى البيت أو المعهد الاسلامي المقدس فأوصيك وإياي بتقوى الله واسأله تعالى الخير لي ولك فى الدنيا والآخرة وأن يكتب لي ولك السعادة فى الحياة وبعد الممات وأن يعتقنا جميعاً من النار .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي المختار وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار والتابعين لهم باحسان فى اقتفاء الآثار صلاة وسلاماً دائمين بدوام ملك الله وعدد ما فى علم الله (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم . يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً) .

تم بعون الله وحسن توفيقه طبع هذا الكتاب «أستاذ المرأة» آخر شوال من سنة ١٣٦٩ بمطبعة الكمال المدنية بجوار جامع العسقلاني وكان يريد جماعة من الأصدقاء الأعزاء والاخوان الأماجد أن تدون وتعلن آراؤهم فى الكتاب وبما انها كلها تشيد بفضله وتذكره بالخير فقط فقد اختار المؤلف حفظه الله أن لا يعلن شيء من ذلك وأن يدلي كل بما عنده من الانتقاد أو الاستحسان حيث شاء وكيف شاء والمؤلف يرحب بالاصلاح و بنفس مطمئنة يقبل النصيحة والارشاد ما دام ذلك فى حدود الأدب وتحت راية القرآن والمراد وجه الله تعالى ولم يكن بد من تسجيل بعض ما جاء فى كتاب الشيخ احمد محمد نعمان من حجة لأنه الصديق القديم القوي الاتصال بصاحب الكتاب وهو من أخلص المخلصين له انتقاداً وإصلاحاً ومما قال :

وبعد فقد جاءني البريد يوم السبت ٢٣ رمضان المبارك ٦٩ يحمل القسم الأول من مؤلفك الجديد «أستاذ المرأة» ولما استعرضته ذهب عني ما كان يحملني دائماً على التساؤل عن هذا الكتاب وما عسى أن يأتي به الشيخ البيحاني فى موضوع المرأة ؟ وما هو الجديد الذي لم يسبق إليه ؟ وما الدافع لهذا التأليف وإضاعة الوقت فيه ؟..

كانت هذه الأسئلة تتردد فى ذهني ، وتشغل بالى لأني ضنين بوقت البيحاني ، حريص على أن لا ينهب فى موضوع كهذا قتله الكتاب بحثاً ودرساً ، وألف فيه العلماء مؤلفات كثيرة ، وكتبوا عنه ، واختلفوا فى ذلك اختلافا كبيراً

غير أني أعرف أستاذنا أبقاه الله لا يرتجل التأليف ارتجالا ، ولا يرسل الفكرة دون روية وامعان . ولا يعرض عقله للناس فيما يقدمه بين الفينة والفينة من الرسائل إلا وقد فكر وقدر ودرس ومحص وهذب ونقح ، وعنى بالأسلوب عناية خاصة حتى لا يغلب أسلوبه الخطابي أسلوب التأليف ، لأن الخطابة لا تستهدف للنقد الكثير كما تستهدف له المؤلفات . إذ الغرض من الخطابة التأثير على عواطف الجماهير فى الاجتماعات وفى مناسبات خاصة ، ولأسباب وحوادث طارئة ، بخلاف التأليف فانه للفرد والجماعة وللدرس والتأمل وتغذية الفكر والعقل . والبيحاني يعرف أن خصومه واقفون له بالمرصاد ، يحصون عليه الغلطات ، ويحرصون على نشرها وإعلانها . ولذلك فهو يعني بما يؤلف عناية زائدة ... هذه ميزته التي أعرفها عنه .

تعرض له فكرة من الفكر ، أو يبدو له رأي من الآراء ، فيبحث ذلك بادئ بدء مع خلصائه الذين يعرف نضوجهم فى التفكير ، ورسوخهم فى العلم ، وقوتهم فى الفهم ، وصراحتهم معه فى النقد ، وارتفاع الهيبة بينهم وبينه . أما من عداهم ممن يوافق على أفكاره ، ويتقبل آراءه بدون نقاش ولا جدال . ويؤمن على كل ما عرض وقال ، فهؤلاء لا يعول عليهم ولا يلجأ لأخذ رأيهم .

وإذا أيده أولئك فى فكرته ووافقوه عليها ، وصوبوا رأيه وشجعوه على البدار باخراج الفكرة وإعلان الرأي بدأ يناقشهم ، ويورد الاعتراضات على نفسه ، ويجرد منها خصوماً يعارضونه ، ويفندون عمله ، وينقدونه نقداً لاذعاً فيدلي بالحجج ، ويعرض الأدلة ويقدم البراهين . وهكذا يظل على ذلك أياماً . حتى لقد يذاع فى المجتمع

وينتشر بين الناس ان البيحاني سيخرج كتاباً فى موضوع كذا ، أو أنه يؤلفه ، أو أنه تحت الطبع . وهو فى الواقع لم يخرج شيئاً ولم يؤلف ولم يكتب . فلا تزال فكرته محبوسة ورأيه مخزونا .

ولكنه يستمع باهتمام كبير إلى أقوال خصومه . ورأيهم فى فكرته ليستفيد من تقدمهم أيضاً وينتفع ببعض آرائهم ، خاصة إذا كان النقد نزيهاً بريئاً يرمي إلى التوجيه والاصلاح ويهدي للتي هي أقوم . أما إذا كان للعنت والتشهير فلا يبالي به ولا يهتم له بل يمضى فى طريقه التي اختطها لنفسه حريصاً على وقته من أن يضيع فى جدال المتعنت أو الجاحد الذي لا يريد أن يقتنع .

ورحم الله الرافعى لقد قال : «أي رأي يستقيم فى هذه الدنيا مع كلمة (لا أريد أن أقتنع) فانها كلمة تأكل الأدلة والبراهين كما تأكل النار الحطب ، كلما ازدادت من الأكل ، ازدادت من الجوع»

قرأت القسم الأول من «أستاذ المرأة» وكأني أسمع البيحاني فى منبر خطاباته يرفع عقيرته بالترغيب والترهيب ، ويشتد ويلين ، يبشر وينذر . وينصح ويحذر . ويقدم البراهين . ويخطب الجماهير بتلك اللغة السهلة . والبيان الرائع . والأسلوب القوي . واللهجة الصافية واللسان الفصيح . ويبين للناس منزلة المرأة فى الأديان . ومكانتها في مختلف الأمم . ومقامها في المجتمع . وما لها من حق على الرجل . وما عليها من الواجبات . مع توجيهها التوجيه الصحيح . وإرشادها إلى الطريقة المثلى .

لقد كنا نظن — وبعض الظن اثم — حين سمعنا بهذا التأليف ؛ أن البيحانى سيقسو على المرأة ويؤيد المتشددين عليها والمجحفين بحقوقها

ما دام حظه منها قليلا و نصيبه ضئيلا لم يرزق كغيره (عينين خبيثتين يأخذ عليهما أجرة التعليم من وجهها المليح وجمالها الفتان) . كما قال سامحه الله مشككا للمرأة في معلميها والقائمين عليها ولسان حاله : (إذا مت ضمآناً فلا نزل القطر) .

غير أنه والحق يقال كان رؤوفاً بالمرأة مشفقاً عليها باراً بها فقد استقصى البحث وأطال التفكير وأمعن النظر وبذل مجهوداً كبيراً لاستخراج الأدلة والبراهين لانصافها واسترداد حقوقها والاحتفاظ بكرامتها وصون عفافها وحبب اليها الفضيلة ونفرها عن الرذيلة وكان ناصحها الصادق ورائدها الأمين . لقد أرجع البصر كرتين في كتاب الله وسنة رسوله الأعظم صلوات الله عليه وعلى آله . وأظهر مزايا الاسلام ومحاسن الدين الحنيف وبين كيف جاء سيد الخلق لانقاذ المرأة وتحريرها وفند الشبهات التي طالما افتراها الجاحدون ونسجها الجاهلون حول سماحة الدين ويسره وانصافه للمرأة . وما بنا من حاجة للاطالة في هذا والكتاب نفسه سيعلن عما يحتويه من حجج باهرات وآيات بينات .

واذا فات المؤلف أن يدل القراء على وجه اختياره للكتابة في هذا الموضوع والاهتمام به دون غيره واعترضه الناقدون بأن هنالك اغراضاً أهم من هذا . وأولى ان يفكر فيها المصلحون . ويتجه اليها الناصحون وأن الأمة العربية منذ اعقاب الحرب العالمية الثانية تجتاز محنة قاسية . وتمر بها تجارب عنيفة مرة . وتحيط بها اخطار عظيمة تفرض على الدعاة والمرشدين والمصلحين ان يحصروا تفكيرهم وآراءهم وارشادهم في شرح اسباب مقاومة هذه الأخطار . ووسائل الخلاص منها . والاتجاه الى اتقاء

الضربات التي يسددها الأعداء الى العرب واوطانهم . وإحباط الدسائس التي تحاك للقضاء عليهم . بحيث يكون كل واحد من هؤلاء الدعاة جندياً يحبس نفسه على ثغر من ثغور الاسلام فلا يؤتين من قبله .

اذا اعترض المعترض بما أوردناه . فالجواب عليه : هو أن البيحاني بموضوعه هذا قائم على اوسع ثغرة أوتي الاسلام من قبلها . وهل هناك ثغرة فتحت على العرب والمسلمين أوسع من تمرد المرأة وخروجها عن تعاليم دينها وآداب قومها . وإباحة السفور لها . لا بل إباحة العرى ؟ وهل غزاهم الأجانب بأعظم من هذا الغزو ؟ وهل احتلوا أخلاقهم بأقوى من هذا السلاح ؟

يقول الرافعي رحمه الله :

« إن الأمة الأوربية التي تحتل بلاداً شرقية تجد فيها لصغائر الحياة جيشاً أقوي من جيشها . فعشرة آلاف جندي بعتادهم وآلاتهم لا يصنعون شيئاً إلا الاستفزاز والتحدي . وإثبات أنهم غاصبون . ولكن ما أنت قائل فى عشرة آلاف مسرح براقصاته ومومساته وخموره ورواياته . وبهؤلاء الرجال المخنثين المرليين الرقعاء الذين هم وحدهم معاهدة سياسية ناجحة بيننا وبين شباب الأمة . يقول الأوربي : إن فن الاحتلال فن عسكري فى الأول . ولكنه فن أخلاقي فى الآخر ولهذا يجب تعيين نقطة اتجاه للشباب . تكون مضيئة لامعة جذابة مغرية . ولكنها فى ذات الوقت محرقة أيضاً وهذه هي صناعة إهلاك الشباب بالضوء الجميل . . وما على السياسي الحاذق في الشرق إلا أن يحمي الرذيلة فان الرذيلة ستعرف له صنيعه »

هذا ما قاله الرافعي . وهل هلك الشباب العربي حقاً الا بالضوء

الجميل ؟ وهل بقي لهم قوة في نفوسهم . وثورة في دمائهم . وشمم في عرانينهم . وحماس في صدورهم ؟ بعد أن تبرجت المرأة . ومزقت الحجاب . وكشفت عن ساقها وفخذها وصدرها وعنقها ومعظم جسمها وصرفت اليها الأنظار . وسلبت الألباب . وأضعفت الرجولة . وأثارت الشهوات . وأماتت الحمية والغيرة ؟؟

لقد ثبت عن الصادق المصدوق (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) وقال صلى الله عليه وآله وسلم (ثلاثة لا ينظر الله اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : العاق لوالديه . ومدمن الخمر . والديوث الذى يقر في أهله الخبث) . . أفيطمع المسلمون أن ينظر الله اليهم ويزكيهم . ويقيهم العذاب . وهم يحاربونه بمخالفة أوامره ونواهيه ناسين أو متناسين قوله جل شأنه (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)

أهنالك شك أو ريب في ان أكثر قادة العرب اليوم ورجال الحكومات ورؤساء الدول في بعض الأقطار العربية المسلمة يقرون الخبث في أهلهم . ويقرون الرذيلة والفساد في أوطانهم . ويقرون نساءهم على الاختلاط بالأجانب سافرات الوجوه والأعناق والصدور . بل شبه عاريات . ويحضرن حفلات الرقص ومحلات المجون والخلاعة .. وأن كبار هؤلاء الساسة لا يتحرجون من تقديم زوجاتهم بكل خضوع واحترام إلى سفير من سفراء الأجانب للتعارف والمنادمة والمؤانسة وهن مضمخات بالطيب . لابسات أرق الثياب التي لا تخفي من حجم المرأة وجسمها شيئاً .. وان هؤلاء — لا در درهم — يسرون أيما سرور حين يرون أزواجهم يتحدثن إلى الأجانب . ويصافحنهم

ويرقصن إلى جانبهم وقد يشربن الكأس معهم .. وإن ... وان الرخص الحكومية تمنح للنساء العربيات المسلمات ليتجرن بعفافهن ويفتحن بيوت البغاء رسمياً بدون خجل ولا مبالاة .

أية ثغرة أوتي العرب والمسلمون منها أكبر وأوسع من هذه ؟ وما الذي يسدها بعد أن بلغ السيل الزبى . وجاوز الحزام الطبيين . وأصبح رؤساء الدول وزعماء الشعوب وقادة الأمم وبعض ملوك المسلمين أعينهم أنفسهم يقرون هذه الرذائل في أوطانهم . ويستسلمون لهذا الغزو الخلقي الفاجر رغم ما بلغ إليه الفساد في قصورهم . وانتشر في في العالم كله أخبار المآسي التي تمثلها أسرهم . وما حديث الأسرة المالكة في مصر وايران وبغداد بمجهول ولا خفي .. وإذا كان هذا هو موقف الحكومات والرؤساء والقادة فما ذا يكون حال الرعاع والهمج والأغمار .

إذا كان رب البيت بالدف مولعاً . فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

لك الله يا بيحاني ! ولا أظنك تجهل قصة ذلك الشيخ المتدين الذي دخل من الريف المصري إلى القاهرة يزور بعض أقاربه فاستقبلته ربة البيت بملابسها الافرنجية القصيرة . مكشوفة الرأس سافرة الوجه مصبوغة الفم . فتعوذ بالله منها وغطى وجهه . ثم ولى هارباً يرفع صوته بالحوقلة والاسترجاع . وهي تقهقه ساخرة منه صائحة به (فين تعيش يا عم) .

ان كتابك هو إعلان جهادك . وبرهان إيمانك . وآية نصحك وإخلاصك . وعسى أن ينتفع به المتذكر (فذكر ان نفعت الذكرى) . وما أرى له سوقاً غير البلدان النقية الطاهرة التي ما يزال أبناؤها

متمسكين بالدين طالبين لسعادة الدارين من ناحيته ولم وان بعض الأقطار الشقيقة قد فرضت هذه الرذائل فرضاً وقضت على الأمة العربية في دينها وأخلاقها وآدابها .. فسحقاً للنهضة ان كانت النتائج ضياع الدين والأخلاق .

ونحن لسنا منفرين عن النهضة الصحيحة ولا شامتين باخواننا وقومنا ولكننا متألمون عليهم خائفون من أن يصل إلينا هذا التيار ان لم نتيقظ له ونحسب له ألف حساب فما حل بجارك أصبح بدارك .

وبكل رجاء وإخلاص نطلب من حكومتنا وعلى رأسها مولانا أمير المؤمنين الامام الناصر للدين أعز الله ببقائه الاسلام والمسلمين أن تضاعف العناية بمقاومة هذا التيار الجارف ولفت أنظار العلماء والمرشدين والوعاظ ووزارة المعارف الجليلة إلى إقامة محاضرات دينية اصلاحية في عموم اليمن ولو بواسطة رسائل ونشرات دورية توجه اليمنيين إلى وسائل النهضة توجيهاً صحيحاً وتشرح لهم ما أصاب اخوانهم العرب في دينهم ودنياهم وأخلاقهم ومجتمعاتهم حيث رحبوا بالنهضة الغربية دون أن يفرقوا بين النافع والضار والغث والسمين .

وإذا أردنا تعليم بناتنا فليكن «أستاذ المرأة» هو المرشد الأول لتعليمهن على أساس صحيح . ونهج واضح . فان المرأة إذا لم تعلم تعليما صحيحاً كانت وبالا على أهلها ومصيبة على دينها وأخلاقها وحشمتها .

واني أنصح لكل رجل متدين يرغب في تعليم ابنته أو أخته أن يجعل المادة الأولى لتزويدها كتاب «أستاذ المرأة» وإلا فليعد للبلاء جلباباً وينتظر الفتنة العمياء والداهية الدهياء . ومن لم يتعظ بهذه النتائج المحزنة التي اسودت لها وجوه ملوك العرب وشعوبهم من جراء

تمرد المرأة وخروجها على آداب دينها وأخلاق قومهـا فلن يعظه شيء. (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) .

مجد — أحمد محمد نعمانه



شوال ١٣٦٩ = أغسطس ١٩٥٠

فهرست الكتاب

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف : ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le

مطابع يوسف بيضون
هاتف - ٤٦٠٧٤٢ - ٨٢٧٦٦٧ - بيروت - لبنان